أمثال
الرب يسوع

سعاد صبري الجبلاوي

٢٠٢١

المصنف : أمثال الرب يسوع
المؤلف : سعاد صبري الجبلاوي
تصميم الغلاف: جيهان عائيد
كومبيوتر: فؤاد حكيم
إخراج فني: صفوت نظير

يطلب من مكتبة الإخوة ٣ شارع أنجه هانم – شبرا مصر – ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤
وفروعها:
مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعي – تريومف ت ٢٢٩٠٤٠٠٣
الإسكندرية: ٦ ش الفسطاط – كيلوباترا ت: ٣٥٤٦٥٣٦٦
المنيا: ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦
أسيوط: ٢١ شارع عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨
بريد الكتروني: brethrenpub@gmail.com
والمكتبات المسيحية الأخرى

رقم الإيداع بدار الكتب القومية :
الترقيم الدولي:

طبع بمطبعة
Printed in Egypt

المحتويات

–	تقديم للأخ نبيل عجيب	٥
–	تقديم للأخ صفوت تادرس	٧
–	مقدمة الكاتب	٩
–	جدول بالأمثال	١١
١	مثل الحنطة والزوان	١٥
٢	مثل الكنز المُخفَى	٢٥
٣	مثل اللؤلؤة	٣١
٤	مثل الشبكة المطروحة	٣٧
٥	مثل الجدد والعتقاء	٤٣
٦	مثل الملك وعبيد في المسامحة	٤٧
٧	مثل الفعلة في الكرم	٥٧
٨	مثل الابنان	٦٥
٩	مثل عُرس ابن الملك	٧١
١٠	مثل العذارى الحكيمات والجاهلات	٧٩
١١	مثل الوزنات	٨٧
١٢	مثل الخراف والجداء	٩٥
١٣	مثل البذار (مثل العشب والسنبلة والقمح)	١٠٣
١٤	مثل المديونان	١٠٩
١٥	مثل السامري	١١٧
١٦	مثل الأصدقاء الثلاثة (صديق نصف الليل)	١٢٣

١٧	مثل الغني الغبي	١٣٣
١٨	مثل شجرة التين	١٣٩
١٩	مثل العشاء العظيم	١٤٥
٢٠	مثل الدرهم المفقود	١٥٣
٢١	مثل الابن الضال	١٥٩
٢٢	مثل وكيل الظلم	١٧١
٢٣	قصة الغني ولعازر	١٧٧
٢٤	مثل المرأة وقاضي الظلم	١٨٧
٢٥	مثل الفريسي والعشَّار	١٩٥
٢٦	مثل الأمناء	٢٠٣
٢٧	مثل العبيد البطالين	٢١١
٢٨	مثل السراج تحت المكيال	٢١٧
٢٩	مثل الثوب الجديد والخمر الجديدة	٢٢٣
٣٠	مثل الزارع	٢٢٩
٣١	مثل حبة الخردل	٢٣٧
٣٢	مثل الكرم والكرامين	٢٤٣
٣٣	مثل شجرة التينة وخروج أوراقها	٢٥١
٣٤	مثل الخميرة	٢٥٧
٣٥	مثل الخروف الضال	٢٦٣
–	إصدارات أخرى للمؤلف	٢٦٩

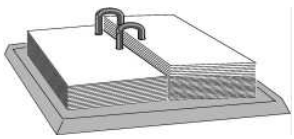

تقديم

الأخت الفاضلة سعاد الجبلاوي تلميذة مجتهدة في مدرسة الرب يسوع المسيح، مُحبة للتعليم وحريصة على الثبات في ما تعلمت وأيقنت، وأيضًا مُحبة لكل تلاميذ المسيح وتعبّر عن هذه المحبة بطريقة عملية كتابية، لأن «مُحْتَكِرُ الْحِنْطَةِ يَلْعَنُهُ الشَّعْبُ، وَالْبَرَكَةُ عَلَى رَأْسِ الْبَائِعِ» (أم١١: ٢٦). حرصها المستمر على إفادة الآخرين، بما تعلَّمته من كلمة الله عن طريق الكتابة أو التواصل بالهاتف أو زيارة العائلات في البيوت، رغم مسئولياتها الأسرية المتنوعة والتي تحتاج منها الكثير من الوقت والجهد، بدون أي مبالغة تشبه المرأة الفاضلة «وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ .. وَتَقُومُ إِذِ اللَّيْلُ بَعْدُ وَتُعْطِي أَكْلاً لأَهْلِ بَيْتِهَا وَفَرِيضَةً لِفَتَيَاتِهَا .. تَشْعُرُ أَنَّ تِجَارَتَهَا جَيِّدَةٌ. سِرَاجُهَا لاَ يَنْطَفِئُ فِي اللَّيْلِ .. تَفْتَحُ فَمَهَا بِالْحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ الْمَعْرُوفِ» (أم ٣١: ١٣ و ١٥ و١٨ و٢٦).

فهمت من إجابة الرب على سؤال التلاميذ أن من امتيازها كتلميذة «قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»، ولذلك اجتهدت أن تدرس الأمثال، لتستفيد منها وتفيد إخوتها كتابة وحرصت أيضًا أن تتم نصيحة الرسول بولس لتيطس: «مُقَدِّمًا نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُدْوَةً لِلأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، وَمُقَدِّمًا فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً، وَوَقَارًا، وَإِخْلاَصًا وَكَلاَمًا صَحِيحًا غَيْرَ مَلُومٍ، لِكَيْ يُخْزَى الْمُضَادُّ، إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ رَدِيءٌ يَقُولُهُ عَنْكُمْ».

أشجع إخوتي الأحباء على دراسة هذا الكتاب القيّم بروح الصلاة والتسلح بنية الاستفادة منه لإفادة الآخرين أيضًا.

نبيل عجيب
خادم الإنجيل

تقديم

بعد عمل وكد دءوب، تطوف النحلة وتطوف، في كل مكان برية كان أم بستانًا، لتخرج لنا أجمل القطوف من العسل الشهي، وكاتبة هذا الكتاب حباها الله صفات متعددة، فلها اجتهاد راعوث، وحكمة أستير، وإيمان أفنيكي، وعلْم بريسكلا، وبهذه كلها، راحت تطوف كالنحلة، وتغوص كالسبّاح الماهر، فأخرجت لنا دررًا نفيسة، ولآلئ غالية، فمرة أخرجت لنا الخبز الحي (إنجيل يوحنا)، الذي تحدثت فيه عن المسيح باعتباره ابن الله، ومرة أخرى أتحفتنا بكتاب عمانوئيل وهي تشرح لنا إنجيل متى، حيث المسيح باعتباره المَلك الآتي، وغيرها من الإصدارات الرائعة. أما هذه المرة، فقدّمت لنا جوهرة ثمينة وهي: "**كتاب أمثال الرب يسوع**"، والحقيقة نادرًا ما تجد كتابًا يشرح لنا أمثال الرب يسوع المسيح..

والأمثال بسيطة في معناها، عميقة في مغزاها، ويحتوي هذا الكتاب على شرح وافٍ لخمسة وثلاثين مثلاً من أمثال الرب يسوع، لقد كان الرب يسوع يحب الناس، لذلك تحدّث إليهم بما يفهمونه ويعيشونه، فإن وجد في حقل، تحدث عن: «مثل الزارع»، وإن جاءوا إليه كغنم لا راعي لها، تحدث إليهم عن: «الدرهم المفقود، والخروف الضال، والابن الضال» ... إلخ.

والأمثال – كجزء من كلمة الله – فيها طعام وينبوع، كم شبعت وارتوت منها الجموع! وتكلَّم المسيح بأمثال لأن الناس يحبون الأحاديث الغامضة، فيدخلون معه في علاقة شخصية وسرية، يقدّم الرب من خلالها أفكاره لهم.

ولأن البعض كانوا قساة القلوب، رغم إنهم أبصروا بعيونهم المعجزات، لكن دون توبة حقيقية، لذلك في الأمثال رسالة توبيخية غير مباشرة «فَطَلَبَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ أَنْ يُلْقُوا الأَيَادِيَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، وَلَكِنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ هَذَا الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ» (لو ٢٠:١٩).

والأمثال هي تحقيق لنبوة قديمة، فمكتوب «وَبِدُونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: سَأَفْتَحُ بِأَمْثَالٍ فَمِي، وَأَنْطِقُ بِمَكْتُومَاتٍ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (مز٧٨؛ مت ١٣:٣٤-٣٥).

لكن شكرًا للرب! فهناك مَن يسمع ويقبل، وبحسب المبدأ «مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَيُزَادُ»؛ «فَتَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: لأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا لأُولئِكَ فَلَمْ يُعْطَ. فَإِنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَيُزَادُ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ. مِنْ أَجْلِ هَذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ» (مت١٣:١٠-١٣).

فالمسيح هو كاشف الأسرار، وعارف القلوب وفاحصها، إنه ليس نبيًا بارعًا، أو معلِّمًا قديرًا ولو أنه كذلك، ولا هو صانع معجزات عظيم، بل المسيح رب، يجب عبادته، وسيد ينبغي طاعته.

صلاتي من أجل الكاتبة الأخت الفاضلة سعاد بمزيد من البركات وغزارة الإصدارات، وللقارئ العزيز بالتلذذ بدسم الكلمة، بل والتعرف والتمتع برب الكلمة، الذي له وحده كل الإكرام والمجد. آمين.

صفوت نادرس

خادم الإنجيل

مقدمة الكاتب

عنوان هذا الكتاب جاء في يوحنا ٧: ٤٦ «أجاب الخدام: لم يتكلَّم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان!». والحقيقة إنها شهادة من غير الذي لم يذكر أمثالاً للرب يسوع، بل كان له هدف آخر وهو إظهار لاهوت الرب يسوع.

والأمثال هي أقوال مختصرة في جمل صغيرة للمقارنة أو المشابهة، تُلقَى بأسلوب سلِس يُحفظ في الذاكرة، متضمنة تعليمًا ثمينًا، إذا فُسرت تفسيرًا صحيحًا. فالأمثال تحتاج إلى توضيح وتفسير وذلك بالمباينة مع الأقوال الواضحة. والأمثال لها أغراض، فهناك أمثال تعبِّر عن وضْع إسرائيل جانبًا مِثل مَثل الابنين (مت ٢١: ٢٨- ٣٠)، ومثل التينة غير المثمرة (لو١٣: ٦- ٩). وهناك أمثال تبيّن طرق الله للبحث عن الضال، مثلما جاء في لوقا١٥: ٤- ٦ ومتى ١٨: ١٢- ١٤، أو مثل الخروف الضال (لو١٥: ٣- ٧)، والدرهم المفقود (لو١٥: ٨- ٩)، والابن الضال (لو١٥: ١١- ٣٢)، كما أن هناك أمثالاً تعبّر عن مسؤولية الإنسان تجاه الكلمة وأغراض أخرى تعليمية كثيرة.

وفي متى ١٣: ١٠ تقدّم التلاميذ وسألوا الرب بعدما سرد مثل الزارع، قائلين: «لماذا تكلِّمهم بأمثال؟ فأجاب وقال لهم: لأنه قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات، أما لأولئك فلم يعطَ. فإن مَن له سيعطى ويزاد وأما مَن ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه». ثم أوضح لهم: «من أجل هذا أكلِّمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون». ومن هذا نعرف أن المَثَل يُقال لتوضيح الصورة وتقريبها للذهن. فبعض الأمثال لتوصيل تعليم والبعض الآخر للتشجيع على الصلاة أو لإظهار مقاومة الشيطان للكلمة، كما أن هناك أمثالاً لها طابع نبوي عن رفض إسرائيل وعن مجيء الرب.

وفي دراستنا لأمثال الرب يسوع، سنجد بعض الأمثال التي انفرد بها متى

وعددها ١٣ مثلاً، أما إنجيل مرقس، فلم ينفرد إلا بمثل واحد وهو مثل البذار (مر٤: ٦) وذلك لأن مرقس يوجّه عناية خاصة إلى ما عمله الرب يسوع، لذا ذكر ١٨ معجزة، بينما في الأمثال انفرد بواحد فقط. أما لوقا فقد انفرد ب١٤ مثلاً وعليه، فهو أكثر الأناجيل انفرادًا بالأمثال.

كما أن هناك أمثالاً فرعية لها مغزى تعليمي. وسنبدأ بسرد الأمثال التي انفرد بها كل من متى ومرقس ولوقا، ثم بالأمثال التي وردت في الثلاثة الأناجيل وأخيرًا الأمثال التي وردت في إنجيلين وهذا جدول بالأمثال.

فيا ليت الرب يعلّمنا ويسكِّن كلمته فينا بغنًى، فنثمر لمجده.

سعاد صبري الجبلاوي

جدول بالأمثال

م	المثل	متى	مرقس	لوقا
١	السراج تحت المكيال	٥: ١٥– ١٦	٤: ٢١– ٢٢	٨: ١٦
٢	الرقعة الجديدة والخمر الجديدة	٩: ١٦	٢: ٢١	٥: ٣٦
٣	الزارع	١٣: ٣– ٨	٤: ٣– ٨	٨: ٥– ٨
٤	الحنطة والزوان	١٣: ٢٤– ٣٠		
٥	حبة الخردل	١٣: ٣١– ٣٢	٤: ٣٠– ٣٢	١٣: ١٨– ١٩
٦	مثل الخميرة	١٣: ٣٣		١٣: ٢٠– ٢١
٧	البذار النامية		٤: ٢٦– ٢٩	
٨	الكنز المُخفَى	١٣: ٤٤		
٩	اللؤلؤة	١٣: ٤٥– ٤٦		
١٠	الشبكة المطروحة	١٣: ٤٧– ٤٨		
١١	الجدد والعتقاء	١٣: ٥٢		
١٢	الخروف الضال	١٨: ١٢– ١٤		١٥: ٤– ٦
١٣	الملك وعبيده	١٨: ٢١– ٣٥		
١٤	المديونان			٧: ٤١– ٤٢
١٥	السامري			١٠: ٣٠– ٣٥
١٦	صديق نصف الليل			١١: ٥– ٨
١٧	الغني الغبي			١٢: ١٦– ٢١
١٨	التينة غير المثمرة			١٣: ٦– ٩
١٩	العشاء العظيم			١٤: ١٦– ٢٤
٢٠	الدرهم المفقود			١٥: ٨– ٩

٢١	الابن الضال			١٥: ١١- ٣٢
٢٢	وكيل الظلم			١٦: ١- ٩
٢٣	الغني ولعازر			١٦: ١٥- ٣١
٢٤	الأرملة وقاضي الظلم			١٨: ٢- ٥
٢٥	الفريسي والعشَّار			١٨: ١٠- ١٣
٢٦	الأمناء			١٩: ١٢- ٢٧
٢٧	الفعلة في الكرم	٢٠: ١- ١٦		
٢٨	الابنان	٢١: ٢٨- ٣٢		
٢٩	الكَرْم والكرَّامُون	٢١: ٣٣- ٣٩	١٢: ١- ٩	٢٠: ٩- ١٥
٣٠	عُرس ابن الملك	٢٢: ٢- ١٤		
٣١	العذارى الحكيمات والجاهلات	٢٥: ١- ١٣		
٣٢	الوزنات	٢٥: ١٤- ٣٠		
٣٣	الخراف والجداء	٢٥: ٣١- ٤٦		
٣٤	شجرة التين والصيف القريب	٢٤: ٣٢	١٣: ٢٨- ٢٩	٢١: ٢٩- ٣١
٣٥	العبيد البطالون			١٧: ٧- ١٠

- **انفرد متى بـــ ١٢ مثل:** الحنطة والزوان (١٣: ٢٤- ٣٠)، الكنز المُخفَى (١٣: ٤٤)، اللؤلؤة (١٣: ٤٥-٦٠)، الـــشبكة المطروحـــة (١٣: ٤٧- ٤٨)، الجدد والعتقاء (١٣: ٥٢)، المسامحة (١٨: ٢١- ٣٥)، الفعلة في الكرم (٢٠: ١- ١٦)، الابنـــان (٢١: ٢٨- ٣٢)، عرس ابـــن الملـــك (٢٢: ٢- ١٤)، العـــذارى (٢٥: ١- ١٣)، الوزنات (٢٥: ١٤- ٣٠)، الخراف والجداء (٢٥: ٣١- ٤٦).
- **انفرد مرقس بمثل واحد:** البذار النامية (٤: ٢٦- ٢٩).
- **انفرد لوقا بـــ ١٤ مثل:** المديونان ٧: ٤١- ٤٢، الـــسامري ١٠: ٣٠- ٣٥، صديق نصف الليل ١١: ٥- ٨، الغني الغبي ١٢: ١٦-

٢١، شجرة التين ١٣: ٦- ٩، العشاء العظيم ١٤: ١٦- ٢٤، الدرهم المفقود ١٥: ٨- ٩، الابن الضال ١٥: ١١- ٣٢، وكيل الظلم ١٦: ١- ٩، الغني ولعازر ١٦: ١٥، الأرملة وقاضي الظلم ١٨: ٢- ٥، الفريسي والعشار ١٨: ١٠- ١٣، الأمناء ١٩: ١٢- ٢٧، العبيد البطالون ١٧: ٧- ١٠.

- **هناك ٦ أمثال وردت في الثلاثة أناجيل:** الكَرْم والكَرَّامُون (مت٢١: ٣٣- ٣٩؛ مر١٢: ١- ٩؛ لو٢٠: ٩- ١٥، السراج تحت المكيال (مت٥: ١٥- ١٦؛ مر٤: ٢١- ٢٢؛ لو٥: ٣٦)- الرقعة الجديدة والخمر الجديدة (مت٩: ٦- ٢١؛ مر٢: ٢١؛ لو٥: ٣٦)- الزارع (مت١٣: ٣- ٨؛ مر٤: ٣- ٨؛ لو٨: ٥- ٨)، حبَّة الخردل (مت١٣: ٣١- ٣٢؛ مر٤: ٣٠- ٣٢؛ لو١٣: ١٨- ١٩)، شجرة التين والصيف القريب (مت ٢٤: ٣٢؛ مر١٣: ٢٨- ٢٩؛ لو٢١: ٢٩- ٣٠).
- **هناك مثلان في إنجيلين:** الخميرة في متى١٣: ٣٣؛ لوقا ١٣: ٢٠- ٢١؛ الخروف الضال في متى١٨: ١٢- ١٤؛ لوقا١٥: ٤- ٦.

مَثَل الحنطة والزوان

(مت ١٣: ٢٤-٣٠)

«[٢٤]قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ قائلاً: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَات إِنْسَانًا زَرَعَ زَرْعًا جَيِّدًا في حَقْله. [٢٥]وفيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَانًا في وَسْط الْحِنْطَة وَمَضَى. [٢٦]فَلَمَّا طَلَعَ النَّبَاتُ وَصَنَعَ ثَمَرًا، حينَئذ ظَهَرَ الزوان أَيْضًا. [٢٧]فَجَاءَ عَبيدُ رَبِّ الْبَيْت وَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَ لَيْسَ زَرْعًا جَيِّدًا زَرَعْتَ في حَقْلكَ؟ فَمنْ أَيْنَ لَهُ زَوَانٌ؟. [٢٨]فَقَالَ لَهُمْ: إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هذَا. فَقَالَ لَهُ الْعَبيدُ: أَ تُريدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمَعَهُ؟ [٢٩]فَقَالَ: لاَ! لئَلاَّ تَقْلَعُوا الْحِنْطَةَ مَعَ الزوان وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ. [٣٠]دَعُوهُمَا يَنْمِيَان كلاَهُمَا مَعًا إِلَى الْحَصَاد، وَفي وَقْت الْحَصَاد أَقُولُ للْحَصَّادينَ: اجْمَعُوا أَوَّلاً الزوان وَاحْزِمُوهُ حُزَمًا لِيُحْرَقَ، وَأَمَّا الْحِنْطَةَ فَاجْمَعُوهَا إِلَى مَخْزَني» (مت١٣: ٢٤- ٣٠).

إذا رجعنا إلى المثل الأول من أمثال ملكوت السماوات السبعة والذي يتطابق مع كنيسة أفسس (رؤ٢: ١- ٧)، نرى أن الرب لم يقل عبارة: «يشبه ملكوت السماوات» لأن الزارع الذي خرج ليزرع كان بينهم. وأوضح الرب أن التربة الأخيرة فقط هي التي أتت بثمر إشارة للقلوب التي تسمع وتفهم الكلمة. وإن كان الثمر متفاوتاً، إلا إن الأرض الجيدة اتحدت في أنها مثمرة. لكن هنا بدأ الرب المثل بالقول: «يشبه ملكوت السماوات»، وبادئ ذي بدء، يجب أن نعرف أن ملكوت السماوات ليس السماء، لأن السماء ليس فيها إلا

مؤمنون حقيقيون، ونحن نرى هنا في هذا المثل عدوًا «زرع زوانًا وسط الحنطة ومضى» والرب سيعلن أن الزوان هو «بنو الشرير» والعدو الذي زرع هو إبليس. إذًا ملكوت السماوات هنا هي المسيحية في مجملها، أو كما جاء في أفسس٤: ٥ «رب واحد. معمودية واحدة»، وتكرار الوحدة يعلن عن دائرة الاعتراف بربوبية الرب يسوع وكل المعتمدين على هذا الاسم، أي المسيحية في شمولها بما فيها من مؤمنين حقيقيين أو مجرد معترفين بالاسم. لذا لا يجب الخلط بين ملكوت السماوات والكنيسة، فملكوت السماوات هو دائرة الاعتراف المسيحي والمعمودية ميزتهم عن العالم الخارجي بأديانه ودياناته. أما الذي يميّز كنيسة الله «جسد المسيح» عن مجرد المعترفين، فهو الولادة الثانية وسكنى الروح القدس.

«يشبه ملكوت السماوات»: للملكوت ثلاثة أشكال. أولاً: الملكوت تحت المسؤولية وهو الذي قُدِّم لليهود وكرز به المعمدان والرب يسوع والتلاميذ من بعده، لكن اليهود لم يقبلوا مَلكهم الذي جاء إليهم ورفضوه، فتأجّل الملكوت. ثانيًا: وهو المقصود في أمثال ملكوت السماوات وهو الملكوت في صفته السرية وكما سلفنا المعروف بدائرة الاعتراف المسيحي والذي أُعطيت مفاتيحه لبطرس «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» (مت١٦: ١٨)، وبالفعل استخدم بطرس المفتاح يوم الخمسين لليهود «قبلوا كلامه بفرح وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس» (أع٢: ٤١)، ثم في أعمال١٠ فتح بطرس الملكوت للأُمم في بيت كرنيليوس «وحلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة ... وأمر أن يعتمدوا باسم الرب» (أع١٠: ٤٤– ٤٨). وكل المسيحيين الآن هم في دائرة الملكوت في صفته السرية أي دائرة الاعتراف المسيحي، لكن هناك الشكل الثالث للملكوت، بعد شكله الأول، الملكوت تحت المسؤولية وشكله الثاني، الملكوت في صفته السرية، أما الشكل الثالث للملكوت فهو الملكوت في صفته العلنية وهو مرتبط باستعلان الرب يسوع بالمجد والقوة.

«يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعًا جيدًا في حقله»، الإنسان الذي زرع هو نفسه الزارع الذي خرج ليزرع وهو حبة الحنطة التي دُفنت في الأرض وماتت. فقد جاء ابن الإنسان وزرع زرعه الجيد وترك الزرع أثناء غيابه – الملكوت في صفته السرية – لعبيده الخدام ليعتنوا به، لكن العبيد تعجَّبوا لأنهم وجدوا بين الزرع الجيد زواناً قد ظهر وهم لم يبذروه، فمَن الذي بذره؟! وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد أن نعرف أن هذا المثل يتفق مع الكنيسة الثانية في رؤيا٢: ٨– ١١ وهي أقصر الرسائل المُرسلة إلى الكنائس السبع، وهي الكنيسة التي لا نجد فيها أي توبيخ، بل هجومًا عليها من الخارج ممثلاً في الاضطهاد الشديد، وأيضًا هجومًا من الداخل متمثلاً في تجديف أولئك القائلين إنهم يهود وليسوا يهودًا، بل هم مجمع الشيطان وهدفهم إفساد نقاوة إنجيل نعمة الله. وهنا نتساءل: مَن الذي زرع الزوان وسط الحنطة؟ الجواب: عدوه «فيما الناس نيام جاء عدُوُّه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى». والزوان نوع سام من فصائل النباتات الضارة. وإن كنا لاحقًا، سنرى العدو في مثل الزارع ينزع الكلمة من قلوب الذين لا يفهمونها ويخطفها حتى لا تنبت «كل مَن يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرع في قلبه» (مت١٣: ١٩)، وهنا نراه يزرع زواناً وسط الحنطة. والزوان في شكله الخارجي للوهلة الأولى يشبه الحنطة ولا يُميَّز إلا بعد تكوين السنابل، إذ نرى الحنطة لملأها منحنية إلى أسفل، أما الزوان لفراغه يزهو مرتفعًا. والزوان في تشابهه مع الحنطة من حيث الشكل صورة لغير المؤمنين المقلدين للمؤمنين في الشكل الخارجي. والزوان هو أيضًا كل تعاليم مضللة ومتنوعة وغريبة، قد زرعها الشيطان وسط المسيحية، مستخدمًا أعوانه، بني البشر. وهذا ما أعلنه السيد هنا: «إنسان عدُو فعل هذا». فالشيطان دسَّ البِدع «الزوان وسط الحنطة»، مستخدمًا مسيحيين لإفساد المسيحية الراقية بتعاليمها السامية والرب سمح بذلك، حتى من أيام الرسل أواني الوحي، لكي يستخدمهم ليكتبوا لنا لنتحذَّر وحتى يكون لنا مرجع تحذير في الرسائل لإرشادنا، بما يجب علينا إزاء الشر والإباحية

والتعاليم المتنوعة والغريبة والارتداد عن التعليم الصحيح. ففي المسيحية نفسها يُوجد «أعداء صليب المسيح». كما كَتب لنا يوحنا في رسالته الأولى: «أيها الأحباء، لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح: هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله» (١يو٤: ١، ٢). وبطرس في رسالته الثانية يكتب: «ولكن كان أيضًا في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضًا معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك (زوان وسط الحنطة). وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا» (٢:١).

فسواء المعلِّمين الكذبة أو الأنبياء الكذبة الذين خرجوا إلى العالم، كانوا وسط المؤمنين وجنّدهم العدو لحسابه لزرع الزوان وسط الحنطة، لذا يقول يوحنا: «منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا» (١يو٢: ١٩)، ويهوذا يقول في رسالته: «لأنه دخل خُلسة أُناس قد كُتبوا منذ القديم لهذه الدينونة، فجَّار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة، ويُنكرون السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح» (يه ٤). فالذين دخلوا خُلسة فاسدو التعليم، لذا وَضحَ فساد تعليمهم في فساد سلوكهم وفجورهم. فالشيطان دسَّ البدع «جاء عدوه»، واستدار ومضى بعدما جنّد مَن استخدمهم، ليدسوا بواسطته البدع التي تفسد جوهر المسيحية، حتى لا يجعل الناس يقنعون بالمسيحية بما يُمَارس فيها. انظر الروح العصرية والعلم المسيحي والإنجيل الاجتماعي والمسيحية الصوفية وإنكار لاهوت المسيح الكامل وولادته من العذراء أو إنكار وحي كلمة الله، ناهيك عن مَن قيل عنهم في غلاطية١: ٦، ٧: «قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح»، عن ماذا؟ عن تهويد المسيحية بإضفاء الطابع اليهودي عليها ومزج النعمة بالناموس والممارسات الطقسية!! وفي ١تيموثاوس٤: ١ نقرأ: «ولكن الروح يقول صريحًا: إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحًا مضلَّة وتعاليم شياطين». فهل الشيطان يأتي بنفسه ويعلِّم ويعتلي المنابر؟! كلا! بل الشيطان هو العدو الذي فعل هذا

في الخفاء «فيما الناس نيام»، مستخدمًا جنوده من المسيحيين المصرَّح لهم باعتلاء المنابر ليعلّموا تعاليمه «في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم».

ويُلاحظ دقة الوحي، لم يقل: "جاء عدو"، بل «عدُوُّه»! فالذي زرع الزوان وسط الحنطة هو عدو الشخص الذي زرع الزرع الجيد، والهدف إفساد كل ما هو صالح للبنيان. فالرب يسوع في زكريا١٣: ٥ قيل عنه بروح النبوة: «فالح الأرض»، هو الذي زرع الزرع الجيد، هو الذي حمل اللعنة وكُلل بالأشواك لأجلنا. أما «عدُوُّه» فهو الذي يريد أن يفسد ما قد زرعه فالح الأرض بالزوان!

والسؤال: متى «جاء عدُوُّه وزرع زوانًا وسط الحنطة»؟ الإجابة: «فيما الناس نيام»، إنها عدم يقظة البوابين وهي وظيفة لها كرامتها. والرب «أوصى البواب أن يسهر» (مر١٣: ٣٤). فإهمال البوابين أو الحراس هو الذي أعطَى الفرصة لزرع الزوان وسط الحنطة. فالحراس رجال صلاة لهم شركة مع الكتاب المقدس ويجب ألا يكون عندهم أي مجاملة في الحق الكتابي أو «الإيمان المسلَّم مرة للقديسين». فنحن الآن في ليل غياب السيد وفي هذا الليل العدو يعمل بكل نشاط ولا ينام، بينما «الناس نيام»!

«فلما طلع النبات وصنع ثمرًا حينئذ ظهر الزوان أيضًا». لقد طلع النبات لأن الزارع «زرع زرعًا جيدًا، لذا وُجِد ثمر صنع ثمرًا». لكن الزوان ظهر أيضًا. وهنا تعجَّب العبيد لوجود الزوان وفي تعجبهم ذهبوا إلى السيد «فجاء عبيد رب البيت وقالوا له: يا سيد أ ليس زرعًا جيدًا زرعت في حقلك؟ فمن أين له زوان؟»، نحن لم نزرع زوانًا، فمن الذي زرعه؟ فقال لهم: «إنسان عدو فعل هذا» وهم في خوف على حقل سيدهم، أرادوا أن يقلعوا الزوان من بين الحنطة، لكن لأنهم أمناء لم يريدوا أن يتصرفوا من أنفسهم دون أن يسألوه «فقال له العبيد: أ تريد أن نذهب ونجمعه؟»، لكن سيِّدهم لعلمه أنه ليس عندهم القدرة على التمييز التام بين الحنطة والزوان، ولأن أحيانًا الزوان يأخذ شكل الحنطة، وكم من أناس نراهم بعيون رؤوسنا أنهم أتقياء، لكن الرب يكشف لنا أن «لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها»، بل هم

«خائنين مُقتحمين متصلِّفين مُحبين للـذَّات دون محبـة الله» (٢تـي٣: ٤)! والروح القدس في العهد الجديد ذكر لنا اسمي شخصين لم يُذكر اسمُهما فـي العهد القديم وهما «ينيس ويمبريس» قاوما الحق «وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى كذلك هؤلاء أيضًا يقاومون الحق أناس فاسدة أذهـانهم ومـن جهـة الإيمان مرفوضون» (٢تي٣: ٨). لقد كانا يقلدان الآيات التي كان موسـى يصنعها، لكن سرعان ما ظهر حمقهما!

فعندما سأل عبيد رب البيت هنا: «أ تريد أن نذهب ونجمعه؟»، «قال لا، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه»، إنه يخاف على الحنطة، ثم إن الزوان موجود بكثافة بين الحنطة، بحيث لا يمكن اقتلاعه دون اقتلاع بعض الحنطة معه، ولأن جذور الحنطة الزوان غالبًا ما تكون مضفورة بشدة، حتى إنه من المستحيل قلع الزوان دون قلع الحنطة. وهنا من جهة أخرى، يقـدِّم الرب تعليمًا لنا، لأن اقتلاع الزوان وتطهير المسيحية منه هو عمل دينونـة وبالتالي ليس للخدام أن يقوموا به والرب لم يوكِّلهم على هذا العمـل، لأنـه سيتممه بحسب سلطانه، بواسطة الملائكة الذين سيوكل لهم القيام بهذه المهمة.

ثم أعلن لنا أن الزوان والحنطة سينميان معًا، فقال: «دعوهمـا ينميـان كلاهما معًا إلى الحصاد».

إذًا الزوان سيستمر وسط الحنطة «لأنه لا بد أن يكون بينكم بدع»، والبدع انحراف عن الحق وزرع بذار الزوان يأتي بها وكلاء الشيطان أي المعلِّمون الكذبة (٢بط٢: ١)، فليس كل مَن يحمل الكتاب المقدس وليس كل مَن يقـف على منبر، لأنه ليس كل ما يلمع ذهبًا! لكن أيضًا ليس كل ما ليس له بريـق هو زوان، فكم من مؤمنين ضعفاء، لكنهم حنطة وليس مصيرهم الحريق!

صحيح إن الحنطة تتألم كثيرًا من الزوان، لكن الرب أعلن أنهما سينميان معًا. فالوسط المحيط بنا مملوء بالأشواك والرب هنا يوجّه نظرنا إلى هـذه الحقيقة. وفي نشيد٢: ٢ بعدما اعترفت العروس بأنهـا «سوسـنة»، أيّـد العريس اعترافها وأعلن أنها سوسنة واحدة وحولها أشواك من كـل جهـة «كالسوسنة بين الشوك». ويد الحكيم هي التي رتّبت هذا، ويقينًـا لخيرنـا.

فنحن عُرضة للزهو والتباهي والارتفاع، لذا سمح الحكيم بالأشواك حولنا لحفظنا من ذواتنا ولنرفع رؤوسنا لفوق، لنطلب عونًا ولتتوق قلوبنا لمجيء سيدنا واجتماعنا إليه. صحيح قد نتألم من وخزات الشوك «الزوان»، لكنها تدفعنا للتضرع للرب، كما تضرع بولس مرات من أجل الشوكة، إلى أن أدرك الخير الذي وهبه الرب له من وراء الوخزات. فوجود السوسنة بين الشوك، مع أنه مؤلم، لكن له بركات ووجود الحنطة مع الزوان هو بحكمة من الحكيم الذي قال: «دعوهما ينميان كلاهما معًا». فنحن سننمو، برغم وجود زوان حولنا وسنرفع رؤوسنا لفوق وربما نؤثر فيمن حولنا وبصبرنا وشكرنا وصلاتنا «ننمو معًا». ولا ننس أن هناك وقتًا للحصاد وأن نجاتنا قد اقتربت وقد تناهى الليل وتقارب النهار وسيأتي وقت الحصاد «وفي وقت الحصاد» سيرسل رب الحصاد الحصادين «وفي وقت الحصاد أقول للحصادين: اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزمًا وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني». فما هو وقت الحصاد؟ ومَن هم الحصادون؟ وهل كما كانَا ينميان معًا، سيُحصدان معًا؟ الإجابة على هذه الأسئلة أتت من فم الرب نفسه في تفسير المثل: «فأجاب وقال لهم: الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان. والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان بنو الشرير. والعدو الذي زرعه هو إبليس. والحصاد هو انقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة» (مت١٣: ٣٧- ٣٩).

بقي إجابة سؤال: **هل الحنطة والزوان سيُحصدان معًا؟**

الإجابة في مزمور١: ٥ «لا يقوم الأشرار في الدين ولا الخطاة في جماعة الأبرار»، فالحنطة والزوان هنا معًا، لكن وقت جَمْع الحنطة لن يكون معها زوان. وفي متى٣: ١٢ المعمدان يقول عن الرب يسوع: «الذي رفشه في يده، وسينقِّي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ». وفي نفس الأصحاح في مثل الشبكة المطروحة في البحر يقول الرب: «هكذا يكون في انقضاء العالم. يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء

وصرير الأسنان» (مت١٣: ٤٩، ٥٠).

ويلاحظ أن الزوان يُحزَم «احزموه حزمًا ليُحرق»، بتنوع أوساطهم الاجتماعية أو رتبهم السامية أو ألقابهم الشرفية وأوسمتهم أو درجاتهم العلمية أو الدينية الشكلية الاسمية «حزمًا، حزمًا» إلى الوقيد «وأما الحنطة» فتُجمَع «فاجمعوها إلى مخزني»، بكل عناية ورفق، فيكفيها ما نالته من الزوان هنا. وفي متى ١٣: ١٢ «يجمع قمحه» حَبة، حَبة وبكل حُب وعناية «وحبة لا تقع إلى الأرض» (عا٩: ٩).

ويجب أن نعرف أن حتى جمع الزوان ليس على مرة واحدة، بل من رؤيا ١٤: ١٤– ٢٠ نرى الرب وثلاثة ملائكة آخرين ينفذون عملية القضاء، وهذا يتفق مع كلام الرب هنا «الحصادون هم الملائكة». فحصيد الأرض – وكما نعرف – هو دينونة مميِّزة بين القمح والتبن أو الحنطة والزوان هنا، لذا نقرأ عن المنجل: «وإذا سحابة بيضاء، وعلى السحابة جالس شبه ابن الإنسان، له على رأسه إكليل من ذهب، وفي يده منجل حادٌ»، ثم يكمل: «إذ قد يبس حصيد الأرض» (رؤ١٤: ١٥)، ثم «أرسل منجلك الحاد واقطف عناقيد كرم الأرض» (رؤ١٤: ١٨). ومن هنا نفهم أن هناك «حصيد الأرض» و«حصيد كرم الأرض». فحصيد الأرض له صفة أوسع وأشمل، فهو يشمل كل العالم، لكن حصيد كرم الأرض له صفة محددة، فهو مرتبط بالأُمَّة اليهودية المرتدة. فإن كانت دينونة «حصاد الأرض» دينونة مميزة فيها يميز الرب الحنطة من الزوان، والخراف من الجداء، لكن في «حصيد كرم الأرض»، فالقضاء سيقع على الأُمَّة اليهودية التي صارت كرمة خربة لارتدادها وسيرها وراء النبي الكذَّاب في ذلك الحين. والأرض هي أرض إسرائيل والمدينة مدينة أورشليم «فألقى الملاك منجله إلى الأرض وقطف كرم الأرض، فألقاه إلى معصرة غضب الله العظيمة. وديست المعصرة خارج المدينة، فخرج دم من المعصرة حتى إلى لجم الخيل، مسافة ألف وستمئة غَلوة» (رؤ١٤: ١٩، ٢٠). والألف والستمئة غَلوة تساوي ٣٢٠ كم (الغَلوة تساوي ٢٠٠ متر تقريبًا)، وهي طول أرض إسرائيل من دان في

الشمال إلى بئر سبع في الجنوب.

وإن كانت الدينونة مميزة سواء بين الحنطة والزوان أو بين حصيد الأرض وحصيد كرم الأرض، لكن مجدًا للرب! لأن الذي في المسيح يسوع ليس عليه دينونة بالمرة «إذًا لا شيء من الدينونة الآن على الذين في هم في المسيح يسوع» (رو٨: ١).

فليت كل نفس تُصغي إلى صوت الفادي وتهرب من الغضب الآتي.

مَثَل الكَنْز المُخفَى

(مت ١٣:٤٤)

«أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفًى فِي حَقْـلٍ، وَجَـدَهُ إِنْـسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْـلَ » (مت١٣: ٤٤).

هذا هو المثل الخامس من أمثال ملكوت السماوات السبعة الواردة في متى ١٣ وهو يتطابق مع الكنيسة الخامسة من الكنائس السبع في سفر الرؤيا وهي كنيسة ساردس (رؤ٣: ١– ٦)، والتي قدّم الرب نفسه لها: «الذي له سـبعة أرواح الله والسبعة الكواكب»، ولم يقل إنه المُمسك السبعة الكواكب، كما قدّم نفسه إلى ملاك كنيسة أفسس (رؤ٢: ١). والسبب في ذلك الاختلاف أنه في زمن كنيسة أفسس الذي بدأ من أيام الرسل وحتى عام ١٦٧م. كـان الـرب يأخذ مكانه ومكانته الصحيحة كرأس الكنيسة وكان كل اعتمادهم عليه. أمـا الحال في كنيسة ساردس، فالرب يوجّه لها اللوم لا سيما من جهة الأعمـال، فيقول: «لم أجد أعمالك كاملة»، بل كان لها اسم أنها حيَّة، أي فـي عيـون الناس، ولكن في حقيقة الأمر هي ميتة، أي أنظمة بلا حياة، ومع ذلك، فقـد وجدت أسماء قليلة أي أفراد قليلون تمسكوا بالحق «ولم ينجسوا ثيابهم» وهذا هو وجه الشبه بين هذه الكنيسة وهذا المثل «عندك أسماء قليلة في ساردس لم ينجسوا ثيابهم» (رؤ٣: ٤). والجميل إن معنى كلمـة سـاردس "بقيـة" أو "الباقون" أو "القليلون"، وهم المُشار إليهم في هذا المثل بالكنز. فهنا نـرى

«كنزًا مُخفَى في حقل»، والكنز صغير والحقل كبير «والحقل هو العالم» (مت١٣: ٣٨)، هذا ما قاله الرب عندما تقدم إليه تلاميذه قائلين: «فسِّر لنا مثل زوان الحقل» (مت١٣: ٣٦).

إذًا الحقل هو العالم، **لكن ما هو الكنز الذي في العالم؟** الكنز عبارة عن مجموعة من الحجارة الكريمة، فهو يمثل المؤمنين أفرادًا، والمؤمنون في العالم والعالم لا يعرفهم «كمجهولين ونحن معروفون» (٢كو٦: ٩)، **ولماذا لا يعرفنا العالم؟** لأننا نلتصق بسيِّدنا الذي لم يعرفه العالم. فقد لا يكون لنا اسم في هذا العالم، لكن الرب يعرفنا بأسمائنا وهذا ما قاله لملاك كنيسة ساردس: «عندك أسماء قليلة في ساردس لم يتنجسوا». فهؤلاء القليلون انفصلوا عن شر العالم الذي هو الحقل، لكنهم ملتصقون معًا بالمحبة وملتفون حول الكتاب ومختفون عن أعين العالم الذي لا يعرف إلا خاصته ولا يقدِّر إلا أتباعه. فحياة الإيمان تفصِل وتوصِّل، أي تفصل المؤمن عن أهل العالم، لكنه لا يعيش منفردًا، بل كما قال بولس بولس لتيموثاوس ابنه في الإيمان: «أما الشهوات الشبابية فاهرب منها». أي انفصل عنها وعن فاعليها، لكنه أكمل: «واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام»، ولن تجد نفسك وحيدًا، بل متصلاً بآخرين مثلك «مع الذين يدعون الرب من قلب نقي» (٢تي٢: ٢٢).

فالكنز الذي هو جماعة المؤمنين أي الكنيسة «مُخفَى في حقل»، وكلمة «مُخفَى»، تشير بالرمز إلى أن هذا الكنز لم يكن معروفًا من قبل؛ أي إن الكنيسة كانت «السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح» (أف٣: ٩). فالكنيسة هي السر الذي أُستعلن على الأرض؛ أي لم يشأ الله أن يقدم عنه ولو رمزًا كسائر الرموز في العهد القديم ولو من طرف خفي، فهذا السر هو الكنز المُخفَى. لكن يُلاحظ دقة الوحي، فالسر لم يكن مكتومًا في الكتاب، بل «في الله»، «السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع». فقد بقي هذا السر في فكر الله، منتظرًا التدبير الذي سيُعلن فيه هذا السر. فهذا السر الذي في فكر الله الأزلي «حسب قصد الدهور الذي (قصده) في المسيح يسوع ربنا» (أف٣: ١١). لكن الكنز يختلف كل الاختلاف عن

اللؤلؤة. فاللؤلؤة لا يمكن أن تُكسَر وإلا فقد قيمتها وجمالها. وعليه فاللؤلؤة نرى فيها وحدة الكنيسة أو جمال الكنيسة في اتحادها. أما الكنز ففيه أنواع كثيرة من أشياء ثمينة، سواء أحجار كريمة بأحجام مختلفة أو ربما نقود من فئات مختلفة. وهنا يتجلّى جمال الكنز في التفافه وتجمعه، رغم اختلاف أحجاره، لكن لكل جزء أو فرد فيه قيمة ثمينة جدًا في نظر الله.

«وجده إنسان، فأخفاه»، والإنسان في هذا المثل هو ابن الإنسان الرب يسوع المسيح نفسه الذي يقدِّر هذا الكنز ومن حرصه على هذا الكنز رتَّب أن يكون هذا الكنز مخفيًا أو مستورًا أو مستترًا «لأنكم قد مُتم وحياتكم مُستترة مع المسيح في الله» (كو٣: ٣)، لكن حياة الاستتار هي إلى حين «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضًا معه في المجد» (كو٣: ٤).

لكن ماذا فعل هذا الإنسان بعدما وجد الكنز وأخفاه؟ «من فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل». ما أروع كلمة «من فرحه»! لقد اشترى الحقل كله لأجل الكنز الذي له فيه. واشترى ودفعَ الكلفة بسرور «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت» (مز٤٠: ٨). فقد تقدم طوعًا واختيارًا ليصنع الفداء، «جعل جبهته كالصوان»، «واحتمل الصليب مستهيناً بالخزي»، «وهو عالم بكل ما سيأتي عليه»، «ثبَّت وجهه لينطلق إلى أورشليم» (لو٩: ٥١). إنها المحبة الفائقة المعرفة. وإن كان تقدير الروح القدس لمحبة الرب يسوع أنها «فائقة المعرفة» (أف٣: ١٩)، فكأن تقدير الروح القدس أنه لا يمكن معرفة هذه المحبة وكُلفتها إلا بأن «يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا» لكي يتسنى لنا معرفة أغوار هذه المحبة، التي في حقيقة الأمر إننا لم نصل إلى نهايتها ونحن هنا في محدودية أجسادنا وأفكارنا.

لقد اشترى الحقل؛ أي العالم كله، لأجل الكنز الذي له فيه. وهناك فرق بين الشراء والفداء، فالرب يسوع بموته على الصليب اشترى الحقل بمَن فيه حتى ناكريه أيضًا، ففي ٢بطرس ٢: ١ يذكر الوحي: «سيكون فيكم أيضًا معلِّمون كذبة، الذين يدسُّون بدع هلاك. وإذ هم يُنكرون الرب الذي اشتراهم، يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا». لقد اشترى الحقل بكل مَن

فيه، وكل إنسان في هذا العالم مدين بحياته للرب الذي اشتراه، لكن مَن يرفض فداء الرب يسوع، يجلب على نفسه هلاكًا سريعًا. فالشراء عمومي، لكن الفداء يخص الذين يقبلونه. الله أحب العالم «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦). فالدعوة مقدمة لكل العالم لكن «الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد» (يو٣: ١٨). ويجب أن نعرف أن الذي اشترى له حق ملكيته وبحق الكُلفة التي دفعها له وحده حق أن يوقِع القضاء على الذين يرفضونه «فالآب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن» (يو٥: ٢٢).

البعض فسّر هذا المثل خطأ، فقالوا إن الكنز المُخفَى في الحقل هو الرب يسوع المسيح، والإنسان الذي يجده عليه أن يبيع كل ما له ليربحه، يا للعجب!! هل الرب يسوع عُلِّق في زاوية مخفيًا؟ أم على رابية عالية في الجلجثة كتلك الحيَّة النحاسية التي رفعها موسى في البرية وكل مَن نظر إليها يحيا؟! كيف يكون الرب يسوع مخفيًا في الحقل وهو الذي قسمَ العالم بمجيئه قسمين: قبل الميلاد وبعد الميلاد؟! مَن الذي لا يعرف أن المسيح جاء إلى العالم؟ صحيح إنهم يرفضونه، لكنهم يعرفونه وهو ليس مخفيًا، بل مرفوضًا، ثم إن الرب لم يطلب من تابعيه أن يبيعوا كل ما لديهم ليكون هو نصيبهم، وإن كان قد قالها مرة للشاب الغني، فذلك لأنه عرف ضربة قلبه ومحبته للمال والرب أراد أن يضعه تحت الامتحان «اذهب وبعْ أملاكك». ثم إنه حتى لو باع الإنسان كل ماله، فالمال لا يستطيع شراء المسيح. فبكم يُشترَى المسيح؟! بسيارة أو بعمارة أو بعقار!! الحقيقة إن المال سمَّاه الرب يسوع «مال الظلم»، لذا لا يمكن أن يشتري أي شيء سماوي أو أبدي، فكيف لأحد أن يشتري به المسيح؟!

أخي ..

الأمور الروحية لا تُشترَى، بل تُؤْخَذ بالنعمة دون مقابل، كما أن فكر الشراء في الكتاب معلَنٌ في دعوة الرب الواردة في إشعياء٥٥: ١ «أيها

العطاش جميعًا هلُمُّوا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا. هلُمُّوا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن»، فالنعمة دون مقابل من جهتنا، لكن الكلفة كانت عظيمة من جهة الرب يسوع المسيح «وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (في٢: ٧).

فيجب أن نعلم أن أفخر عطايا الله تُقدَّم مجانًا لأن الثمن قد سُدد على الصليب. كيف خلص اللص التائب؟ التفتَ، فخلصَ «التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر» (إش٤٥: ٢٢)، ونرى في هذه الآية: أعظم بركة، بأبسط وسيلة، لأكبر تجمع، من أعلى سلطة.

وبما إنه اشترى الحقل لأجل كنزه الذي فيه، إلا إنه وبعد أن يأخذ كنزه منه، سيحرث هذا الحقل وسيقضي على الأشرار الذين لم يقدّروا محبته وموته ورفضوا أن يملك عليهم. أما الآن فما زال الباب مفتوحًا والنعمة تقبل كل مَن يقبِل، والدعوة للعطاش جميعًا وهي دعوة قلب مُحب لا يريد أن يهلك أناسٌ، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة.

ومن الجهة التدبيرية الخاصة بالشعب الأرضي، الكنز يَرمز إليهم؛ لأنه مكتوب في خروج١٩: ٥ «تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب»، وكلمة «خاصة» أي كنز، لكنه كان مُداسًا في مصر، وبعد السبي شُتِّت في كل العالم «البحر»، لكن وكما أن الكنز لا يختلط بالحقل، هكذا هذا الشعب الذي شبهه الكثيرون بالزيت الذي لا يختلط بالماء، فهم يَجمعون بعضهم في أماكن أو أشغال أو أحياء كي لا يختلطوا بالشعوب التي هم فيها. لكن سيأتي اليوم الذي يحرث الرب العالم ويُنادَى ببشارة الملكوت بعد اختطاف الكنيسة ويرجع كثيرون من شعبه بالتوبة وستنتظرهم بركات حال رجوعهم للرب. وسيأخذ كنزه ويملك عليهم وعلى كل الأرض. فهم الآن مختبئون في الحقل ومشتَّتُون في العالم، لكن سيُخرجهم من الخفاء ويملك عليهم.

مَثَل اللؤلؤة

(مت ١٣: ٤٥ و٤٦)

«[٤٥]أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً، [٤٦]فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا» (مت١٣: ٤٥ و٤٦).

«أيضًا يشبه ملكوت السماوات»، هذا هو المثل السادس من أمثال ملكوت السماوات والذي يتفق مع الكنيسة السادسة من الكنائس السبع في سفر الرؤيا وهي كنيسة فيلادلفيا التي تعني «المحبة الأخوية». ويمكن أن نقول: إن فيلادلفيا هي نهضة صراخ نصف الليل (مت٢٥: ٦). ونحن نعلم أن الكنائس الأربع الأخيرة ستستمر إلى مجيء الرب، ثياتيرا وساردس تمثلان نظامين هما: البابوية والبروتستانتية، أما فيلادلفيا ولاودكية فهما يمثلان حالتين أدبيتين، ففي فيلادلفيا يعلن الرب رضاه لهذه الحالة الأدبية، لكن في لاودكية يعلن مقته لفتورها. فكنيسة فيلادلفيا ونهضتها وتمسكها بحقيقة مجيء الرب والحق الخاص بالكنيسة التي هي جسده وعروسه يميزها التمسك بالكلمة الأزلي ابن الله والتمسك بالكلمة المكتوبة والوحي اللفظي. وهذا هو وجه التشابه بينها وبين هذا المثل «مثل اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن». فالكنيسة هي هذه اللؤلؤة في وحدتها وجمالها والثمن الكريم الذي دُفع فيها ومحبتها لشخص يسوع المسيح الذي اشتراها بدمه الكريم.

والرب يستحضر نفسه لملاك كنيسة فيلادلفيا في صفاته الجوهرية

«القدُّوس الحق» وأيضًا صاحب السلطان «هذا يقوله القدُّوس الحق، الذي له مفتاح داود، الذي يفتح ولا أحد يُغلق، ويُغلق ولا أحد يفتح» (رؤ٣: ٧).

لأن هذه الكنيسة سلكت بالانفصال عن العالم، ففتح الرب باب كنوز الكلمة لها وهي حفظت كلمته وتمسكت بها ولذا يعلن الرب لها: «وسيعرفون أني أحببتك» (رؤ٣: ٩)، وهذا أيضًا وجه شبه واضح بين فيلادلفيا واللؤلؤة الواحدة التي من محبته «باع كل ما كان له واشتراها».

فإن كنا قد رأينا في المثل الصغير، مثل الكنز قيمة المؤمن الفرد في عيني الرب، فهنا في هذا المثل القصير أيضًا سنرى قيمة الكنيسة في وحدتها في عيني الرب.

«أيضًا يشبه ملكوت السماوات إنسانًا تاجرًا يطلب لآلئ حسنة»، هنا أمر لافت للانتباه. ففي مثل الكنز يشبه «ملكوت السماوات كنزًا» (مت ١٣: ٤٤)، فالملكوت هناك هو المشبه بالكنز، أما هنا، فالوحي اللفظي يقول: «يشبه ملكوت السماوات إنسانًا تاجرًا»، فالحديث هنا بأكثر تفصيل عن الرب يسوع المسيح وعن مهره الذي سيدفعه، الذي يمهر به عروسه «اللؤلؤة الواحدة» التي هي في الأساس من الأمم الخارجين من بحر العالم وإن كانت من رغيفين: يهود وأمم، لكن الصفة الغالبية للكنيسة هي أنها مدعوة من الأمم، وفي أعمال ١٥: ١٢– ١٤ «بعدما سكت الجمهور كله وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم وبعدما سكتا، أجاب يعقوب قائلاً: أيها الرجال الإخوة اسمعوني: سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منهم شعبًا على اسمه». ويعقوب هو أخو الرب، كما ذُكر في غلاطية ١: ١٩ وكان مشهودًا له بتقواه، وما يقرره يعقوب هنا ما يميز عمل الله الآن بالنعمة بافتقاد الأمم وأخذ مؤمنين له منهم. وعبارة: «ليأخذ منهم» تعني أن الإنجيل هدفه استحضار شعب واحد للإيمان بالرب يسوع من كل الأمم. وهذا الشعب يكوّن الكنيسة، فهم المشار إليهم في هذا المثل «باللؤلؤة» التي يبحث عنها «إنسان تاجر»، فالإنسان التاجر هو ابن الإنسان ورب الإنسان وهو تاجر

يعرف تجارته جيدًا ويحسن تقييم اللآلئ، لكن له في فكره صورة جميلة للؤلؤة، يبحث عنها وطال البحث وطال الزمان إلى أن «وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن». **أين وجد اللؤلؤة؟** في البحر. **هل سيشتري البحر لأجل اللؤلؤة، كما اشترى الحقل لأجل الكنز الذي فيه؟** كلا! لأن هناك فرقًا بين الشراء والفداء. فالشراء عمومي والرب اشترى العالم، أما هنا فاللؤلؤة الواحدة هي التي ستُشترى لتفتدَى، فأخذها واشتراها وافتداها وتغيّر حالها لأنه أحبها ورأى فيها جمالاً وجاذبية ولم يشترِ شيئًا معها، فقد اكتفَى بها حتى إنه «مضى وباع كل ما كان له واشتراها»، لتكون له وله وحده. وبما إنها لؤلؤة واحدة، فبكاملها له وهذا ما يفرقها عن الكنز. وهو في محبة لا قياس لها رآها جميلة في عينيه وليس فيها عَيبة وكأنه يناجيها: «كُلكِ جميل يا حبيبتي ليس فيكِ عَيبة» (نش٤: ٧). هذا لأن محبته لها سترت عيوبها في عيونه. فما أعجبها محبة جعلته "مضى وباع كل ما كان له واشتراها"!

والسؤال: **مضى إلى أين؟** إلى الصليب حتى يضحي بكل شيء ويقتنيها بدمه. فالفرق واضح بين شراء الحقل لنوال الكنز وبين ما تم مع اللؤلؤة من شراء وفداء وامتلاك. فالشراء نقل ملكية وهذا ما تم في مثل الكنز، أما الفداء والتبرير فهو إطلاق إلى الحرية. فاللؤلؤة «واحدة كثيرة الثمن" والشراء كان بدفع الثمن. فقد بذل الشاري نفسه وأعطى كل ما تستطيع المحبة أن تعطي. فقد أسلم نفسه لأجلها «لكي يقدسها، مطهرًا إياها بغسل الماء بالكلمة»، وفي هذا قد جعل الكنيسة لائقة به أدبيًا. فهو أحبها ويريد أن يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب (أف٥: ٢٧). وهنا نرى ثلاث خطوات: ففي الماضي «أسلم نفسه لأجلها»، أي «مضى وباع كل ما كان له»، وفي الحاضر يطهرها «مطهرًا إياها بغسل الماء بالكلمة»، لكن في المستقبل «سيحضرها لنفسه»، فالذي اشترى وطهَّر، قلبه مشتاق، منتظرًا تلك اللحظة التي فيها يأتي ليأخذها لنفسه، لأنه قد خصصها لنفسه وهي لها قيمة في عينيه، فهي «كثيرة الثمن»، وقد اختارها ودفع كلفة الاختيار للامتلاك. فإن

أفسس ٥: ٢٥ تذهب بنا لفهم أمر عن الكلفة، فباع كل ما كان له تعني أسلم نفسه لأجلها، أي بذل حياته، فالثمن عظيم وقد دفعه الرب يسوع وكل الغنى الذي كان له كالابن في بيت الآب قد دفعه، أي من قمة الغِنى إلى الهزء والخزي والفقر والعار كيما يمتلكها!!

ففي تشبيه التاجر واللؤلؤة نرى صورة الرب يسوع وكنيسته تذكرنا بما جاء في ٢كورنثوس ٨: ٩ «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنت بفقره». نعم افتقر الغني لأجلنا، فهو «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢).

وهنا يأتي السؤال: **كيف تنشأ اللؤلؤة؟** عندما يدخل جسم غريب داخل المحار الذي هو كائن حي، فيبدأ المحار يتألم ألمًا شديدًا، ويبدأ في إفراز مادة تحيط بهذا الجسم الغريب، ليحمي نفسه ويلتف ويحوصل نفسه داخل المحار، فتتكون اللؤلؤة. وكلما كانت الآلام شديدة، وكلما كانت المعاناة، كلما كبرت اللؤلؤة داخل المحار، وهذا ما حدث: فلكي تتكون الكنيسة، تألم القدوس البار وعُلق على الصليب وسكب للموت نفسه وشُوي بنار العدل الإلهي وتكونت اللؤلؤة التي اُشتريت بهذا الثمن الكريم، بعدما قُبر وقام وأرسلَ الروح القدس.

سؤال آخر: **هل يمكن أن تُكسر اللؤلؤة وتحتفظ بقيمتها؟** مستحيل! قيمة اللؤلؤة في أنها واحدة لا يمكن تجزئتها وإلا فقدت قيمتها وجمالها، ولذا لا توجد كنيسة مجاهدة وكنيسة منتصرة، فالكنيسة «عروس المسيح» واحدة وجمالها في وحدتها وهي تجاهد وتسير في موكب نصرة مَن اقتناها «شكرًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين» (٢كو٢: ١٤).

إن اللؤلؤة التي اُشتريت بالثمن الكريم تقدِّر مَن اشتراها، والرب يسوع المسيح يدرك المكانة التي له في قلب وعواطف من أحبهم وأسلم نفسه لأجلهم، وهم لهم ضمانات في شدة قوته. فاللؤلؤة التي اقتناها تثق في محبته، تلك المحبة التي استطاعت أن تواجه الموت وقتما «مضى وباع كل

ما كان له ليشتريها»، واشتراها، «فإنه ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣)، وهذا ما تمّمه ابن الله، فما أعجبها محبة وما أثمنها كلفة! «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا» (١يو٣: ١٦)، ولذا يحق لكل واحد فينا أن يقول: «ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠).

مَثَل الشبكة المطروحة

(مت ١٣: ٤٧-٥٠)

«[٤٧]أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي الْبَحْرِ، وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. [٤٨]فَلَمَّا امْتَلأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى الشَّاطِئِ، وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا الْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ، وَأَمَّا الأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجًا. [٤٩]هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَيُفْرِزُونَ الأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الأَبْرَارِ، [٥٠]وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (مت١٣: ٤٧- ٥٠).

هذا هو المثل السابع والأخير من أمثال ملكوت السماوات والذي يتطابق مع الرسالة إلى ملاك كنيسة لاودكية (رؤ٣: ١٤- ٢٢). ولاودكية تعني "حُكم الشعب" أو "الديمقراطية". وهي عكس كنيسة فيلادلفيا التي رأينا فيها التمسك الشديد بالمكتوب وعدم إنكار اسم الرب يسوع وانتظار مجيئه. وأيضًا رأينا الرب متنازلاً ليسد إعواز خاصته ويظهر لهم ذاته. أما في لاودكية، فلا نجد قلبًا مخصصًا للرب يسوع المسيح، بل نجد عدم الأمانة له. فالروح اللاودكية تمثل ما ستكون عليه المسيحية عندما تنضج للدينونة بروح عدم المبالاة والتهاون والادعاء الفارغ والانتفاخ. هذه الكنيسة تمثل الدور الأخير لتاريخ الكنيسة النبوي على الأرض، الذي سينتهي به الحال بالارتداد المشار إليه بالقول: «يتقياها من فمه».

«أيضًا يشبه ملكوت السماوات شبكة مطروحة في البحر». البحر في

الكتاب يشير إلى العالم والأشرار وفي إشعياء ٥٧: ٢٠ يصوِّر الهيجان الرديء للأشرار، فيقول: «أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ، وتقذف مياهه حمأةً وطيناً».

لكن وسط هذا العالم المضطرب طُرحت شبكة. **فما هي الشبكة؟ ومَن الذي طرحها، ومتى؟** الشبكة المطروحة في البحر عبارة عن المناداة بالإنجيل وبشارة النعمة، والذين يطرحون الشبكة هم الصيادون أي الخدَّام والمبشِّرون. والشبكة لا تجمع كل سمك البحر، بل ما يُجمَع في الشبكة مهما كبرت كمية ضئيلة جدًا بالنسبة إلى السمك الذي في البحر، بل وحتى ما يُجمَع في الشبكة ليس كله جيدًا، فهي «جامعة من كل نوع».

وفي متى٤: ١٨– ٢٢ «كان يسوع ماشيًا عند بحر الجليل أبصر أخوين: سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر، فإنهما كانا صيادين. فقال لهما: هلُمَّ ورائي فأجعلكما صيادي الناس. فللوقت تركَا الشباك وتبعاه. ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين: يعقوب ابن زَبْدي ويوحنا أخاه، في السفينة مع زَبْدي أبيهما يُصلحان شباكهما، فدعاهما. فللوقت تركَا السفينة وأباهمَا وتبعاه».

لقد كانوا صيادين للسمك، والرب حوّلهم بالدعوة إلى صيادين للنفوس من بحر العالم. أي إن مهنة الصيد كانت إعدادًا خاصًا وتجهيزًا للعمل العظيم في صيد النفوس.

ومهنة الصيد تتطلب الصبر والتعب المستمر والانزواء والاختفاء والثبات والحكمة في دراسة البحر. هذه كلها مجتمعة ارتبطت معًا لتُستخدَم بحكمة في التعامل مع النفوس. ومن هذا نتعلَّم أن حتى أعمالنا الزمنية وثقافاتنا وخبراتنا السابقة أو حتى ضيقاتنا وآلامنا وتجاربنا كلها معًا يستخدمها الرب حين يرسلنا للخدمة. فالصياد الذي تعلَّم الصبر يقدر أن يحتمل ويعيش ما جاء في ٢كورنثوس٦: ٤: «في كل شيء نُظهر أنفسنا كخدَّام الله في صبر شديد ... في أتعاب في أسهار»، بل حتى عندما يتعرَّض الخادم لضيق، يعرف كيف يعيش عبارة: «صابرين في الضيق» (رو١٢: ١٢) ونحيا الثبات

رغم الصعوبات والتحديات أو رغم المقاومات التي نواجهها. وفي إرميا١: ٥ آية ترينا أن الله يعمل من خدامه، ليس فقط منذ وجودهم في العالم، بل مِن وهم في الأرحام؛ أي أعدَّ الأسُرة التي ينشأ فيها الخادم، فيقول لإرميا: «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك». فداود مثلاً تربّى في بيت راعٍ ومن صغره يرعى وكان الله يعده حتى وهو يرعى غنم أبيه، ودرَّبه الرب في السر للخدمة التي دعاه إليها، وحتى حين جاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع، خرج وراءه وأنقذها من فمه وقتلهما، فاختبر أمورًا كثيرة منها: إن الراعي يجب أن يكون يقظًا كل الوقت، كما أنه اختبر غلاوة القطيع على قلب الراعي وكل هذا كان إعدادًا من الرب له. وبولس في غلاطية ١: ١٥ أدرك أن حتى الجو الديني المتشدد الذي تربَّى فيه وحتى اضطهاده للمؤمنين وقسوته عليهم، جعله لا يفشل من نعمة الله ودعوته، فقال: «لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته». ولوقا الذي كان طبيبًا استخدمه الرب بنفس ثقافته ورافق بولس، كما وجّه نصيحة طبية إلى تيموثاوس وكان له دور هام وسطهم. وكطبيب درس كثيرًا عن هشاشة الإنسان ورأى جبابرة يموتون في لحظة وربما رأى في اليوم الواحد صبيًا يموت وشابًا يموت وشيخًا يموت واستخدم الرب كل هذا في كتاباته. حتى ثقافته واضحة في كتاباته وانفرد بعبارات لوصف حالات المرض مثل: «حمى شديدة» (لو٤: ٤٨). «كانت في حال الموت» (لو٨: ٤٢)، «مملوءً برصًا» (لو٥: ١٢)، وكلها وصف للمرض.

قسْ على ذلك كل المهن، فالنجّار كيف يشكل أروع الأشكال من خشبة ولكن بعد أن يزيل خشونتها، والمزارع كيف يطول انتظاره وسهره، حتى تنبت النبتة التي زرعها وكيف يهتم بها حتى تنمو وكيف يفرح بنموها أمامه. والخزّاف وما يتعلَّمه عن كيفية التشكيل والمُمحص والقصَّار (ملا٣: ٢، ٣).

إذًا الشبكة المطروحة في البحر هي زمان النعمة والمناداة بالإنجيل لكل العالم مدة غياب السيد، والذين يطرحون الشبكة هم الصيادون الذين دعاهم الرب وأرسلهم وأعدهم لذلك وقال لهم: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر١٦: ١٥).

وكون الشبكة المطروحة في البحر جامعة كل نوع، فهذا يعود إلى لاويين١١ لنعرف أن هناك سمكًا رديئًا بحسب الناموس لا يُؤكل، وسمكًا جيدًا يُؤكل. وإن كان الناموسي كان يمتنع أو يأكل دون أن يفهم لماذا وما المدلول لما يفعل، إلا إننا نحن في زمن النعمة لنا في كل ما ذُكر تعليم رائع، فهناك أمران لازمان للسير في بحر العالم، يتعلم المؤمن منهما دروسًا «وهذا ما تأكلونه من جميع ما في المياه: كل ما له زعانف وحرشف في المياه، في البحار وفي الأنهار من كل دبيب في المياه ومن كل نفس حية في المياه فهو مكروه لكم» (لا ١١: ٩، ١٠). والزعانف والحرشف لازمان لإمكان السير في المياه، فالزعانف لتتحرك بها السمكة في الماء، فلا تسير فقط مع التيار، والحرشف يعد طبقة واقية تحمي من تأثير الماء عليها، فلا تتآكل بفعل ملوحة الماء.

وهذا ما يجب أن يتصف به كل مؤمن في بحر هذا العالم، فنحن نحتاج لقوة روحه تقودنا وتدفعنا للسير للأمام (زعانف) ونحتاج إلى قوة تحفظنا من أن يدخل العالم إلينا (حرشف)، نحتاج قوة هجوم (زعانف) وقوة دفاع (حرشف)، كما أن الزعانف تجعلنا نسلك ضد التيار وتدفعنا أيضًا للأمام بقوة والحرشف يحمينا من مشاكلة العالم، فنسير في العالم، لكن العالم لا يدخل إلينا بأباطيله ومغرياته أو تعاليمه.

فالشبكة المطروحة في البحر هي بشارة النعمة التي تصل العالم. وبالفعل وصلت البشارة وامتلأت الشبكة وصارت دول كثيرة تدين بالمسيحية كالديانة الرسمية لها.

«فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ»، **مَنْ هم الذين أصعدوها؟** منطقيًا إن الصيادين الذين طرحوا الشبكة هم الذين أصعدوها. لكن ماذا فعلوا بعدما «أصعدوها على الشاطئ»؟ «جلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية». إن غاية ما يهمهم بعد كل هذا العناء والعمل الشاق هو الاعتناء بالجياد. لذا لم يتركوهم على الشاطئ، بل جمعوهم «إلى أوعية»، للاهتمام بهم وهذا مدلول «جلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية». والجلوس يدل على أن العمل والمتابعة يتطلب وقتًا وصبرًا وتدقيقًا. فالشبكة كان بها الثمين مع المرذول، أي الأشرار، كما

أن الخادم عليه أن يحرص أن الثمين أو الجياد هنا لا يبقى في وعاء واحد مع «الأردياء». وفي ٢كورنثوس٦: ١٤ يحذّر بولس المؤمنين في كورنثوس من الارتباطات العالمية بكل أنواعها، فيقول: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين». فالمؤمنون الحقيقيون يجب أن يرتبطوا بمؤمنين في كل علاقاتهم الاختيارية.

لقد اعتنى الصيادون بالجياد وجمعوه إلى أوعية ليأخذوا الوسائط اللازمة لحفظهم وهم بعد في العالم، فهو حفظ لوقت أو في الوقت الحاضر. ويجب ألا يتبادر للذهن أن الأوعية هي انضمام إلى طوائف، فهذا الفكر غير كتابي بالمرة، لكن الأوعية هي انضمام لشركة حقيقية لمعرفة الحق الكتابي وأن تصير النفس صحيحة في علاقتها مع الرب، بما يسمح الرب أن يكون له طريقه ومجده أو بعبارة أخرى إعطاء الحرية للرب والعمل بإرشاد قوة الروح القدس، طبقًا لمشيئته المعلنة في كلمته، دون وجود مؤثرات سلبية حول النفس.

لكن ماذا عن الأردياء الذين بالشبكة؟ ماذا سيفعلون معهم؟ إنهم لا يعملون أي عمل مع الأردياء إلا أن يخرجوها من الشبكة ويتركوها على الشاطئ «أما الأردياء فطرحوها خارجًا»، وهذا لكي يتمكنوا من غسل الشباك وتنظيفها. فالصيادون يعرفون جيدًا أهمية غسل الشباك مما يعلق بها من أعشاب أو أسماك عفنة أو رديَّة، لأن طبيعة السمك أنه يهرب من الشباك الغير نظيفة. فالسمك برغم زفراته وبرغم سباحته في بحر به قاذورات، إلا إنه يهرب من الشبكة التي بها رائحة رديَّة أو عفنة، لذا يهتم الصيادون بتنظيف الشباك تمامًا مثل اهتمامهم بإصلاحها. وفي لوقا ٥ نرى سمعان بطرس يعترف بليلة صيد فاشلة، فقد تعبوا الليل كله ولم يأخذوا شيئًا، فخرج الصيادون «وغسلوا الشباك» (لو٥: ٢)، لماذا؟ لأنهم أدركوا أن ربما تكون رائحة الشباك هي التي نفّرت السمك من الدخول فيها. فتنظيف الشباك وإصلاحها عمل شاق، لكنه لازم.

والصيادون هنا لا يعملون أي عمل مع الأردياء، إلا أن يتركوها على

الشاطئ «أما الأردياء فطرحوها خارجًا». فكما أوصى العبيد أن لا يقلعوا الزوان من بين الحنطة (مت١٣: ٢٩)، هنا نراهم لا يدينون الأردياء، بل يطرحونهم دون حفظ في أوعية، ذلك لأن الخدام والمبشرين ليسوا ديّانين للأشرار، فهذا ليس مفوضًا لهم، ومهما كان الخدام غيورين، لكنهم ليسوا مصلحين للعالم، ثم بعد ذلك تكلّم الرب عن ما صار للأردياء بعد طرحهم خارج الشبكة، فيقول: «هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار بين الأبرار ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»، وهكذا نرى أن عمل الملائكة هنا وخروجهم لإجراء الدينونة يختلف كل الاختلاف عن عمل الصيادين الذين كان جُل اهتمامهم «جمع الجياد إلى أوعية»، أما هنا فعمل الملائكة جمع الأردياء وطرحهم في أتون النار.

لكن متى سيقوم الملائكة بهذا العمل؟ عند انقضاء العالم، فبعد اختطاف الكنيسة لن يكون الخدام الذين طرحوا شبكة النعمة هنا، لقد اختطفوا واختطفت معهم الجياد الذين في الأوعية وبقي الأشرار مَن قُدمت لهم بشرى الخلاص في زمن النعمة، لكنهم رفضوها وأُغلق الباب عليهم.

لكن الرب يقول: «يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار»، **فمَن هم الأشرار هنا ومن هم الأبرار؟** الأشرار هم كل الأردياء الذين طُرحوا خارج الشبكة، أي مَن قُدمت لهم دعوة في زمن النعمة ورفضوها وتُركوا على الشاطئ. أما الأبرار فليسوا مؤمني عهد النعمة لأنهم أُخذوا بالاختطاف. فالأبرار هنا هم على الأرض بعد الاختطاف، فمَن هم؟ هم مختارو الله من اليهود وسيجتازون ضيقة في الأرض للتنقية، ثم يدخلون المُلك الألفي، لذا تأتي دقة الوحي بالقول: «يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار»، أي يأخذونهم «ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»، أما الأبرار فيبقون على الأرض ليدخلوا المُلك ويستمتعوا بكل البركات الأرضية في مدة مُلك الألف السنة، بعد تطهير الأرض من فعلة الإثم، سواء من اليهود المرتدين أو الأمم.

مَثَل الجدد والعتقاء

(مت ١٣: ٥١ و٥٢)

«[٥١]قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَفَهِمْتُمْ هذَا كُلَّهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، يَا سَيِّدُ. [٥٢]فَقَالَ لَهُمْ: مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُدًا وَعُتَقَاءَ» (مت١٣: ٥١، ٥٢).

عندما سأل الرب يسوع تلاميذه: «أ فهمتم هذا كله؟»، فما هو الذي أراد الرب أن يسألهم عن فهمهم له؟ إنها أمثال ملكوت السماوات السبعة التي تطابق تاريخ الكنيسة على الأرض (رؤ٢، ٣) أو ملكوت السماوات في صفته السرية وقد أُوكل وسُلّم للإنسان والتي شملها هذا الأصحاح (مت١٣) من أوله.

ويلاحظ اهتمام الرب يسوع المسيح وتركيزه على الفهم «أ فهمتم هذا كله؟» وهذا واضح من نفس الأصحاح وفي المثل المفتاحي أو الأساسي «مثل الزارع». ففي العدد ١٩ «كل مَن يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرع». ثم في العدد ٢٣ «أما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم وهو الذي يثمر». فالفهم مهم لا سيما في إنجيل متى، لأنه يكتب لليهود ولأن لديهم الناموس والكلمة، فالمطلوب فهمها.

وحين يقول الرب: «كل كاتب متعلِّم»، لأنه كان الكتبة في ذلك الوقت هم الطبقة المتعلمة بين الشعب وكانوا هم الذين ينسخون كلمة الله بكل تدقيق

ويعرفون الكلمة وموضوع «ملكوت السماوات» الذي تكلّم عنه أنبياء العهد القديم ولكنهم يجهلون وضع الملكوت في صورته السرية حيث الملك غائب عن ملكوته وهذا هو «الجُدد» الذي سنتكلّم عنه وعلى كل متعلِّم من الله الآن في دائرة «ملكوت السماوات»، أن يخرج من كلمة الله «جُددًا وعتقاء» ويربط بين الملكوت في نبوات العهد القديم وأسرار الملكوت التي تكلَّم عنها العهد الجديد «فيُخرج من كنزه جُددًا وعُتقاء».

فالرب يريد أن يحرِّض التلاميذ على أن يتحلُّوا بالإخلاص والغيْرة التي في الكتبة، مع الفارق أن يكون ولاؤهم وإخلاصهم ليس لليهودية كديانة، بل لما أفهمهم إياه وتعلَّمُوه منه، حتى يتمكنوا أن يعلموه لآخرين.

فهنا نرى التنوع المذخَّر لنا في طرق الله ومقاصده المعلنة في العهدين: القديم والجديد. نعم، فالكتاب المقدس بعهديه فيه كل الذخائر النفيسة التي بلا شك لفائدة وتعليم المؤمنين، لكنها في الوقت نفسه مذخَّرة لمسرة وشبع الحبيب «اللفَّاح يفوح رائحةً، وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة، ذَخَرتها لك يا حبيبي» (نش٧: ١٣). فالرب يُسر مِن «كل متعلِّم في ملكوت السماوات» أن يبحث عن النفائس الجديدة والقديمة، ليشبع الرب ويشبع شعب الرب.

فإخراج هذه الذخائر مسؤولية «كل كاتب مُتعلِّم»، وهنا إشارة لعمل وخدمة المُعلِّم.

والسؤال: **من أين يتعلَّم المُعلِّم؟** مِن الرب الذي قال: «تعلَّمُوا مني» (مت١١: ٢٩). لأن معلِّمنا واحد «لا تُدعَوا معلِّمين لأن معلِّمكم واحد المسيح» (مت٢٣: ١٠).

وفي رسالة أفسس نرى العطايا مُعطاة من الرب كالصاعد إلى العلاء «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشِّرين، والبعض رعاة ومُعلِّمين» (أف٤: ١١). فواضح أن الرسل والأنبياء أتموا خدمتهم وكتاباتهم، وخدماتهم أُودعت بين أيدينا لبنياننا «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء»، أما المبشِّرُون فعملهم مستمر. لكن ما يلفت النظر هو

دمج عمل الرعاة والمعلمين معًا «البعض رُعاة ومُعلِّمين»، لأنهما مُكمِّلان لبعضهما، فالراعي لا يقدر أن يتمّم خدمته الراعوية، بدون التزويد بالتعليم ولو أن المُعلِّم قد لا يكون راعيًا. فالرب رأس الجسد وهو مُعلِّم المُعلِّمين، يستخدم المُعلِّمين المُتعلَّمين منه لتقديم القوت، فيخرج المُعلِّم من كنزه «جُددًا وعُتقاء»، كل هذا «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح» (أف٤: ١٢)، وهذه الخدمة لن تنتهي إلا بمجيء ربنا يسوع المسيح ليأخذنا إليه وينتهي تاريخ الكنيسة على الأرض.

فإن كان الرب في هذا الأصحاح (مت١٣) بدأ أمثال ملكوت السماوات بمثل الزارع الذي خرج إلى الخارج ليزرع، وهذا هو عمل المبشِّر، فهنا أنهى الأصحاح بهذا المثل التوضيحي برجل رب بيت يعمل عمل المعلِّم في البيت، جامع بين المُبشِّر والمُعلِّم. والرب يسوع المسيح هو المُبشِّر الأعظم والمُعلِّم الأعظم، بل «ومَن مثله معلِّمًا؟!» (أي٣٦: ٢٢). فهو يتعامل مع النفوس في الحقل الذي هو العالم، ثم يدخل بمَن يخلِّصهم إلى البيت ليعلِّمهم ويُخرج لهم «من كنزه جُددًا وعتقاء»، حتى يخرجوا هم للحقل ويبشروا ويعلموا ويخرجوا للآخرين من نفس الكنز «جُددًا وعتقاء».

وعليه، فلا يمكن لأحد أن يُخرج من كنزه «جُددًا وعتقاء» لمَن في البيت، إلا ويكون قبلاً دخل من الباب. والرب في يوحنا١٠: ٩، يقول: «أنا هو الباب. إنْ دخل بي أحدٌ فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعًى»، أي لا يمكن أن يخرج إلا بعد أن يخلص ويدخل من هذا الباب لأن الرب يسوع هو الباب الوحيد لكل امتياز والدخول منه فيه الشبع، فتأخذ من فمه، ثم تخرج لشبع الآخرين. أما إذا خرج أحد من نفسه، دون أن يدخل من الباب، يتعلَّم من الرب ويخرجه الرب ليُعلِّم من في البيت فهذا «رجل مُبتدع ... قد انحرف، وهو يخطئ محكومًا عليه من نفسه» (تي٣: ١٠، ١١).

فمثل هذا المُبتدع قد انحرف عمدًا وفي داخله صوت يقول له إنه مخطئ، لكنه مستمر في الخطأ ولا يتمتع بالسلام وكأنه حَكَمَ على نفسه، دون أن يَحكم عليه أحد. ولذا في ٢تيموثاوس٣: ١٤– ١٧ يكتب بولس لابنه تيموثاوس:

«أما أنت فاثبت على ما تعلَّمت وأيقنت، عارفًا ممَّن تعلمت. وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة، القادرة أن تحكمك للخلاص، بالإيمان الذي في المسيح يسوع». ثم يعلن له أن «كل الكتاب هو موحًى به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر. لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهبًا لكل عمل صالح».

فسواء إن عملنا في الحقل أو في البيت بين المؤمنين، علينا أن نفتِّش الكتب لمعرفتنا أن كل الكتاب هو موحًى به من الله.

مَثَل الملك وعبيده في المسامحة

(مت ١٨: ٢١-٣٥)

«[٢١] حينَئذ تَقَدَّمَ إِلَيْه بُطْرُسُ وَقَالَ: يَا رَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّات؟ [٢٢]قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّات، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّات. [٢٣]لِذلِكَ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ. [٢٤]فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسَبَةَ قُدِّمَ إِلَيْه وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ آلاَف وَزْنَة. [٢٥]وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمَرَ سَيِّدُهُ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلاَدُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفَى الدَّيْنُ. [٢٦]فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ. [٢٧]فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ. [٢٨]وَلَمَّا خَرَجَ ذلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِدًا مِنَ الْعَبِيدِ رُفَقَائِهِ، كَانَ مَدْيُونًا لَهُ بِمِئَةِ دِينَار، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بِعُنُقِهِ قَائِلاً: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ. [٢٩]فَخَرَّ الْعَبْدُ رَفِيقُهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلاً: تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ. [٣٠]فَلَمْ يَرْدْ بَلْ مَضَى وَأَلْقَاهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ. [٣١]فَلَمَّا رَأَى الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُ مَا كَانَ، حَزِنُوا جِدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلَّ مَا جَرَى. [٣٢]فَدَعَاهُ حِينَئذ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ، كُلُّ ذلِكَ الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. [٣٣]أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟ [٣٤]وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْه. [٣٥]فَهكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا مِنْ

قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لأَخِيهِ زَلَّاتِهِ» (مت ١٨: ٢١- ٣٥).

إن شخصية بطرس تتصف بالحماس والنشاط والغيرة والثقة بالرب يسوع ابن الله. ولا ننسَ ثقة إيمانه حين قال للرب: «مُرني أن آتي إليك على الماء» (مت١٤: ٢٩)، وفي متى١٦: ١٦ حين اشتاق الرب أن يعرف أي مركز ناله في قلوب تلاميذه وما هي أفكارهم بخصوصه «أجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيحُ ابن الله الحي». فبطرس شخصية مميزة، واعتدنا من بطرس أن يسأل أو يعترض، فيجيبه الرب بتعليم أو حق كتابي لفائدته وفائدتنا، فمثلاً في يوحنا١٣: ٤ حين قام الرب «عن العشاء، وخلع ثيابه، وأخذ منشفة واتزر بها، ثم صب ماء في مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ»، لم يفهم بطرس غرض الرب وظن أنه من غير اللائق أن ينحني سيده ويقوم بمثل هذا العمل وقال: «لن تغسل رجليَّ أبدًا»، فكانت فرصة ليقدم الرب لنا تعليمًا عن أهمية غسل الأرجل كعمل يومي لمن اغتسل بغسل الميلاد الثاني.

وهنا جاء بطرس بسؤال: «**وقال: يا رب كم مرة يُخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟**». إنه يريد أن يسأل الرب عن حدود الغفران للأخ المُسيء ولأنه عرف عن الرب قلبه المتسع، ولإدراكه بروح النعمة التي في المسيح، أراد أن يقدم عرضًا أفضل مما جاء في عاموس١: ٣- ٢: ٦. فقد فهم من تكرار عبارة: «من أجل ذنوب ... الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه»، وتكرارها ثماني مرات أن الرب يغفر ثلاث مرات والرابعة لا يصفح. والحقيقة إنها كانت بغنى، لأن مكيال شرهم كملَ وفاضَ وبالتالي، فقد حق عليهم القضاء. لكن بطرس أراد تقديم عرض أفضل، فسأل الرب: «هل إلى سبع مرات؟»، وكان متوقعًا أن الرب يستحسن أقواله، لأنه قدم سماحًا وغفرانًا ضعف ما في سفر عاموس، وإذ بالرب يعلِّمه ويعلِّمنا أن الغفران بلا حدود «قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات». هذه هي مدرسة النعمة ليس سبعة ولا سبعين، بل غفرانًا بلا حدود، ثم قدم مثلاً غنيًا بالتعليم، موضوعه الرغبة والاستعداد للصفح والغفران، فقال: «لذلك يشبه ملكوت

السماوات إنسانًا ملكًا أراد أن يحاسب عبيده»، بدأ المثل بالقول: «لذلك» ليعلن أن المثل يرتبط بالغفران الذي سأل بطرس عن حدوده. ومفتاح المثل وكعادة الرب يضع لنا المفتاح بجوار الباب، حتى يسهل لنا الدخول والفهم، فقال: «يشبه ملكوت السماوات» ليعلن لنا أن المثل لا يتعلق بالغفران الأبدي الذي أساسه كفارة المسيح وسفك دمه. بل المثل يتعلق بملكوت السماوات أي دائرة الاعتراف المسيحي بما فيها من حنطة وزوان وسمك رديء وسمك جيد وعذارى حكيمات وجاهلات. فملكوت السماوات ليس هو السماء لأن السماء ليس فيها إلا مؤمنون حقيقيون، أما ملكوت السماوات، ففيه الحقيقيون وفيه الاسميون؛ أي المؤمنون بالاسم فقط، بل وفيه عدو يزرع زوانًا (مت١٣: ٢٤- ٣٠). فملكوت السماوات هو مملكة السماء على الأرض أو دائرة الاعتراف المسيحي، سواء دون إيمان قلبي بالرب أو مؤمنين حقيقيين أعضاء في جسد الرب.

«لذلك يشبه ملكوت السماوات إنسانًا ملكًا أراد أن يحاسب عبيده»، وبديهي أن يقدموا له أصحاب المديونيات الكبيرة حتى يصلوا إلى أصحاب المديونيات الصغيرة «فلما ابتدأ في المحاسبة قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة». لقد رأى هذا العبد غنى سيده وأنه لا يرد طالبيه «ومغبوط عنده العطاء»، فابتدأ يطلب منه والسيِّد يعطي ويعطي، وهو يأخذ ويصرف ويسرف دون أن يفكر كيف سيرد ما يأخذه، وعاش حياة البذخ والترف وجعل نفسه سيدًا بمال سيِّده، حتى إنه جعل آخرين من رفقائه – وكما سنرى – يدعونه «سيد»، فقد تسيّد وهو العبد على عبيد آخرين. وفي أمثال ٣٠: ٢١ يكلِّمنا عن رباعية انقلاب الأوضاع، يبدأها برجل مثل هذا العبد «تحت ثلاثة تضطرب الأرض، وأربعة لا تستطيع احتمالها: تحت عبد إذ ملك وأحمق إذا شبع خبزًا. تحت شنيعة إذا تزوجت وأَمَة إذا ورثت سيدتها». لقد بدأ بالعبد الذي يملك أو يتسيد، لأنه يشبه العاصفة الكاسحة والمطر الجارف كما جاء في أمثال٢٨: ٢ «الرجل الفقير الذي يظلم فقراء هو مطر جارف لا يبقي طعامًا».

وإذا رجعنا إلى الأيام التي ضرب الرب فيها هذا المثل، نعرف ديون هذا

الرجل، وكم هي باهظة!

فقد كان هيرودس الكبير دخله في ذلك الوقت تسعمائة وزنة سنويًا، أي أن هذا العبد لكي يفي الدين عليه أن يكون دخله كدخل الملك ولمدة إحدى عشرة سنة، دون أن يصرف منه أي شيء، وهو ليس ملكًا، بل عبدًا، فمن أين لـــه أن يسدد هذا الدين الكبير؟! وإن قلنا إنه سيعمل ويتقاضى أجرًا ويجمعه ليسدد دينه، فهذا أيضًا مستحيل! لأن أجر العامل في هذا الوقت دينار فـــي اليـــوم والعشر الآلاف وزنة تعادل ٣,٤٣٠,٠٠٠ دينارًا وهذا يحتاج لمثلهم أيامًا، أي ٩,٣٩٧ سنة لعامل يقبض دون أن يصرف شيئًا وهذا ما يؤكد استحالة سداد الدين!!

فهذا العبد عاش يبذخ ولم يفكر أنه يومًا ما سيأتي الملك ليحاسبه، لكن ها قد جاء اليوم ووقف أمام الملك ليُحاسَب وهو ليس له ما يوفي «وإذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له، ويوفَى الـــدين». وهنا شعر العبد بخطورة الموقف الذي لم يحسب له حسابًا، فماذا يفعل؟ عليه أن يتوسّل للملك، طالبًا العفو والسماح. لكنه لم يفعل ذلك، بل ظن أنه يقدر أن يعمل ليسدد الدين «فخرّ العبد وسجد قائلاً: يا سيد، تمهَّل علـــيَّ فأُوفيـــك الجميع»، كيف؟! وماذا سيفعل؟ وكم من السنين يحتاج لوفاء هـــذا الـــدين؟!! إنك مسكين لا تدرك مدى مديونيتك، لذا طلبت وقتًا للتأجيل «تمهَّل علـــيّ»، آه! إنه لا يدري ماذا يقول ويفترض في نفسه القدرة على سداد الدين، لكـــن السيد علمَ بعجزه وحيرته «فتحنن سيِّد ذلك العبد وأطلقه، وترك له الـــدين»، وهنا خرج هذا العبد يطفر فرحًا، فقد سقط الدين بكامله عنه وسيتمتع بكل ما لديه، بلا خوف من حساب ودون شعور بالمديونية. فقد عُفي عنه من دين عظيم!

«ولما خرج ذلك العبد وجد واحدًا من العبيد رفقائه، كان مديونًا له بمئـــة دينار، فأمسكه وأخذ بعنقه قائلا: أوفني ما لي عليك. فخرَّ العبد رفيقه علـــى قدميه قائلاً: تمهَّل عليَّ فأفيك الجميع. فلم يُرد بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفي الدين».

إن العشرة آلاف وزنة التي هي عبارة عن أجر العامل في ٩,٣٩٧ سنة بالمقابلة مع المئة دينار التي هي أجر العامل في ثلاثة أشهر ونصف تصغر في أعيننا جدًا مديونية هذا العبد للعبد رفيقه. **فكيف لك يا مَن سُومحت بالدين الكبير أن لا تسامح رفيقك بدينه الصغير؟!** نعم «الرجل الفقير الذي يظلم فقراء هو مطر جارف لا يبقي طعامًا» (أم٢٨: ٢). فأنت عبد ورفيقك عبد، لكنك تسيَّدت على رفيقك بمال سيِّدك، إنه ليس مالك، فأنت فقير مثل مَن تُداينه، لكن حقيقة الأمر إن بعض الفقراء حين يرقون إلى مراكز عالية معرضون أن يكونوا قساة على الطبقة التي خرجوا منها وهذا ما نراه هنا. فقد تجرَّد هذا العبد من الشفقة والعطف وأصبح كالمطر الجارف الذي بدلاً من أن يساعد الزارع على النضوج، فإنه يكتسح البذور ولا يبقي طعامًا! ماذا كان يضرَّك لو عفوت عن هذا العبد رفيقك وساعدته وأسعدته بالقليل الذي لا يذكر مما نلته من عفو الملك؟! كيف تجاسرت وأمسكت العبد رفيقك وأخذت بعنقه معنفًا مطالبًا: «أوفني ما لي عليك». آه! نحن نعرف السبب. لقد خرجت من محضر السيد «ولما خرج ذلك العبد»، فالخروج من حضرة الرب وغياب حضوره من الأذهان يجعل الإنسان يأتي بأبشع الأفعال. والسؤال هو: **هل لو كان هذا العبد الرديء يعلم أن السيِّد يراه وهو يعنف العبد رفيقه الذي خرّ على قدميه وطلب إليه أن يتمهَّل عليه، وهي نفس العبارة التي قالها هو لسيِّده، هل كان سيدفع ما فعله بهذه الوحشية؟** يقيناً لا، لكنه «خرج». وهذا ما فعله يهوذا الخائن، فبعدما غمس الرب اللقمة في عشاء الفصح وأعطاها له وكان قبلاً قد غسل رجليه حين غسل أرجل التلاميذ، يقول الكتاب: «فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً»، وبخروجه من حضرة السيد لم يُمسك بعبد رفيق له، بل بالرب نفسه، وقام بأبشع جريمة وأخس صفقة! وفي إرميا ٢: ٢٧ يتكلَّم الرب عن عصيان شعبه، فيقول: «حولوا نحوي القفا لا الوجه». وإعطاء السيد القفا وغياب حضوره هو نكران للجميل، يولد قسوة حتى مع العبيد الرفقاء ويأتي بأبشع الأفعال، كما في متى٢٤: ٤٩.

لقد قال العبد رفيقه له: «تمهل عليّ فأفيك الجميع»، إنه لم ينكر مديونيته ولم يقل له لن أعطيك بل أعطني فرصة وسأعطيك كل ما لك عليَّ، والحقيقة إنه دين يمكن أن يوفَى. لكن العبد المتسيِّد أراد أن يأخذ ماله في الحال، فلم يُرد أن يتمهَّل عليه، وفي الحال اتخذ خطوات «بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفي الدين». فيا له من جبروت وفرط في القسوة! ولم يخطر بباله أن سيِّده سوف يعلم، لكنْ هناك عبيد آخرون ساء في أعينهم ما فعله ذلك العبد «فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان، حزنوا جدًا. وأتوا وقصوا على سيِّدهم ما جرى». نعم! هذا فعْل العبيد الأُمناء حين يرون الشر في إخوتهم، يحزنون، لكن في حزنهم لا يشهرون برفقائهم، بل يذهبون إلى السيد ويقصون عليه ما أحزنهم.

لكن «لما رأى العبيد رفقاؤه ما كان»، تعني أنهم رأوا كيف تعامل السيِّد مع العبد الشرير وكيف تحنَّن عليه وترك له الدين وأطلقه، كما أنهم رأوا تذلل العبد رفيقهم لزميله وكيف رفض أن يمهله وقتًا «بل مضى وألقاه في سجن»، ويا له من أمر مُحزن للغاية أن الذي سُومح بكل هذا الدين لا يعفو عن رفيقه أو حتى يتمهل عليه!

لكن ماذا فعل السيد حين سمع؟ «فدعاه حينئذ سيده وقال له: أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليَّ. أ فما كان ينبغي أنك أنت أيضًا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟». إنه لم يسأله، ما هذا الذي سمعته عنك، لأن ما سمعه يقين وما فعله هذا العبد لا يمكن أن يبرَّر. لذا كشف السيد حقيقة هذا العبد الذي أمام الناس جعل نفسه سيدًا مرموقًا غنيًا ويقرض العبيد رفقاءه، فدعاه سيده «أيها العبد»، أنت لست سيدًا، ولست كأي عبد، بل عبدًا شريرًا لا تعرف الرحمة وتهين المحتاجين والمعوزين وترفض توسلات مَن يتوسل إليك أن تتمهل عليه. لقد سمنت ورفست العبيد رفقاءك والرب رأى (تث٣٢: ١٥). لقد استرحتْ فهزأت بالمتعبين، نعم إنه هزء المستريحين وإهانة المستكبرين (مز١٢٣: ٤). فأنت الآن ليس لك عوز وقد سمن قلبك وازداد غلاظة ومات ضميرك، فهزأت وسخرت ونظرت بازدراء

واستعلاء لرفيقك العبد وفي استنكار أهنته ولم تكتفِ بذلك، بل ألقيته في سجن لأجل دين صغير. ومع أني تركت لك دينًا كبيرًا، إلا إنك «لم ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا». لقد تمتعت بالعفو الكبير ولم تعفُ في المقابل عفوًا صغيرًا، لذا ستجلب الغضب على نفسك.

لقد وقع في يد الملك وتحت غضبه. وفي أمثال ١٦: ١٤ مكتوب: «غضب الملك رُسُل الموت والإنسان الحكيم يستعطفه». نعم! فغضب الملك هو بمثابة حكم الموت. وفي أمثال ١٩: ١٢ أيضًا «كزمجرة الأسد حنق الملك». لقد أغظت الملك بتصرفك هذا وبهذا أخطأت إلى نفسك «رعب الملك كزمجرة الأسد. الذي يغيظه يخطئ إلى نفسه» (أم ٢٠: ٢).

«وغضب سيِّده وسلَّمه إلى المعذِّبين حتى يوفي ما كان عليه». ومن الصعب على هذا العبد ذي المديونية الكبيرة أن يوفي ما عليه وضاعت الفرصة على العبد الشرير وسقط العفو عنه «فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا» (غلا ٦: ٧). فوقع القصاص على العبد الشرير وسُلِّم «إلى المعذبين». ثم أعلن الرب الغرض من المثل، فقال: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته». علينا نحن الذين نعرف ثقل ديننا وعجزنا عن وفائه والرب غفر لنا وسامحنا، علينا أن نسامح الآخرين ولا نمسك على أحد زلَّة. والذي لا يسامح سيقع تحت التأديب. فالرب عاملنا ويعاملنا بالرحمة، لذا ينبغي أن نرحم العبيد رفقاءنا، كما رُحمنا نحن.

وهنا نعود ونقول: إن مفتاح المثل هو في عبارة: «يشبه ملكوت السماوات» وهو دائرة الاعتراف المسيحي التي تشمل المؤمنين الحقيقيين أو مجرد الاسميين، ولا علاقة له كما ظن البعض أن الرب عفَى عن صاحب الدين الكبير ثم سلَّمه للمُعذبِّين عندما عاد وأخطأ. هذا غير وارد. فهذا المثل ليس له علاقة بهلاك المؤمن الذي تمتّع بالغفران الأبدي والكتاب يعلن أن من مستحيلات المؤمن أن يهلك، لأن غفران الرب ليس مشروطًا أو معلقًا على تصرف الإنسان. وعقاب العبد الشرير لم يكن من أجل الدين الكبير

لأن السيد قد سامحه وأطلقه وترك له الدين. لكنه عوقب لأنه شرير ازدرى بروح النعمة. فالمثل لا يتعرض لشيء في موضوع التبرير، فالتبرير والغفران أساسهما كفارة المسيح وسفك دمه. والإيمان واسطة نوال التبرير والغفران. لقد سَدد الرب يسوع عنا بموته على الصليب جميع ديوننا أمام العدل الإلهي. وإذا نَسينا ما سامحنا به الله، لا نقدر أن نسامح إخوتنا، لا سبع مرات ولا سبعين مرة سبع مرات. والله حسب رحمته ونعمته سَدد الدين، لكن حسب عدله يعاملنا بمقدار ما نعامل به الآخرين «وطوبى للرحماء لأنهم يُرحمون» وما أحوجنا أن نسامح الآخرين بالنظر إلى العفو الإلهي عن ديننا الثقيل المعبّر عنه بالعشرة آلاف وزنة أمام أخطاء الآخرين التي هي مئة دينار. فلا يوجد تعارض بين عدل الله ونعمته.

ومن الناحية التدبيرية نرى أن الدين الذي على الأمم لليهود هو المئة دينار، بينما الدين الذي على اليهود لله هو العشرة آلاف وزنة، لأنهم صلبوا رب المجد وفي رحمته سامحهم بهذا الدين الكبير وفتح لهم الباب لمدن الملجأ واعتبر قتلهم العمد له خطية «قتل سهو»، حين قال: «يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». لقد صلبوا البار وفي رحمته سامحهم بهذا الدين الكبير. وفي (أع ٣: ٢٧) يعلن الرسول بطرس بالروح القدس أن اليهود فعلوا هذا بجهل: «والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضًا»، لكن لئلا يظن أحد أن الجهل لا يستحق اللوم أو أن الجهل يَعفي من المسؤولية أو المساءلة وهذا ما قيل في لاويين ٥: ١٧، الذي يعلن أن الذي يخطئ لأنه لا يعلم، فهو مخطئ ويحمل ذنبه، لذا أكمل بطرس بالروح القدس وعرض عليهم أن يغتنموا الفرصة قائلاً: «فتوبوا وارجعوا لتمحَى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب» (أع ٣: ٢٩). فالدم الكريم الذي سفكوه بأيدي الأثمة هو نفسه يستطيع أن يمحو آثامهم بشرط التوبة، لكنهم رفضوا واضطهدوا الرسل، لا سيما بعد أن صرّحوا أنهم سيتجهون إلى الأمم.

فرغم إن دينهم لله هو العشرة آلاف وزنة، إلا إنهم غير مستعدين أن

يسامحوا الأُمم المديونين لهم بالمئة دينار.

فالرب يريد في هذا المثل أن يعلِّمنا أن نغفر زلات مَن يُسيء إلينا، حتى لا نقع تحت التأديب «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته». فالغفران ليس مجرد مسامحة باللسان، بل ترك من القلب زلاَّت إخوتنا ومثالنا وقدوتنا الرب يسوع الذي سامح حتى أعداءه وصالبيه. والرسول بولس في أفسس ٤: ٣٢ يضع أمامنا هذا المثال الكامل للغفران، فيقول: «كونوا لُطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين، متسامحين كما سامحكم الله أيضًا في المسيح».

مَثَل الفعَلة في الكرم

(مت ٢٠:١-١٦)

« [١]فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعَلَةً لِكَرْمِهِ، [٢]فَاتَّفَقَ مَعَ الْفَعَلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ. [٣]ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَرَأَى آخَرِينَ قِيَامًا فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ، [٤]فَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكَرْمِ فَأُعْطِيَكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَمَضَوْا. [٥]وَخَرَجَ أَيْضًا نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَفَعَلَ كَذلِكَ. [٦]ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ خَرَجَ وَوَجَدَ آخَرِينَ قِيَامًا بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هَهُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟ [٧]قَالُوا لَهُ: لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. قَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكَرْمِ فَتَأْخُذُوا مَا يَحِقُّ لَكُمْ. [٨]فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ قَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ لِوَكِيلِهِ: ادْعُ الْفَعَلَةَ وَأَعْطِهِمُ الأُجْرَةَ مُبْتَدِئًا مِنَ الآخِرِينَ إِلَى الأَوَّلِينَ. [٩]فَجَاءَ أَصْحَابُ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَأَخَذُوا دِينَارًا دِينَارًا. [١٠]فَلَمَّا جَاءَ الأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ. فَأَخَذُوا هُمْ أَيْضًا دِينَارًا دِينَارًا. [١١]وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ [١٢]قَائِلِينَ: هؤُلاَءِ الآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ احْتَمَلْنَا ثِقَلَ النَّهَارِ وَالْحَرَّ! [١٣]فَأَجَابَ وَقَالَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ: يَا صَاحِبُ، مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟ [١٤]فَخُذِ الَّذِي لَكَ وَاذْهَبْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هذَا الأَخِيرَ مِثْلَكَ. [١٥]أَوَ مَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَا لِي؟ أَمْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةٌ لأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟ [١٦]هكَذَا يَكُونُ الآخِرُونَ

أَوَّلِينَ وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» (مت ٢٠: ١- ١٦).

هذا المثل هو جواب الرب على سؤال بطرس في الأصحاح السابق (١٩: ٢٧): «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟». وقد سأل بطرس هذا السؤال بناء على ما حدث من الشاب الغني الذي مضى حزينًا، بعدما جاء إلى الرب «وقال له: أيها المعلِّم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟» (١٩: ١٦). وهذا الرجل غني، لكنه لم يكن متهاونًا في شؤون نفسه الخالدة، إلا إنه كان يجاهد جهادًا غير قانوني ويريد بأعمال الناموس أن يعمل ليرث الحياة الأبدية. فسؤاله جاء في لوقا١٨: ١٨ «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟»، وهذا السؤال عجيب لأن الميراث لا يُؤخَذ نتيجة عمل. فالعمل له أجر، أما الميراث فلا أحد يحصل عليه نتيجة عمل، لذا كان جواب الرب له: إذا أردت أن تدخل الحياة، فاحفظ الوصايا (لو ١٨:٢٠). فالرب يصادق على أن الناموس يعطي حياة للإسرائيلي، لكن ليس حياة أبدية «لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية» (رو٣: ٢٠). فمهمة الناموس يكشف عجز الإنسان واعوجاجه. فلم يعطِ الله الناموس لأجل الخلاص أو التبرير أو كقاعدة سلوك للمؤمن، بل تكون بواسطته «معرفة الخطية»، أي لكي يقنع الإنسان أنه خاطئ وكما دائمًا نقول إن الناموس طبيب الأشعة الذي يكشف ضعف جَسدي، لكنه لا يقدر أن يعطيني علاجًا، فيحوّلني إلى الطبيب المعالج، فالناموس مقدس وعادل وصالح، لكنه لا يبرِّر خاطئًا أو يقدِّس مؤمنًا. لكن هذا الشاب ليس خاطئا مقتنعًا بحقيقة حاله، بل ناموسيًا وغرضه إرضاء الرب بأعمال الناموس، لذا أعطاه الرب امتحانًا من الناموس: «اذهب بع أملاكك وأعط الفقراء. وتعال اتبعني»، لكن آه على هذا الشاب! «فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينًا لأنه كان ذا أموال كثيرة»، ولأنه لم يوفّق في الجمع بين الله والحياة الأبدية مع محبة المال، "فمضى حزينًا".

ومن هنا أخذ بطرس المبادرة وسأل الرب سؤاله: «ها نحن قد تركنا كل

شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟»؛ أي ماذا ينال أولئك الذين تخلوا عن كل شيء ليتبعوا المسيح؟ ما هي المكافآت؟ هذا لأن بطرس وأندراوس أخاه عندما دعاهما الرب في متى ٤: ١٩ «هلمَّ ورائي فأجعلكما صيادي الناس. فللوقت تركا الشباك وتبعاه»، وكذا يعقوب ويوحنا «للوقت تركَا السفينة وأباهمَا وتبعاه» (مت٤: ٢٢).

فكأن بطرس يريد أن يعرف ماذا يكون لنا نحن الذين لم نفعل مثل هذا الشاب، بل «تركنا كل شيء وتبعناك». والرب طمأن بطرس والتلاميذ ووعدهم بالمكافأة، لكن حذّرهم: «كثيرون أولون يكونون آخِرين وآخِرون أولين»، فقدّم لهم هذا المثل الذي يعلن أن أولئك الذين يظنون أن لهم حقًا في المكافأة ويتوقعون المكان الأول، سيأخذون ولكن ليس حسب تقديرهم. أما الذين يعتمدون بالتمام على نعمة الرب وجُوده وكَرمه وتقديره سيكون لهم مكانة أفضل. فهذا المثل يوضح أمامنا الروح الصحيحة في الخدمة، الروح التي تستمد بواعث نشاطها من فعل إرادة السيد وتترك الأجر لفيض النعمة. أما الخدمة التي باعثها الأجر أو المساومة أو التقدير لما يُبذل من جهد، فهذه الروح الناموسية الغير مرغوبة في الخدمة، روح الذين ينظرون إلى العمل والخدمة كوسيلة للكسب، لذا يرون أنه يجب أن يساوموا للحصول على الأفضل، بينما الآخرون يعتبرون أن العمل مع السيد الكريم الذي دعاهم هو امتياز بالنعمة، لذا لا يحق لهم أن يتفقوا على أجر. فالرب سيكافئ الجميع، لكن سيظهِر دوافع خدمة كل خادم.

«فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه. فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه». وكان الدينار في ذلك الزمان أجرة مقبولة ومتعارفًا عليها للعامل طول يومه الذي يبدأ غالبًا من الساعة السادسة صباحًا وحتى السادسة مساء. فعبارة «مع الصبح» تعني عند شروق الشمس نحو الساعة السادسة صباحًا.

ولقد شرط هؤلاء الفعلة قبل أن يذهبوا مع رب البيت أن يتعاقدوا معه على الأجر. ووافق رب البيت «وأرسلهم إلى كرمه»، وبدأوا في العمل.

لكن رب البيت وجد أن العمل يحتاج فعلة كثيرين، فماذا يفعل؟ يخرج ليحضر آخرين «فخرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قيامًا في السوق بطالين، فقال لهم: اذهبوا أنت أيضًا فأعطيكم ما يحق لكم. فمضوا». كان قد مضى ثلاث ساعات عمل لمن ذهبوا «مع الصبح»، لأن الساعة الثالثة تعادل الساعة التاسعة حسب توقيتنا الآن حيث يوجد فرق ست ساعات بين حساب التوقيت الروماني والساعات كما نعرفها. لكن يلاحظ أن هؤلاء الفعلة ذهبوا دون اتفاق مسبق على الأجر، لأنهم لم يستأجرهم أحد ومضى من اليوم عدة ساعات، فعلى أي شيء يتفقون؟ وربما لاموا أنفسهم أنهم لم يقوموا باكرًا ليستأجرهم أحد ليأخذوا الدينار كاملاً، لكن ما دام وُجِد مَن «رآهم قيامًا في السوق بطَّالين»، فليذهبوا معه وليتركوا أنفسهم لكَرمه، كيفما كان ولا سيما أنه قال لهم: «فأعطيكم ما يحق لكم». فهذا الرجل لا يأكل أجر الأجير، بل يعطيه حقه.

لكن هذا السيد رقيق القلب، شعر أن هناك «آخرين قيامًا في السوق بطالين»، وهو يريد أن يعطيهم، فما المانع من أن يأتي بهم إلى كرْمه ليعملوا؟ «فخرج أيضًا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة ووجد آخرين قيامًا بطالين. فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطَّالين؟ قالوا: لأنه لم يستأجرنا أحد. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرم فتأخذون ما يحق لكم».

والساعة السادسة أي الثانية عشر ظهرًا والتاسعة أي الثالثة بعد الظهر، أما الحادية عشرة فهي الخامسة مساء وقد بقي من ساعات العمل ساعة واحدة. لكن رب البيت يعرف أن هؤلاء جميعهم يحتاجون للمال لهم ولعائلاتهم، لذا وهو السيد السخي لا مانع له من أن يقدم يده لهم لا سيما أنهم «بطالين» لهذا الوقت من اليوم. و «قيامًا بطالين» ليس المقصود منها أنهم كسالى أو غير راغبين في العمل، كلا! لأنهم متواجدون في سوق العمل، لكنهم لم يجدوا من يستأجرهم. فهنا نجد أن الفعلة عديدون واستُؤجروا في ساعات مختلفة من النهار. ويمكننا أن نقسمهم إلى قسمين: القسم الأول: هم

الذين استُأجروا أولاً وهم الذين اتفقوا مع رب البيت على الأجرة وكانت دينارًا في اليوم، أما القسم الثاني فهم كل الذين استُؤجروا بعد الأولين وخلال ساعات النهار المختلفة ولم يتفقوا مع رب البيت وصاحب الكرم على أجر مسبق، بل تركوا أنفسهم لكرمه لاسيما أنه هو الذي استأجرهم ووعدهم: «أعطيكم ما يحق لكم»، فذهبوا واثقين أنه سيعطيهم ما يحق لهم.

وعندما انتهى النهار «وكان المساء، قال صاحب الكرم لوكيله: ادعُ الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئًا من الآخرين إلى الأولين». والسؤال: لماذا ابتدأ من الآخِرين؟ لسببين على الأقل، أولاً: لكي يَفهَم الآخِرون أنهم أخذوا بالنعمة وليس عن استحقاق. فما يحق لهم ليس الدينار بكامله. وثانيًا: ليكشف ما في قلب الأولين ويكشف دوافعهم وكيف أن عيونهم على غيرهم وما سيأخذون. كما أنه سيكشف تقديرهم لأنفسهم واستحقاقهم، رغم اتفاقهم مع رب البيت على الأجرة.

«فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارًا، دينارًا»، هؤلاء الذين ذهبوا دون اتفاق واشتغلوا وقتًا قليلاً، متكلين على جود ونعمة وكرم رب البيت، فنالوا فوق ما يظنون «وأخذوا دينارًا، دينارًا» وكذا عُمال الساعة التاسعة وعمال الساعة السادسة وعمال الساعة الثالثة «أخذوا دينارًا، دينارًا»، فكل هؤلاء لم يتفقوا على أجر، بل تركوا أنفسهم لكرم السيد، فخرجوا وهم يشيدون بصلاح وجود وكرم صاحب الكرم.

وجاء دور الأولين الذين كانوا ينظرون ما أخذ الآخرون وتوقعوا في أنفسهم أنه لا بد أن السيد سيعطيهم أفضل من كل هؤلاء، لأنهم استُؤجروا في الصباح. وبشغف انتظروا دورهم «فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر»، لماذا؟ ألم تتفقوا على دينار مع صاحب الكرم؟ لماذا تظنون أنكم تأخذون أكثر؟! لكن ماذا أعطى الوكيل لهؤلاء الأولين؟ «أخذوا هم أيضًا دينارًا، دينارًا»، فساورهم شعور بالمرارة، قادهم للتذمر على رب البيت «وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت». إنهم لم يشكروا صاحب الكرم لأنه وفّى بوعده معهم، بل تذمروا وساء لهم كرم السيد رب البيت مع

الآخرين «قائلين: هؤلاء الآخِرون عملوا ساعة واحدة» وهنا إشـــارة لمَـــن استُؤجروا نحو الساعة الحادية عشرة، فساء في أعينهم ما أخذوه من الـــسيد وقالوا: «قد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر». لقد اعتبروا أنفسهم لأنهم اشتغلوا وقتًا أطول وبذلوا جهدًا أكثر، يحق لهم أن يأخذوا أجرًا أفضل!!

وهنا تكلَّم معهم رب البيت وصاحب الحقل موجهًا كلامه إلـــى أحـــدهم: «فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك، أمَا اتفقـــت معـــي علـــى دينار؟»، ربما يكون هذا الصاحب هو قائد التذمر أو ربما يكون هو المـــتكلِّم بلسان الفعلة عندما تم الاتفاق على الدينار، حتى إن السيد وجّه له الكلام معلنًا له أنه لم يظلمه، فهو ليس سيدًا ظالمًا، بل أعطى لهم حـــسب الاتفـــاق ولـــم ينقص أو ينقض اتفاقه معهم، فلما الاعتراض؟ «خذ الذي لك واذهب»، أمـــا أني قد أعطيت الآخرين مثلك، فهذه إرادتي. «فإني أريد أن أعطي الأخيـــر مثلك. أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بما لي؟». نعم! فالمال ماله وله مطلق الحرية أن يفعل به ما يريد. فقد أظهر عدله، كما أظهر كرمه وسخاءه. ثم يكشف السيد عن سبب تذمر الأولين وهو أنهم لهم عيون شريرة تنظر إلـــى الآخرين وتستكثر عطاء السيد لهم، فيقول: «أم عينك شريرة لأني صالح؟»، فصلاح السيد أشعل غيرة هؤلاء الأولين وإظهار النعمة بسلطانها أهاج قلبهم وفتح عيونهم على الآخرين. فالعين الشريرة مريضة لا ترى نور النعمة.

ثم أنهى الرب المثل: «هكذا يكون الآخِرون أولين والأولون آخِرين. لأن كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون». فالأولون هم الذين اتفقوا، والآخرون هم الذين تركوا أنفسهم بين يدي صاحب الكرم ليعطيهم ما يحق لهم دون اتفـــاق مسبق على الأجر وها هم صاروا أولين. فالرب أراد أن يضع أمامنا هـــذا المثل في رده على سؤال بطرس: «ها نحن قد تركنا كل شـــيء وتبعنـــاك، فماذا يكون لنا؟»، ليظهر لنا الروح الصحيحة في الخدمة. الروح التي تستمد بواعث نشاطها من فعل إرادة السيد وتترك الأجر لفيض النعمة. أما الروح الناموسية في الخدمة هي التي باعثها الأجر والمساومة على الأفضل وتقدير

الجهد المبذول وانتظار المكافأة حسب الاستحقاق، روح الذين ينظرون إلى الخدمة للكسب، لذا تتطلب الاتفاق والسعي للأفضل من الوجهة المادية دون تقدير لامتياز العمل مع السيد، هذا الامتياز الذي لقي اعتباره في نظر الآخرين، فنالوا أكثر جدًا مما يطلبون أو يفتكرون. فالأولون هنا يمدحون أنفسهم بأنهم احتملوا ثقل النهار والحر "ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم"، "وهم يجهلون بر الله"، لذا ينظرون إلى الذين أخذوا من السيد على حساب النعمة دون اتفاق، بنظرة عدم الاستحقاق، فكانت النتيجة أن صار الأولون آخرين.

ثم يختم الرب المثل: «لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون»، والكثيرون تشير إلى أولئك الذين يدعوهم الرب للخدمة في الكرم، وهذه الدعوة تنطبق على جميع الذين يعرفونه. فكل مَن دُعي عليهم اسم المسيح عليهم مسؤولية أن يخدموا السيد ويلبوا الدعوة، لكن ليس الكل يفعلون، بل «قليلين» هم الذين يعملون، بل أيضًا يتركون مسألة الأجرة لنعمة سيدهم.

لكن أيضًا لا يمكن أن نستنتج أن كل المؤمنين سينالون أجرًا واحدًا متساويًا كمكافأة. كلا! فالمكافئات ستختلف وإن كان الكل من مجرد النعمة. وفي ٢كورنثوس ٥: ١٠ يقول: «لأنه لا بد أننا جميعًا نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا». فسينال كل واحد نتيجة عمله في الجسد أو بواسطة الجسد وسيُكشف لكل واحد ما كان في حياته من شرور وتسامت نعمة الله لخلاصه من هذه الأمور. كما سيرى كل مؤمن كم من فرص أضاعها ولم يخدم فيها الرب وخسر أجرتها وأيضًا تقدير السيد لكل خدمة قُدمت لمجد اسمه.

وفي رؤيا٢٢: ١٢ «وها أنا آتي سريعًا وأُجرتي معي لأُجازي كل واحد كما يكون عمله». فالرب سيعطي الأجرة لمَن خدموه بأمانة في حياتهم في وقت الظهور أمام كرسي المسيح لنوال المكافأة وستمتحن نار الفحص الإلهي الدوافع وراء كل خدمة قُدمت «فعمل كل واحد سيصير ظاهرًا لأن اليوم سيبينه. لأنه بنار يستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقي عمل أحد قد بناه فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد، فسيخسر، وأما هو

فسيخلص، ولكن كما بنار» (١كو٣: ١٣). فالرب وحده يعرف الباعث لعمل كل واحد ونار الفحص الإلهي ستكشفه أمام كرسي المسيح.

لكن هذا المثل أيضًا يذهب بنا إلى أعمال الله التدبيرية من جهة اليهود والأُمم. فالله في نعمته ورحمته قد دعا الأُمم، ودعاهم على قدم المساواة مع شعبه القديم، لكن هذه النعمة أهاجت اليهود وأظهرت عداوتهم، لأنه كيف للأُمم أن يكونوا شركاء في الميراث؟! فأظهروا عداوتهم لأنهم لم يكونوا مستعدين لإزالة هذا الحاجز. فالذين عملوا في الحقل من أول النهار وبناء على اتفاق مسبق يمثلون إسرائيل تحت الناموس، بينما عُمال الساعة الحادية عشرة يمثلون الأُمم الذين صاروا هدفًا لنعمة الله.

لقد عثر اليهود ببشارة النعمة وسقطوا وكان في عثرتهم وسقوطهم غنى للعالم، كما يقول بولس في رومية١١: ١٢؛ وفي أعمال١٣: ٤٦، ٤٧، عندما قال بولس: «هوذا نتوجه للأُمم لأن هكذا أوصانا الرب»، امتلأوا غيْرة وأثاروا ضده اضطهادًا شديدًا وأخرجوه من تخومهم، لأنهم لم يطيقوا سماع القول إن رحمة الله تصل للأمم.

بقي أن نقول إن خروج رب البيت ودعوته في الأوقات المختلفة من الصباح وحتى قبل أن ينتهي اليوم بقليل صورة لدعوة الرب المختلفة لجميع الأعمار من الصغير حتى إلى مَن تَقَدم بهم العمر أو حتى عند الشيخوخة، مثلما دعا عمال الساعة الحادية عشرة الذين وقفوا طوال النهار، فلم يستأجرهم أحد وظنوا أنهم فقدوا فرصة الفرح بتلبية دعوة السيد للخدمة. لكن الرب نظر إلى أشواقهم وجعل الآخرين أولين ومنتخبين.

مَثَل الابنان

(مت ٢١: ٢٨-٣٢)

«[٢٨]مَاذَا تَظُنُّونَ؟ كَانَ لإِنْسَانٍ ابْنَانِ، فَجَاءَ إِلَى الأَوَّلِ وَقَالَ: يَا ابْنِي، اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي. [٢٩]فَأَجَابَ وَقَالَ: مَا أُرِيدُ. وَلكِنَّهُ نَدِمَ أَخِيرًا وَمَضَى. [٣٠]وَجَاءَ إِلَى الثَّانِي وَقَالَ كَذلِكَ. فَأَجَابَ وَقَالَ: هَا أَنَا يَا سَيِّدُ. وَلَمْ يَمْضِ. [٣١]فَأَيُّ الاثْنَيْنِ عَمِلَ إِرَادَةَ الأَبِ؟» قَالُوا لَهُ: «الأَوَّلُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ، [٣٢]لأَنَّ يُوحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَّارُونَ وَالزَّوَانِي فَآمَنُوا بِهِ. وَأَنْتُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ لَمْ تَنْدَمُوا أَخِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِهِ» (مت ٢١: ٢٨- ٣٢).

«ماذا تظنون؟»، يبدأ الرب هذا المثل بسؤال ليربط الحديث مع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وسؤالهم واعتراضهم عن أعمال الرب يسوع، دون أن يأخذ سلطانًا أو مصادقة منهم، حين قالوا: «بأي سلطان تفعل هذا؟ ومَن أعطاك هذا السلطان؟» (مت٢١: ٢٣)، وبعدما رفضوا الإجابة على سؤاله عن «معمودية يوحنا من أين كانت: من السماء أم من الناس؟»، وعن قولهم: «لا نعلم». برغم إنهم يعلمون، حتى لا يعترفوا أنهم لم يعتمدوا من يوحنا كي لا يقروا أمام الشعب بحاجتهم إلى التوبة. فقدّم لهم هذا المثل ليوضّح حالتهم وليوضّح أيضًا أن البشر بصفة عامة نوعان: أحدهما شره واضح، يفعل الشر بلا استحياء والآخر شره مُستتر، وفي رياء قلبه يتستر بالدين

وأوراق التين.

«كان لإنسان ابنان»، الإنسان هو رب الإنسان الذي له «ابنان»، الذي يحب الجميع. صحيح إنه لا يحب الخطية، لكنه يحب الخطاة. لكن الذي يكرهه الرب هو الرياء والمداهنة.

«فجاء إلى الأول وقال: يا ابني: اذهب اليوم اعمل في كرمي». إنه لا يسأله: هل ممكن أن تذهب؟ بل أمره بحق الأبوة: «اذهب!» وليس وقتما تريد، بل «اليوم»، فأنت كابن، عليك الطاعة لأبيك وعليك أن تذهب للعمل في كرمه. لكن هذا الولد لم يكن طائعًا لأبيه، بل متمردًا، كسولاً لا يريد العمل أو خدمة أبيه، فبكل بجاحة أجاب: «وقال: ما أريد!»، فيا له من ابن «مُعاند ومارد لا يسمع لقول أبيه» (تث٢١: ١٨)! وبحسب الناموس هذا الابن المارد «يرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت» (تث٢١: ٢١). ولكن هذا الأب لم يفعل هذا، بل ترك ابنه ليفكّر في الأمر. وبالفعل فكّر الابن «وندم أخيرًا ومضى»، وشكرًا للرب! لأن هذا الابن «ندم ومضى» ليعمل إرادة أبيه. فإلى مَن يشير هذا الابن الأول؟ إنه يشير لكل عاصٍ ومتمرد، يريد أن يسلك بعيدًا عن طاعة الله ، يريد أن يسلك بحسب شهواته وأسقط الرب من حساباته وليس له أية علاقة بالرب وكلمته، فالله لا يشغل أي حيز في تفكيره. إنه يشير إلى العشَّارين والزواني المُحتقرين من الكتبة والفريسيين، لكسرهم وصايا الرب وعدم معرفتهم بالمكتوب. لكنْ هؤلاء الزواني والخطاة المنبوذون أتاهم المعمدان ودعاهم للتوبة، وكان للكرازة فاعلية عظيمة، فأنهضت كثيرين منهم، «فخرجوا إليه معترفين بخطاياهم» (مت٣: ٦). وبعدما سمعوا التهديد بالقطع، إن لم يتوبوا حين قال: «والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر» (مت٣: ١٠)، معلنًا أن الله في لطفه وطول أناته ينبّه الخطاة وينادي لهم بالتوبة، قبلما يجري القصاص. فخافوا وبالفعل اعتمد كثيرون، معترفين بحاجتهم للتوبة وتحطم عناد قلوبهم وانكسرت إرادتهم الذاتية وأتوا إلى الرب بندم ورجوع قلبي.

ولكن ماذا عن الابن الثاني؟ هل لم يكلّفه الأب بالعمل في كرمه؟ كلا! بل

«جاء إلى الثاني وقال كذلك»، مطالبًا إياه أن يذهب اليوم ويعمل في كرمه. «فأجاب وقال: ها أنا يا سيِّد ولم يمضِ»، تمامًا مثلما قال الشعب للرب قديمًا: «كل ما تكلّم به الرب نفعل» (خر١٩: ٨). وماذا فعلوا؟ كسروا أول وصيتين وصنعوا لأنفسهم عجلاً مسبوكًا وسجدوا له وذبحوا له «وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر» (خر ٣٢: ٨).

إن إجابة الابن الثاني: «ها أنا يا سيِّد» تجعلنا نتصور أن هذا الابن مطيع لأبيه، يريد إشباع قلبه وأن يعمل ما يرضي أباه، لكن حقيقة الأمر إن كل ما قاله كان كلام الشفتين وأظهر احترامًا لأبيه لكن لم يعمل إرادته، فقد وافقَ على الذهاب، لكنه لم يفعل!

إن الابن الثاني يشير إلى رؤساء الكهنة والشيوخ المتظاهرين بالطاعة لله والاهتمام بالطقوس والفرائض، بل وتعليمها للآخرين وكانوا يقولون: «هكذا يقول الرب»، لكنْ في حقيقة قلوبهم مبتعدين كل البعد، وهم يعرفون حقيقتهم، فهم «يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه. إذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون» (تي١: ١٦). إنه الإيمان الكلامي «لهم صورة التقوى، لكنهم مُنكرون قوَّتها» (٢تي٣: ٥). فهم واثقون من أنفسهم ولا حاجة لهم للتوبة القلبية. إنه الرياء والكبرياء الذي يكرهه الرب.

لقد قال الابن الثاني: «ها أنا يا سيد. ولم يمضِ». أكرم أباه بالأقوال وعصَى بالأفعال أقواله. وهنا سأل الرب مَن حوله: «فأي الاثنين عمل إرادة الأب؟» فأجابوه إجابة صحيحة فورية دون أن يفهموا مدلول كلام الرب يسوع «وقالوا: الأول»، وهذا صحيح لأنه شعر بتمرده وعَدلَ عن رأيه وأطاع صوت أبيه وذهب للعمل في كرمه، تاركًا وراءه حياة الترف واللامبالاة والشهوة والعصيان. نعم بالصواب أجابوا، لكن بعدم فهم لما أراد الرب أن يشير إليه بالمثل. وهنا كلّمهم الرب صراحة بمغزى المثل: «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله»، فهذا هو الابن الأول «العشارين والزواني»، إنهم يسبقون الكتبة

والفريسيين ومَن لهم البر الذاتي، المتمسكين بغسل الكؤوس والأباريق ويتغافلون عن غسل قلوبهم. أ لم تقرأ في لوقا ٧: ٣٦- ٥٠ قصة المرأة الخاطئة التي دخلت بيت الفريسي، الذي استقبل الرب استقبالاً يفتقر إلى اللياقة والتقدير للرب يسوع، حتى إنه لم يعترف به ولو مجرد «نبي»؟! فهو في نظره أقل من نبي، لكنه دعاه من باب التفاخر. لكن ما قَلبَ الموازين هو دخول المرأة الخاطئة التي تشير إلى الابن الأول الذي في بادئ الأمر «قال: ما أريد!»، لكنها سمعت ربما من المعمدان أو ربما كانت يومًا مع الجموع الذين يلتفون حول الرب يسوع، وربما سمعت دعوته: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم»، وشعرت بحاجتها. فبعدما قالت مثل الابن الأول: «ما أريد!»، ندمت أخيرًا وأتت لأنها تاقت للراحة من ثقل الخطية وكانت على يقين أنه إذا رفض الفريسي وجودها، فإن الرب لن يرفضها، بل سيلتقي بها ولو خارجًا، كما فعل مع المولود أعمى الذي حرموه من امتيازاته الدينية «وأخرجوه خارجًا فوجده الرب يسوع» وأعلن له ذاته (يو٩). أما الفريسي المُضيف الذي اعتبر نفسه أفضل منه وربما أفضل من كثيرين مِن حوله، هو الأكثر تديناً بممارساته الدينية وسلوكياته ودماثة خلقه وسيرته بين الناس، فقد دَانَ المرأة، قائلاً: «إنها خاطئة»، فهو يشبه الابن الآخر المملوء رياء، يلبس صورة الطاعة الشكلية ولا يعمل إرادة أبيه ولا يطيع وصاياه. وبعدما سأل الرب يسوع رجال الدين من كتبة وفريسيين وشيوخ الشعب: «فأي الاثنين عمل إرادة الأب؟» وبعدما أجابوه: «قالوا له: الأول»، قدّم الرب لهم الهدف من المثل: «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله»، ما أروعها أقوالاً! فإن الخطاة المنبوذين لشرهم يسبقون أصحاب البر الذاتي. ما أروع كلمة «يسبقونكم» التي تعلن أن الرب لم يغلق الباب على رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين لريائهم، بل أعلن أن من حقهم أن يأتوا وسيقبلهم، إذا أقروا بحاجتهم واحتياجهم ونفضوا أيديهم من أنفسهم ومن برهم الذاتي وكفوا عن أن يطلبوا أن يثبتوا بر أنفسهم (رو١٠: ٣) ويندموا أخيرًا ويأتوا!!

ثم أعلن لهم الرب أن الرسالة وصلت لهم، كما وصلت للعشارين

والزواني من المعمدان، فقال: «لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به. وأما العشارون والزواني فآمنوا به وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرًا لتؤمنوا به». فالرب هنا يوضّح لماذا «العشارون والزواني» يسبقون أصحاب البر الذاتي، معلنًا أن رسالة المعمدان فحواها أن يسوع هو المسيَّا ابن الله. «يوحنا جاءكم في طريق الحق»، أي وضّح أن طريق الخلاص هو الإيمان والتوبة والشعور بالندم على حياة التمرد على الرب.

فيوحنا جاءكم ليعلن الطريق وسمعتم، لكن في بركم وقناعتكم بأفضليتكم «لم تندموا أخيرًا لتؤمنوا به»، أما العشارون والزواني، فتجاوبوا مع دعوة المعمدان وندموا وآمنوا. تمامًا كالابن الأول الذي ندمَ وهذه هي التوبة. فالتوبة تغيّر في الفكر، ينتج عنه تغيّر في السلوك، التوبة وجْه للعُملة والوجه الآخر هو الإيمان، التوبة تفريغ الكأس من محتوياتها الجسدانية، استعدادًا لأن يملأها الرب بمحتوياته الإلهية. التوبة هي أن أقبل إلى الرب كما أنا، لأخلص بالنعمة، برغم كل ما كان فيَّ.

ويُلاحظ استخدام الرب عبارة: «ملكوت الله» وهو يكلّم رجال الدين المتدينين ولا يقول: «ملكوت السماوات»، لأنه يريد أن يعلن لهم أن التوبة هي الرجوع إلى الله واعترافنا بحقيقة مُلكه علينا وحتمية الخضوع أمامه وحكمنا على ذواتنا ومعرفة حقيقتنا أمام الله وعندئذ سنأتي خاشعين وهنا نرفض برنا أو أعمال برنا.

نعم! فالإنسان حتى المؤمن يشعر بحقارته أمام نور قداسة الله. أ لم يرفض أيوب نفسه وهو مؤمن مشهود له من الرب: «ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم. يتقي الله ويحيد عن الشَّر» (أي١: ٨)، لكن عندما أظهر الرب له ذاته قال: «أرفض وأندم في التراب والرماد»؟!

أ لم يشعر إشعياء النبي بنفس الصغر أمام الله؟ وماذا قال بطرس عندما أظهر الرب له شيئًا من مجده في امتلاء الشبكة بالسمك؟ أ لم يقل: «اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ»؟!

ثم يعلن الرب بوضوح أنهم هم المقصودون بالابن الثاني، الذي له شكل

الطاعة وهو متمرد رافضًا، فيقول: «وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرًا لتؤمنوا به». لقد نظروا خطاة تغيّرت حياتهم، لكنهم رفضوا أن يعلنوه أو حتى يعترفوا به أمام أنفسهم. فهم يرفضون التوبة خوفًا من تهكم الناس عليهم وخوفًا من أنفسهم، لئلا يصغروا في أعين أنفسهم.

فهم يريدون أن يحيوا حياة صارمة أمام الآخرين، لذا لن يقدّموا توبة وسيستمرون في تدينهم وبرهم الشخصي وهذا هو الرفض وعدم الندم "لم تندموا"، وهذا هو رفض التوبة لأن التوبة تجعلنا نشعر بنسبتنا إلى الله كمن أخطأنا إليه. ونخضع له كمَن له الحكم علينا ونندم على تصلفنا ونحكم على ذواتنا ولا نبالي بمديح الناس وحُكمهم علينا، بل ولا نرضي أنفسنا بالتساهل معها.

فالرب يعلن لهم هنا: «وأنت إذ رأيتم»، وفي متى ٣: ٧، ٨ يعلن أنهم رأوا وأن يوحنا رآهم وهم يراقبونه ويرقبون التائبين المعتمدين، بل واعتمد البعض منهم، لكن لأغراض، فيقول: «فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته، قال لهم: يا أولاد الأفاعي مَن أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم: لنا إبراهيم أبًا»، فيوحنا رأى أن هؤلاء لم يحضروا بقصد الاستفادة، لأنهم رفضوا معموديته للتوبة، بل ويعلن أن الذين اعتمدوا من بينهم لم يكونوا للتوبة، بل صوريًا ظنًا منهم أن معموديتهم كالآخرين لتحميهم من الغضب. لذا لقّبهم يوحنا المعمدان: «أولاد الأفاعي»، بسبب شرهم وتحايلهم على الهروب من الغضب الآتي، بقبول بعضهم المعمودية، بغير توبة وسألهم: «مَن أراهم أن تهربوا من الغضب الآتي؟» وهو الغضب الذي كانوا يعلمون من الكتب أنه يأتي على الأشرار عند ظهور المسيح وعلّموا الناس عنه من الكتب. والحقيقة إن الذي خافوه من وقوعه عليهم، قد وقع بالفعل عليهم كأمة وفي ١تسالونيكي٢: ١٦ «قد أدركهم الغضب»، ولكن لا ننسَ أن الباب ما زال مفتوحًا وعبارة الرب لهم في المثل: «العشارين والزواني يسبقونكم»، تعلن أن مَن سيأتي بالتوبة والندم، ولو أخيرًا، يُوجَد له مكان. والباب ما زال مفتوحًا!!

مَثَل عُرس ابن الملك

(مت ٢٢:١-١٤)

«[١]وَجَعَلَ يَسُوعُ يُكَلِّمُهُمْ أَيْضًا بِأَمْثَال قَائِلاً: [٢]يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَات إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِه، [٣]وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْس، فَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا. [٤]فَأَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ قَائِلاً: قُولُوا لِلْمَدْعُوِّينَ: هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْس! [٥]وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا، وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِه، وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِه، [٦]وَالْبَاقُونَ أَمْسَكُوا عَبِيدَهُ وَشَتَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ. [٧]فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ. [٨]ثُمَّ قَالَ لِعَبِيده: أَمَّا الْعُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ، وَأَمَّا الْمَدْعُوُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ. [٩]فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُق، وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْس. [١٠]فَخَرَجَ أُولئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُق، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَارًا وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ. [١١]فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لاَبِسًا لِبَاسَ الْعُرْس. [١٢]فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْس؟ فَسَكَتَ. [١٣]حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّام: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. [١٤]لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» (مت ٢٢: ١- ١٤).

في تكوين٢: ١٨ نرى قلب الله بصورة واضحة «وقال الرب الإله: ليس جيدًا أن يكون آدم وحده فأصنع له مُعينًا نظيره». وعليه، فقد صنع الرب الإله حواء حتى لا يكون آدم وحده. فالغاية سامية، فهو لا يريد أن يكون آدم وحده، لكن الوسيلة التي سيصنع بها المعين لآدم سامية للغاية. فهو لم يشأ لآدم أن يحس بالآلام «فأوقع سباتًا على آدم، فنام»، أي إنه لم ينتظر حتى ينام آدم نومًا طبيعيًا في وقته، بل أوقع عليه سباتًا وخرجت المرأة التي أحضرها الرب الإله لآدم.

وفي هذا رمز، لكن آه! ما أبعد الفرق بين الرمز والمرموز إليه! فلكي تُبنَى الكنيسة تألّم ابن الله وصُلب وقُطع في نصف أيامه وتكوّنت الكنيسة من لحمه ومن عظامه، فهو الرأس وهي جسده وسيأتي قريبًا ليأخذ عروسه وستجلس العروس بجوار عريسها الذي اشتراها بدمه.

وعليه، فالابن هو غرض كل أفكار ومشورات الله. والعُرس أساسًا لابن المَلك «وجعل يسوع يكلِّمهم أيضًا بأمثال قائلاً: يشبه ملكوت السماوات إنسانًا ملكًا صنع عُرسا لابنه». فالابن هو غرض مشورات الآب، وكل أمجاد العروس لعلاقتها بالابن. وسعادة العروس غير منفصلة عن الابن وأمجاده، وأي بركة أو مجد أو مقام لها، فذلك لعلاقتها بالابن.

مع أن المثل يَسرد كيفية تعامل الله مع شعبه، إلا إنه يصل لهدفه الرئيسي وهو الكنيسة عروسه. فالمَلك هو الله، والمسيح هو ابن الله الذي عُملت لأجله وليمة العرس.

يوجد تشابه كبير بين العشاء العظيم في لوقا ١٤: ١٦- ٢٤ وبين مثل عُرس ابن الملك هنا. لكن يوجد أيضًا اختلافات جوهرية تتفق والتعليم المقدَّم في كل منهما. فهنا في إنجيل المَلك، الداعي هو المَلك. ولم يقل الرب يسوع المثل في بيت الفريسي، كما في مثل العشاء العظيم، لكن هنا قاله في الهيكل. حتى التوقيت مختلف. فهنا في الأسبوع الأخير من حياة الرب يسوع، بينما مثل العشاء العظيم كان في تاريخ مبكر. وهنا لا نجد مَن اعتذر بزواجه من امرأة «تزوجت بامرأة فلا أقدر أن أجيء». كم أننا نجد

هنا وصفًا للمعاملة السيئة التي قُوبل بها الرسل وعقاب الذين اعتدوا عليهم بحرق مدينتهم، كما نرى الرجل الذي دخل «ولم يكن لابسًا لباس العُرس» وكانت العادة في هذا الوقت – كما الآن في بلدان كثيرة – أن تُكتب دعوتان للحفل الواحد، بينهما فترة كافية تسمح بالاستعداد. الدعوة الأولى يرسلها الداعي للمدعوين ليُعْلِمَهم بحفل العرس، ثم فترة زمنية لإعداد الترتيبات للعرس وحين تتم الترتيبات يَرسِل الداعي دعوته الثانية ليَحضر المدعوون للوليمة ويشاركوا أفراح العرس.

فما بين العدد٢ «يشبه ملكوت السماوات إنسانا ملكًا صنع عرسًا لابنه» وبين العدد ٣ «أرسل عبيده» فترة زمنية هي لكي يعلِن في الدعوة غرض الدعوة لكي يهيئ المدعوون أنفسهم لها. وهذا ما تمّ مع إسرائيل الذي دُعِي في النبوات «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين قبلما سكن في حاران وقال له: اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلم إلى الأرض التي أُريك» (أع٧: ٢، ٣).

وكم من نبوَّات تكلَّمت عن مجيء الرب يسوع ودعوته وإرسال الأنبياء إليهم، لكن «لم يسمع شعبي لصوتي وإسرائيل لم يرضَ بي» (مز٨١: ١١).

فلما جاء الميعاد «أرسل عبيده ليدعو المدعوين إلى العرس. فلم يريدوا أن يأتوا». لقد قُوبلت دعوته بالرفض وهذا ما تمّ في أيام تجسد ربنا المعبود، حينما أرسل تلاميذه الاثني عشر إلى المدن والقرى ليكرزوا ببشارة الملكوت ولكن الدعوة رُفضت والمدعوون لم يريدوا أن يأتوا. فالعرس مُعد والنعمة جَهّزت كل شيء والدعوة مجانية ووقت الغداء قد أتى وكل شيء أُعد، لكنّ المدعوين في استخفاف بالدعوة «لم يريدوا أن يأتوا». فماذا سيفعل الملك؟ تعامل معهم بالنعمة قدم لهم دعوة أخرى «فأرسل أيضًا عبيدًا آخرين قائلاً: قولوا للمدعوين: هوذا غدائي أعددته ثيراني ومسمناتي قد ذبحتْ وكل شيء مُعد. تعالوا إلى العرس». هذه الدعوة مؤسَّسة على الفداء الذي أُعد والمسمَّنات التي ذُبحت. فالعبيد الآخرون هنا هم مَن ذهبوا بالدعوة بعد صلب الرب يسوع وموته وقيامته ومجيء الروح القدس ووصلت الدعوة لنفس المدعوين واتسعت للكل، معلنة أن الوليمة أُعدت. فمثلاً بطرس في

أعمال٣: ١٧- ١٩ يعلن أن الباب لا يزال مفتوحًا أمامهم والدعوة مقدمة لهم وأن الدم الكريم الذي سفكوه بأيدي أثمة يستطيع أن يمحو آثامهم بشرط التوبة، فقدّم لهم الدعوة: «والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضًا. وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا. فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم». لقد قتلوا رئيس الحياة، قتلوا مسيَّاهم وأسلموه للرومان. لكنه بنعمته يرسل لهم الدعوة المؤسسة على الفداء على حساب النعمة. فماذا فعلوا؟ «لكنهم تهاونوا ومضوا واحد إلى حقله وآخر إلى تجارته». لقد قابلوا الدعوة بعدم اللامبالاة واعتبروا أن شؤونهم الحياتية ومشغولياتهم ادعى إلى الاهتمام من قبول الدعوة «فمنهم من مضى إلى حقله ومنهم من مضى إلى تجارته». ومع أن الطرق التي ذهبوا إليها ليست شرًا في حد ذاتها، لكن الشر يكمن في الاستخفاف بالدعوة والتهاون بها، فهم «تهاونوا ومضوا» كل واحد إلى طريقه. هذا ما فعلته هذه الأمة الشريرة وهذا ما يفعله الكثيرون وحذارٍ أن يكون القارئ منهم!

فقد لا تكون شريرًا بالأفعال، لكن التهاون بالدعوة سيجمعك مع الأشرار في مصير واحد. فاحترس ولا تكن مستبيحًا متهاونًا كعيسو «الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته» (عب١٢: ١٦). وارتباط الاستباحة بعيسو الذي احتقر البكورية يتفق والدعوة التي وجّهت من الملك إلى شعبه إسرائيل أولاً والذي قال الرب عنه في خروج٤: ٢٢ «إسرائيل ابني البكر» وفي رفض شعبه للدعوة واستهانتهم بها، كما استهان عيسو بالبكورية صورة لما نراه هنا في المثل مَن تهاون المدعوين، لكن أيضًا تفاهة السبب الذي من أجله استهان عيسو بالبكورية وامتيازاتها هو نفس السبب الذي نراه هنا، سواء في الذين لم يريدوا أن يأتوا أو المرة الثانية حين «"مضى واحد إلى حقله وآخر إلى تجارته».

لكن هناك حالة أشر من التهاون صدرت من فريق آخر. فبينما البعض يحتقرون النعمة، هناك من تجاسروا وأظهروا عداءهم الشديد للدعوة وللداعي وللعبيد أيضًا «والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم»، وهذا ما حدث.

ففي أعمال ٤ وضع رؤساء اليهود وشيوخهم وكتبتهم بطرس ويوحنا في السجن، ثم أمروهما أن يخرجا خارج المدينة وتآمروا عليهما. وفي أعمال ٧ رجموا استفانوس وماذا عن يعقوب الذي قُتل؟ وكثيرون!

فهذا هو موقف هذه الأُمَّة، سواء تحت الناموس أو حتى مع التلاميذ والرسل في عهد النعمة. لكن هناك مَن ينظر ويرقب ويرى ويسمع، فبعد صبر وطول أناة «فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم». وجاء عليهم ما قيل في تثنية ٢٨: ٦٤- ٦٨ «يبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها .. ولا يكون قرار لقدمك .. وتكون حياتك معلقة قدامك ... ولا تأمن على حياتك .. فتباعون هناك .. عبيدًا وإماء وليس مَن يشتري».

كل هذا لرفضهم الملك ودعوته وقتلهم لمسيَّاهم ولمَن أرسلهم. لقد بدأ اضطهاد اليهود ولم يمضِ على صعود الرب يسوع إلا أعوام قليلة وخلال دعوة تلاميذه واضطهادهم لهم، في تلك الأثناء حدثت فتنة بين اليهود والرومان وقتلَ الرومان نحو ٣٠٠٠٠ يهوديًا سنة ٥٠م. وفي ٧٠ م. ذهب تيطس الروماني على رأس جيش إلى أورشليم وحاصرها ودمروا المدينة وأحرقوا الهيكل بعدما نُهب وحُمل ما به وتشتت اليهود.

وهذه ليست نهاية هذا الشعب الذي احتقر الدعوة. لكن هناك دينونة أبدية تنتظرهم وتنتظر كل مَن يرفض دعوة النعمة «فكم عقابًا أشر تظنون أنه يحسب مستحقًا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنسًا وازدرى بروح النعمة؟!» (عب١٠: ٢٩). فالملك لم يتهاون أو يتسامح مع مَن يدوسون ابنه ويتهاونون بالدعوة وكلفتها، كما أنه لا يتهاون في دم عبيده وخدامه وإهانتهم وقتلهم لأنه «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي».

«ثم قال لعبيده: أما العُرس فمستعد وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين». إن المدعوين الذين اختصهم صاحب العرس بالدعوة في عدم تقدير رفضوا، بذلك فوّتوا الفرصة على أنفسهم وهذه هي زلتهم التي كانت غنى للعالم ونقصانهم الذي أصبح غنى للأُمم (رو١١: ١٢).

فقال صاحب العرس لعبيده: «اذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه ادعوه إلى العرس. فخرج أولئك العبيد إلى الطرق وجمعوا كل الذين وجدوهم أشرارًا وصالحين. فامتلأ العرس من المتكئين».

لقد وصل إنجيل نعمة الله إلى العالم أجمع وكُرز بالإنجيل للخليقة كلها وما زال حتى الآن عبيد السيد وخدامه يذهبون إلى مفارق الطرق وينشرون بشارة النعمة في كل المسكونة ولكل من يجدونه وبالفعل كم من أشرار طالحين وصلتهم الدعوة واستجابوا لها وانتقلوا من الموت إلى الحياة، حين أُعلن لهم عن ابن الله الذي بالإيمان به، الله «يبرِّر الفاجر»، وأن التبرير لا يستند على أقل ذرة من الاستحقاق ولا يتطلب أعمالاً، بل قبول العمل الذي عُمل لأجلهم على الصليب وكل مَن خلصوا – ومن بينهم كاتبة هذه السطور – خلصوا على مبدأ الإيمان بالفداء الذي بيسوع المسيح!!

لكن لم ينتهِ هذا المثل عند هذا الحد، بل يحدثنا عن أن الملك الذي أرسل لنا الدعوة للعرس وأعد لنا الوليمة «غدائي أعددته ثيراني ومسمناتي قد ذبحت». لم يكتفِ بهذا المثل، بل أخبرنا أن «كل شيء معد». حتى ثياب العرس التي تناسب الوجود في حضرته أعدها لنا.

«فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنسانًا لم يكن لابسًا لباس العرس. فقال له: يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟ فسكت!».

لقد كانت العادة المتبعة وقتئذ هي أن صاحب العرس – إذا كان عظيمًا أو غنيًا – يضع لكل المدعوين لباسًا واحدًا يكتسي به الجميع عند دخولهم، حتى لا يجتهد كل واحد أن يأتي بثياب من عنده وحتى لا يتعذر أحد أن ليس عنده ثياب تليق بيوم مثل هذا. فكأنه يقول للمدعوين: كل شيء مُعد، حتى الثياب، لا أكلف أحدًا شيئًا. كما أنه يريد أن الثياب تكون لائقة بالعرس وصاحبه.

«فلما دخل الملك لينظر المتكئين»، نظر بتمعن بعينيه الفاحصتين وإذ به يرى «إنسانًا لم يكن لابسًا لباس العرس». هذا الإنسان لم يقبل أن يرتدي الثوب المُعد لكل المدعوين أو ربما ظن أن ببره الوهمي يقدر أن يثبت أن

لديه رداءً أعده لنفسه يليق بحضرة الله، فأراد أن يثبت بره الذاتي لجهله ببر الله. لقد استخف بالنعمة. وهنا قال له الملك: «يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟!». فماذا كان الجواب لمَن أراد أن يدخل بالأعمال أو بدون الاكتساء بجلد الذبيحة ورداء البر؟ الحقيقة إنه لم يتكلَّم كلمة واحدة، بل «فسكت!». وماذا يقول والنعمة أعدت كل شيء وقد رأى آخرين يرتدون ما أعده الله مجاناً؟! ولقد سمع الخبر: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح»، وعلم مجانية التبرير التي لا تفيد أن قيمته قليلة، بل بالعكس إن قيمته باهظة جدًا ولا يمكن أن يدفعها أحد ولكن قد تحمّل حَمَل الله الكلفة كلها عنا ولذلك يمنحها لنا مجاناً بالنعمة!! لذا لا مجال للافتخار، فكل المتكئين يرتدون نفس الرداء المعد لهم.

فهل أخي القارئ .. حصلت بالنعمة على الحياة الأبدية وعطية الروح القدس؟ هل صار المسيح في المجد برك وصرت أنت بر الله فيه؟ إن كنت مثلي، فاطمئن مع كل المبررين، لأن عليك لباس العرس، وإن لم تكن منهم، فأسرع إليه ولا تستخف ولا تُخدع ببرك الذاتي، فهو «ثوب أكله العث» (أي١٢: ٢٨). وكل أعمال برك «كثوب عدة» (إش٦٤: ٦).

«فسكت!»، لأنه وقت القضاء. وفي أمثال٢٤: ٧ «الحكمة عالية عن الأحمق. لا يفتح فمه في الباب»، فعندما تحين المحاكمة يستد كل فم. وهذا الرجل لم يعتد بثوب العرس وتجاهله وظن أن لديه شيئًا يفتخر به، فاكتشف أنها ثياب قذرة، فصمت ولم ينطق البتة!

«حينئذ قال الملك للخدام: اربطوا رجليه ويديه (وخذوه) واطرحوه في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان».

«حيث تكون كلمة الملك. فهناك سلطان. ومن يقول له ماذا تفعل» (جا ٨: ٤). إن كلمة الملك مرتبطة بالسلطان ولذا لا يستطيع أحد أن يعارضه في غضبه وحنقه «كزمجرة الأسد حنق الملك» (أم ١٩: ١٢). فما أشقى من يتهاون ويقع في يده في يوم غضبه العظيم!

هناك تبطل كل حجة وتُربَط الأيدي كتعبير عن استحالة المقاومة،

والأرْجُل حتى لا يكون هناك مهرب ويُشل كل نشاط للجسد ولا يُسمع سوى صوت «البكاء وصرير الأسنان». هذا هو المصير التعس لكل مَن يرفض النعمة ويكتفي بأفخر رداء عنده، لكن ليس الرداء المخصَّص والمعيَّن من الله للتمتع بالخلاص الأبدي وعلى العكس يا لغبطة وسعادة أولئك الذين لبسوا ثياب الخلاص واكتسوا برداء البر الإلهي!

وإذا كنا لاحظنا أن الأعذار ليس بينها عذر واحد هام أو مقنع، فإننا نلاحظ أيضًا أن الملك لم يتكلم أو يَذْكر لهذا الإنسان أية خطية معينة، بل هذا الأمر الواحد وهو «لم يكن لابسًا لباس العرس»، أي إنه رفض نعمة الله التي فيها وحدها الكفاية لسد إعواز العدل الإلهي. وعليه فهذا الشخص قد أبقى خطاياه عليه. وذهب بها مطروحًا في الظلمة الخارجية والعذاب الأبدي المرير. أما من قبل الدعوة من «أشرار وصالحين» وتمتعوا بوليمة عرس ابن الملك، فقد نزعوا ثيابهم وأبدلوها ولبسوا الرداء الخاص الذي يمنحه الملك لكل المدعوين.

والسؤال لك أخي: **هل عليك لباس العرس؟** إن ثياب العرس لا يستطيع أحد أن يعطيها إلا صاحب العرس. فهل تقابلت معه وقبلت ما أعده لك واكتسيت به؟

ثم يختم المثل بالقول: «لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون». لقد ذكر الرب هذه المقولة أيضًا في متى٢٠: ١٦ في ختام مثل الفعلة في الكرم وهناك كان يشير إلى أولئك الذين يظنون في أنفسهم أن لهم الحق في المكافأة ويتوقعون المكان الأول وكيف أنهم سيُعطَون المكان الأخير، بينما أولئك الذين لم يتفقوا على أجر، بل اعتمدوا اعتمادًا كليًا على نعمة الرب وكرم السيد سيكونون هم الأولين. أما هنا، فالكثيرون هم الذين وجّهت لهم الدعوة أولاً واحتقروها ولم يعتدوا بها وبالتالي لم يهنئوا بوليمة الملك، بينما القليلون المنتخبون هم الذين رفعتهم النعمة واكتسوا بلباس العرس، بعدما رفضوا الجسد وأعماله وقبلوا العمل الذي عُمِل على الصليب لأجلهم وتخلوا عن برهم الذاتي.

مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات

(مت ٢٥:١-١٣)

«[١]حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. [٢]وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. [٣]أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا، [٤]وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. [٥]وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. [٦]فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! [٧]فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. [٨]فَقَالَتِ الْجَاهِلاَتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. [٩]فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ قَائِلاَتٍ: لَعَلَّهُ لاَ يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ. [١٠]وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ. [١١]أَخِيرًا جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضًا قَائِلاَتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا! [١٢]فَأَجَابَ وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ. [١٣]فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ» (مت٢٥: ١- ١٣).

هذا المثل مشهور جدًا وهو من تشبيهات ملكوت السماوات يوضّح حالة التغافل عند كثيرين من المسيحيين، وهو مرتبط بكلمة «حينئذ» التي يبدأ بها

بمثل العبد الرديُّ الذي قبْله (مت٢٤: ٤٨- ٥١) الذي «قال في قلبه: سيِّدي يبطئ قدومه». صحيح إنه «قال في قلبه»، ولم يعلنها على المنابر أو يعلّم بها، كما نرى الآن ونسمع لغة هذا العبد على صفحات الكتب وعلى المنابر، لكن السيد أتى «في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها»، ونال هو المصير. «فحينئذ» التي بدأ بها الرب المثل ربطت الحالة التي سيتكلَّم عنه في هذا المثل وحالة العبد الردي الذي قال: «سيِّدي يبطئ قدومه» ليوضّح حالة التغافل وعلى الاستعداد لمجيء الرب يسوع المسيح أو حالة غياب الرجاء كغاية سياحتنا في هذا العالم.

«حينئذ يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس». إن غرض العذارى العشر واحد وهو «لقاء العريس» وكان بيد كل واحدة منهن نفس الشيء «مصباح» أي مِشعَل. والمشعل لا يخرج ضوءً إلا بعدما يُمد بالزيت، فالزيت هو سر الإضاءة. فالعشر لهن جميعًا انتماء واحد، فهن المُعترفات باسم المسيح والذين قبلوا رجوع الرب لغاية سياحتهم في هذا العالم مثل التسالونيكيين «الذين رجعوا إلى الله من الأوثان ليعبدوا الله الحي الحقيقي وينتظروا ابنه من السماء» (١تس١: ٩، ١٠)، وهذه حقيقة مؤكدة، فالرجوع إلى الله الحي مرتبط ارتباطًا وثيقًا برجاء مجيء ابنه من السماء ليأخذنا إليه وهذا ما أدركته جميع العذارى في هذا المثل، فجميعهن «خرجن للقاء العريس»، أي خرجن من العالم وأعطين ظهورهن للعالم وليس معهن إلا مصابيحهن والمصباح يتكلَّم عن المسؤولية في إنارة الآخرين، بعدما استنرنا «تُضيئون بينهم كأنوار في العالم» (في٢: ١٥). فهي مسؤولية فردية لكل مَن كان قبلاً ظلمة، أما الآن فنور في الرب (أف٥: ٨).

إلا إن الرب يعلن أن هناك فريقين لا ثالث لهما بين المعترفين باسمه، فيقول: «وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات». الحكيمات هن بنو العرس الذين صاموا حين رُفع العريس، وهن رمز للمسيحيين الحقيقيين الذين خرجوا من العالم. أما الجاهلات فلهن اعتراف بالرب يسوع المسيح، لكن

مجرد تديُّن واعتراف بالفم، فخرجن مع الخارجات، لكن لم تكن عواطفهن ولا قلوبهن ملتهبة بالمحبة، فكل ما لديهن هو تدين وصورة للتقوى واعتراف أجوف. ويُلاحظ أن رقم خمسة لا يعني أن الحكيمات متساويات في النسبة مع الجاهلات، كلا! فلو كان نصف العالم حكيمات والنصف الآخر جاهلات، لكنا عشنا جو السماء ونحن هنا على الأرض، لكن رقم خمسة يتكلَّم عن المسؤولية، فالحواس خمس وأصابع اليد خمسة وكل واحد مسؤول عن حالته أمام الرب.

«أما الجاهلات» وبدأ الرب بهن لأن الشريحة الأكبر في المسيحية لديهم اعتراف أجوف وليس لديهم حياة الانتظار الحقيقي واليقظة الروحية «أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتًا».

المصباح باليد يراه الجميع. أما الزيت الذي سيجعل المصباح ينير فهو غير منظور إلا عند الاختبار والاحتياج للإنارة. فالنور شيء والأعمال الحسنة شيء آخر. المصباح في اليد يشير للأعمال، أما الزيت فيشير لامتلاك الرب على القلب. النور في الداخل والأعمال هي ضياء النور في الخارج. لذا قال الرب في متى٥: ١٦ «فليضيء نوركم»، أي ليَظهر المسيح فيكم، وما تم في القلب يُعلَن عنه في السلوك.

وقمة الجهل في الجاهلات أنهن «أخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتًا»، كيف سيضيء المصباح بدون الزيت؟ لا لزوم للمصباح بالمرة إن لم يكن فيه زيت، فالزيت سر الإضاءة، فهو رمز للرب يسوع المسيح داخليًا بحياته وروحه. أما الاعتراف الأجوف بانتماء للمسيح والقلب بعيدًا جدًا فعواقبه وخيمة، كما سنرى. ثم يُلاحظ دقة الوحي في أنه لم يذكر شيئًا عن أنيتهن التي قيلت عن الحكيمات. «لم يأخذن معهن زيتًا»، أين الآنية التي سيُوضع فيها الزيت لإضاءة المصباح؟! إنه القلب المبتعد بعيدًا جدًا، الذي يكتفي بالاعتراف الأجوف، دون توبة حقيقية.

«وأما الحكيمات فأخذن زيتًا في أنيتهن مع مصابيحهن»، وهذا هو سر الحكمة، إدراك الحكيمات لأهمية الزيت في الآنية. توبة حقيقية، تقوى

حقيقية، إيمان حقيقي، قلب عامر بحياة الرب يسوع المسيح. الزيت في الآنية عبارة عن نعمة الله في القلب، حتمية الولادة الثانية «ينبغي أن تولدوا من فوق» (يو٣: ٧). فالحكيمات معهن «مصابيحهن» أي شهادة في الخارج ناتجة عن عمل الروح القدس في الداخل في «آنيتهن».

«وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن». خمد الرجاء الذي جمعهن معًا «لقاء العريس»، تغافلن وتحولن عن موضوع رجوعه ووجوب انتظاره. وهذا ما تم بالفعل في تاريخ الكنيسة وظهرت تعاليم مضلة منها انصراف أفكار الأتقياء لمجرد الانطلاق إلى الرب بالموت وخمدت الحرارة الروحية ولم تعد الخدمات تركِّز على حياة اليقظة الروحية وانتظار مجيء الرب. وربما الذي زاد هذا الشعور أنه بدأ تحديد موعد لمجيئه، فلما لم يأتِ، ظنوه «أبطأ». أو ربما كثر العبيد الأردياء مثل العبد الذي قال في قلبه: «سيدي يبطئ قدومه» (مت٢٤: ٤٩) وأعلنوا على منابرهم ما قاله العبد الردي في قلبه وقدموا حُججًا وبراهين ونظريات وحسابات خاطئة في جهل لكلمة الله سببت تشويشًا أن السيد لن يأتي الآن، أو ربما تسرَّبت روح العالم إلى العذارى وذرَّى الشيطان الرماد في العيون وانشغلن بالعالم، فانهدم سور الانفصال، فخمد الرجاء المبارك وتشابهت الحكيمات بالجاهلات، «فنعسن جميعهن ونمن». لكن العريس الذي أحب الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، أرسل أتقياء بصوت تحذير: «ففي نصف الليل صار صراخ: هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه». إنها الصحوة الفيلادليفية، نهضة صراخ نصف الليل، حيث استخدم الروح القدس أمناء في إحياء الحق المسيحي ولا سيما حقيقة مجيء الرب يسوع. وكان لصراخهم دوي أيقظ الكثيرين. فكان الصراخ في نصف الليل أي في أشد أوقات الجهل بحقيقة مجيء الرب، ولم يكن مجرد نداء بالحق الكتابي «هوذا العريس مقبل»، بل أيضًا دعوة وتحريض لليقظة الروحية من الروح العالمية «اخرجن للقائه» واستعد للقاء إلهك، فاليقظة يتبعها سلوك، ويقظتنا وسلوكنا وخروجنا للقائه يؤثر في نفوس الآخرين ويوقظ مشاعرهم لاسيما وأن الحكيمات حين يستيقظن سينرن مصابيحهن

ويعلن الحق ويعلو صوت الصراخ: «هوذا العريس مقبل».

«فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن». لقد أيقظ الصراخ جميع العذارى بعد أن نمن جميعهن، وفي وقت نومهن، جاء التراب على مصابيحهن، فاتسخت وأظلمت، فما أن سمعن صوت الصراخ حتى استيقظت الأشواق وانتعش الرجاء، فقامت الحكيمات وأصلحن مصابيحهن وما أن أصلحن مصابيحهن إلا وأنارت، فالزيت في الآنية يكفي ويكفل لتوصيلهن إلى العريس. وهنا نظرت إليهن الجاهلات «فقالت الجاهلات للحكيمات: أعطينا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفئ». يا له من جهل!! أ لم تحسبن حسابكن من قبل؟! ما فائدة مصابيحكن وهي فارغة من الزيت؟! الأمر الذي يشبه الاعتراف بأنهم للمسيح، دون أن يمتلك الرب القلب، ربما نتيجة التعليم الخاطئ بأن المعمودية هي الميلاد الثاني وأن كل المسيحيين نالوا الروح القدس الذي هو عربون الميراث بالمعمودية، أو ربما التعليم بعمومية الخلاص لكل مسيحي معتمد، أو لربما التعليم بأن الخلاص بالأعمال. والحقيقة إن المعمودية ليست ميلادًا بالمرة، بل هي موت «مدفونين معه في المعمودية» (كو٢: ١٢). وأيضًا «كل مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمد لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت» (رو٦: ٣، ٤). ثم لو كانت المعمودية هي الولادة الثانية، لما كان بولس الرسول يشكر الله أنه لم يعمِّد أحدًا «أشكر الله إني لم أعمد أحدًا منكم إلا كريسبس وغايس» (١كو١: ١٤). فهو ولَدهم بالإنجيل (١كو٤: ١٥) ولم يولدهم بالمعمودية، فالولادة من فوق شيء والمعمودية شيء آخر والذي يعتمد يُوضع عليه اسم المسيح، لكن ليس كل معتمد مولودًا الولادة الثانية.

لقد شعرت الجاهلات بأن مصابيحهن تنطفئ، لكن لجهلهن ظنن أن الحكيمات يمكنهن أن يعطينهن من زيتهن «أعطينا من زيتكن»، كلا!! فالخلاص شخصي، لا يخلِّص إلا صاحبه عندما يقبل إلى الرب بالتوبة القلبية الحقيقية. لقد اعترفت الجاهلات بحالتهن: «مصابيحنا تنطفئ» والرب أعلن في لوقا ١١: ١٣ «الآب الذي من السماء، يعطي الروح القدس للذين

يسألونه». أما الحكيمات فليس لهن أن يعطين مما لديهن للجاهلات، لذا «أجابت الحكيمات قائلات: لعله لا يكفي لنا ولكن، بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن»، والمقصود «اذهبن» لمَن يبيع بلا فضة وبلا ثمن (إش٥٥: ١)، لأنه دفعَ الثمن كاملاً على الصليب وكل فرد عليه أن يذهب بنفسه ويطلب زيتًا لنفسه. وسمعت الجاهلات النصيحة بعد أن اكتشفن حقيقتهن وأخذت الجاهلات قرارًا بالذهاب للحصول على الزيت، بعدما عرفن أهميته، فذهبن في لهفة وربما دار حديث بينهن: لقد سمعنا كثيرًا عن عطية الروح القدس وتهاونا، كم سمعنا عن «ينبغي أن تولدوا من فوق» وأجَّلنا، الآن نحن نسير في الظلام في «نصف الليل»، والمصابيح ليست مضاءة، فلنذهب لعلنا نجد الزيت. وربما تذكرت الجاهلات أنهن فكرن في الزيت مرارًا، لكنهن فعلن ما فعله فيلكس وتأجيله للقرار «أما الآن فاذهب، ومتى حصلت على وقت أستدعيك» (أع٢٤: ٢٥)، فأجلن التوبة رغم معرفتهن بأهميتها أو ربما أردن أن يفرحن بالشباب والحياة إلى حين وفي كبرهن سيأتين بالتوبة، وربما عدو كل بر أربكهن باهتمامات وقتية عن أمر أبديتهن، لكن ها هن قررن الذهاب.

«وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب»، وهنا بدأت أفراح المستعدات. ويُلاحظ أن المستعدات كلهن دخلن معه إلى العرس، فالاختطاف بالنعمة، لذا لن يتخلف عنه فرد واحد، سواء من الراقدين أو الأحياء، فهو امتياز لا مسؤولية، ولا صحة لتعليم أن الاختطاف سيتم على دفعات، وأن المستعدات هنا هم الذين لهم مستوى روحي سامٍ عن غيرهم من المؤمنين، فهذا فهم خاطئ. صحيح إن هناك تفاوتًا في حياة السهر والاستعداد والأثمار ما بين ثلاثين وستين ومئة، إلا إن الإثمار نفسه ولو في أقل درجاته «ثلاثون» هو دليل وجود حياة. وكل ابن وارث.

لكن مجيء العريس تبعه غلق الباب «وأغلق الباب»، أي باب؟ باب التوبة والإيمان والخلاص. والذي أغلق الباب ليس الحكيمات، بل الذي يغلق ولا أحد يفتح (رؤ٣: ٧)، وهذا ما يجعل الأمر في غاية الخطورة!

«أخيرًا جاءت بقية العذارى أيضًا»، ولم يجدن إلا بابًا موصدًا أمامهن، وجئن بدون زيت لأن نصف الليل ليس فيه باعة. لقد فات الميعاد (إر٤٦: ١٧)! وبدت طرقات الحزن والأسى على ضياع الفرصة، فقد أُوصد الباب وفي تكوين٧: ١٦ وبعدما فعل نوح كل ما أمر به الرب، نرى الرب نفسه يغلق باب الفلك «وأغلق الرب عليه»، ولا توجد جملة تعبر عن سلامة المؤمن الكاملة في المسيح مثل هذه العبارة، لأنه مَن ذا الذي يستطيع أن يفتح بابًا أغلقه الرب بيده؟! ومَن هم في الداخل هم في دائرة الأمان، لكن من الجهة الأخرى مَن في الخارج انصب عليهم الغضب، وهذا سيكون بعد الاختطاف. فالعذارى الحكيمات جميعهن في الداخل والجاهلات في الخارج "والحُكم هو بلا رحمة".

أخي .. إن الصوت الآن يدوي: «هوذا العريس مقبل»، فهل تتجاوب مع الصوت أم تؤجل؟ هل تريد أن تقف في هذا الموقف أمام الباب الموصد؟ اسأل نفسك!

«أخيرًا جاءت بقية العذارى أيضًا قائلات: يا سيِّد، يا سيِّد، افتح لنا! فأجاب وقال: الحق أقول لكنَّ إني ما أعرفكن». لقد كانت انتماؤهن للسيد بلا اسم فقط: «يا سيِّد»، اعتراف أجوف. والسيِّد لم يفتح الباب لهن، بل أجابهن من الداخل: «إني ما أعرفكن»، لأنهن لسن من خرافه «خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني» (يو١٠: ٢٦)، فالذين في الداخل «الحكيمات» من خرافه وقد سمعن وتجاوبن مع صوته بالإيمان وهو يعرفهن جيدًا فردًا، فردًا وبالأسماء والذين في الخارج هم بالاسم يعرفونه، لكنهم لم يتجاوبوا مع صوته، حين نادى عليهم: «تعالوا إليَّ ... وأنا أريحكم»، «أنا هو الباب»، «أنا هو الطريق»، آه، الآن هم يصرخون وهو لا يستجيب لهم!!

ثم يقدّم الرب دعوة للسهر بكلمات مشجعة: «فاسهروا إذًا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان»، إنها دعوة قلب مُحب لا يريد هلاكك، بل جاء يصنع بنفسه تطهيرًا لخطاياك. ما قيمة كل شيء أو أي شيء بين يديك وتستمتع به حين تُطرح في الظلمة الخارجية؟!، الذهب

سيَذهبُ، والفضة ستَفضُ، لكن العذاب الأبدي سيبقى! فهل تفكر في هذا الأمر الرهيب؟ هل هناك أغلى من نفسك؟ المصير أبدي لا رجعة فيه والوقت يمضي سريعًا وسيُغلق الباب. اسمع، فتحيا نفسك (إش ٥٥: ٣).

وإن كنت مؤمنًا، أدرك «إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ... قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور» (رو١٣: ١١، ١٢).

لكن ألا تلاحظ معي أن الجاهلات لم يرين العريس عندما أقبل، كما لم يرين الحكيمات عندما دخلن معه! إن الجاهلات لم يجدن إلا بابًا مغلقًا. ومن هذا نتعلَّم أن الاختطاف غير منظور، ولن يرى الرب في مجيئه لاختطاف! إلا المؤمنون!

لكن عندما جاءت الجاهلات لم يجدن الحكيمات وهذا معناه أن الاختطاف سيغيِّب المؤمنين عن أعين الناس، وسيلاحظ الجميع اختفاء عدد لا يُستهان به من رجال ونساء وجميع الأطفال من كل الأقطار. فكم من كوارث ستحدث نتيجة لهذا الاختفاء! فمثلاً: إذا كان قائد طائرة أو قائد قطارًا أو سيارة مؤمنًا، فكم الهول والرعب الذي سينتج عن هذه اللحظة!!

وما أصعب كلمة «ما أعرفكن»! فهي تعلن أن لا فرصة لكل من سمع عن الرب يسوع وخلاصه في دائرة الاعتراف المسيحي ولم يقبل، فقد أُغلق الباب!

مَثَل الوزنات

(مت ٢٥:١٤-٣٠)

«١٤وَكَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ، ١٥فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ وَزَنَات، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزْنَةً. كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ. ١٦فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ. ١٧وَهكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، رَبِحَ أَيْضًا وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. ١٨وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. ١٩وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. ٢٠فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ أُخَرُ رَبِحْتُهَا فَوْقَهَا. ٢١فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ٢٢ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رَبِحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا. ٢٣قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ٢٤ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. ٢٥فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ. ٢٦فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ وَالْكَسْلاَنُ، عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، ٢٧فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ

تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِبًا. [٢٨]فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَات. [٢٩]لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. [٣٠]وَالْعَبْدُ الْبَطَّالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (مت٢٥: ١٤- ٣٠).

بهذا المثل أنهى الرب القسم الثاني من عظة جبل الزيتون. وهذا القسم يتكلّم عن المسيحية في مجملها أو دائرة الاعتراف المسيحي، أي ملكوت السماوات في صفته السرية أثناء غياب الملك والذي بدأ من الأصحاح ٢٤: ٤٤ وحتى ٢٥: ٣٠ والذي احتوى على ثلاثة أمثال، كل مثل منهم ينقسم إلى فريقين: عبد أمين وعبد رديء، عذارى حكيمات وعذارى جاهلات، وهنا نوعان من العبيد: عبد صالح وأمين، وآخر عبد شرير وكسلان.

ويشابه مثل الوزنات هذا مثل العشرة أمْناء المذكور في لوقا ١٩: ١٢- ٢٧، مع الفارق، في مثل الأمْناء أعطى السيد منًا واحدًا بالتساوي لكل واحد من عبيده. أما هنا في مثل الوزنات، فكل واحد أخذ «على حسب قدر طاقته»، والرب وحده الذي يعرف الطاقة ويعطي على قدرها.

«وكأنما إنسان مسافر»، **مَن هو هذا الإنسان؟** إنه الرب يسوع الذي سافر إلى السماء، الذي «ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء» (أع٣: ٢١). فهو قد سافر وترك هنا عبيده «وسلَّمهم أمواله»، ليعملوا في فترة غيابه. والسيد هنا أعطى وزنات مختلفة، لكنه لم يترك أحدًا دون أن يعطيه. فالمواهب متفاوتة في النوع والمنسوب. «فأعطى واحدًا خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة». على أن هذا التنوع والاختلاف في الموهبة والخدمة ليس ليحرِّك العوامل الجسدية أو لتوليد غَيْرة، بل لأجل تكميل القديسين (أف٤: ١٢). كما إن الوزنة – كما سنرى في الذي أخذ الوزنة الواحدة – لا يُشترط أن تكون مواهب، لكنها امتيازات: كأن يُولد أحد في بيت مسيحي أو يتربّى في كنيسة تعرف الحق، أو يكون له آباء أتقياء ... إلخ. وفي الكتاب المقدس مثال لرجل أخذ وزنة، لكن كان مصيره هو نفس مصير العبد

البطّال هنا، وهو يهوذا الإسخريوطي الذي حَصلَ علـــى امتيـــازات دون أن يكون له الإيمان القلبي الحقيقي. وفي متى٧: ٢١- ٢٣ يقول الرب يسوع: «ليس كل مَن يقول لي: يا رب، يا رب! يدخل ملكوت السماوات، بل الـــذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يـــا رب، يا رب! أ ليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ . فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم!».

فالوزنات أُعطيت للكل، لكل مسيحي دُعي عليه اسم المسيح. والمحـــك الوحيد لإيماننا ومحبتنا هو أن الرب أعطانا وعلينا أن نفرح ونعمل بكل جِد بما أعطاه الرب لنا من وزنات وأيضًا نفرح بما منحه الرب لآخرين، لكـــن ما يجب أن نؤكّده أنه لا يوجد أحد لم يعطِه الرب شيئًا. لقد أعطى الوزنات وسافر للوقت ولم يترك وصية بالمتاجرة، لكن مَـــن تـــاجرَ، يُحِـــب ســـيده. «فمضى الذي أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح خمس وزنـــات أخـــر». لقد تاجر بكل ما عنده وبكل طاقته «فربح خمس وزنات أخر». وهكذا الذي أخذ الوزنتين «ربح أيضًا وزنتين أخريين». صحيح إن مواهبه تفاوتت عن ذي الخمس وزنات، لكنه عمل بكل طاقته لإسعاد قلب السيد الـــذي يحبـــه. ونلاحظ أن صاحب الخمس وزنات وصاحب الوزنتين حصلا علـــى عائـــد ١٠٠%، فالخمس وزنات ربحت خمس وزنـــات أخـــر والوزنتـــان ربحتـــا وزنتين أخريين وضاعفا ما لديهما. والربح عبارة عن النمو الروحي الـــذي يحصل لنا شخصيًا . وفي أمثال١١: ٢٥ يقول: «الـــنفس الـــسخية تـــسمن والمروي هو أيضًا يُروَى»، كما أن السامعين أيضًا يخلصون. وبولس يذكِّر تيموثاوس بالقول: «لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك (من المسؤولية الملقاة عليك أمام الرب) والذين يـــسمعونك أيـــضًا» (١تي٤: ١٦).

«وأما الذي أخذ الوزنة الواحدة فمضى وحفر في الأرض وأخفى فـــضة سيده». آه! لقد دَفن ما منحه السيد له وهذا عدم تقدير لعطايا السيد، كما إنه

عدم الإيمان. وجلب على نفسه التعب والانحناء «حفر في الأرض»، «والذين يفتكرون في الأرضيات هم أعداء صليب المسيح ونهايتهم الهلاك»، إنهم – كما سنرى في هذا الذي أخذ الوزنة الواحدة – يفتخرون بما هو مفروض أن يكون سبب خزي لهم، والأرض هي مجال أفكارهم (في٣: ١٩)، وبحسب مز١٧: ١٠، ١١ «قلبهم السمين قد أغلقوا. وبأفواههم قد تكلموا بالكبرياء ... نصبوا أعينهم ليزلقونا إلى الأرض»، وبحسب ترجمة داربي: «وجّهوا أبصارهم إلى الأرض».

«أخفَى فضة سيده»، إنها ليست فضته، لكنه لا يهتم بمال سيده، متناسيًا أنه يومًا سيلتقي به ولو «بعد زمان طويل»، وهذا ما حدث «وأتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم». إن الزمان الطويل هو طويل بالنسبة لقصر الحياة، لكن المهم أن هناك محاسبة. وهنا «جاء الذي أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلاً: يا سيد خمس وزنات سلَّمتني، هوذا خمس وزنات أُخر ربحتها فوقها». لقد أظهر أمانته فيما أُوكِل إليه، فحصل على بركة ثلاثية من السيد: أولاً: حصلَ على المديح، فقال له سيده: «نِعمَّا أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينًا في القليل». ثم حصل على كرامة من السيد: «فأقيمك على الكثير» وأخيرًا المجد كالجائزة الكبرى: «ادخل إلى فرح سيدك».

«ثم جاء الذي أخذ الوزنتين وقال: يا سيِّد وزنتين سلمتني هوذا وزنتان أخريان ربحت فوقهما»، فسمع نفس النِعمَّا ونال نفس البركة الثلاثية من مديح وكرامة ومجد. «قال له سيِّده: نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيد». فكل مَن الذي أخذ الخمس وزنات والذي أخذ الوزنتين صورة لكل مؤمن مفتدي الوقت يستثمر كل عطايا سيده لمجد اسمه ولا يلتفت إلى مادح أو ذام، بل ينتظر النِعمَّا من السيد. وبولس في ١كورنثوس٤: ٤ يقول: «بل لست أحكم في نفسي أيضًا ... لكن الذي يحكم فيّ هو الرب»، مع أنه كان يدرب نفسه أن يعيش بضمير طاهر قدام الله والناس، فقال: «حينئذ يكون المدح لكل واحد من الله»، وهذا ما نراه هنا.

ما أروع ما قاله له السيد: «نِعِمَّا أيها العبد الصالح والأمين»! لأن الأمين في خدمته، يلزمه أن يكون له صلاح في العيشة والتمسك بالحق الكتابي. لكن ما يسبي قلوبنا أن السيد بنفسه يمنح المكافآت «لا بد أننا جميعًا نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد منا ما كان بالجسد». هناك ستكون مكافأة خدام الرب بيد الرب، على خدمتهم للرب بمواهبهم. فالمكافأة ليست على إظهار درجات مختلفة من الأمانة، بل على توافر مبدأ الأمانة. فما أروع أن ننتظر النِعِمَّا من سيدنا فنخدمه هنا بأمانة، عالمين أن تعبنا ليس باطلاً في الرب!

أما الآن دعونا نرى ماذا قال الذي أخذ الوزنة الواحدة، وكما عرفنا أنها الامتيازات الخاصة به كشخص مسيحي لديه الكتاب المقدس ودُعِي عليه اسم المسيح الكريم، لذا ماذا فعل بالوزنة التي أودعها له سيده؟

«ثم جاء أيضًا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال: يا سيِّد عرفت أنك إنسان قاسٍ تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر. فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض. هوذا الذي لك».

إن العبد الغير أمين في مثل الأمناء وضع فضة سيده في منديل ولم يستعملها (لو١٩)، أما هنا فالذي أخذ الوزنة الواحدة حفر في الأرض وأخفاها، وفي جهل يريد أن يرُد الوزنة «هوذا الذي لك». والحقيقة سواء مَن وضعَ الفضة في منديل أو مَن أخفى الفضة في الأرض، رأيهما واحد في المسيح من حيث العقيدة التي تنعكس على السلوك، برغم أن كل منهما يبدأ أقوله: «يا سيِّد»، لكن هذا اعتراف بالفم فقط بسيادته. وفي ملاخي١: ٦ يقول الرب: «الابن يُكرم أباه والعبد يُكرم سيده، فإن كنت أنا أبًا فأين كرامتي، وإن كنت سيدًا فأين هيبتي؟». فلو كان هذا العبد يهاب سيده الذي يناديه: «يا سيِّد»، لعمل ما يشبع قلبه. ثم ماذا يعرف هذا العبد عن سيده؟ إنه يجهل لاهوت الرب يسوع «عرفت أنك إنسان»، ثم إنه ليس فقط إنسانًا، بل إنسانًا قاسيًا، فلا يعرف هذا العبد هذا السيد كمَن أحب المحبة الفائقة المعرفة! هل لا يعرف كم دفع في طريق محبته وكيف بذل نفسه عن

الخراف وأنه «أسلم نفسه»؟! إنه «المملوء نعمة»، الذي «تحنن على الجموع». وبكى مع الباكين. ثم يستطرد في وصفه للسيد ويتهمه بأنه غير عادل: «تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر». كيف وهو الزارع الذي خرج ليزرع، بل هو حبة الحنطة التي دُفنت في الأرض حتى لا تبقى وحدها، بل تأتي بثمر كثير!!

ثم يبرِّر حاله ويقول: «فخفت» لأنه ليس في قلبه محبة حقيقية للرب. ففي ١يوحنا ٤: ١٨، ١٩ يرد القول: «لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج. لأن الخوف له عذاب. وأما من خاف فلم يتكمَّل في المحبة». وفي رؤيا٢١: ٨ قائمة سوداء للأشرار تبدأ بالخائفين. «فخفت»، لكنه في خوفه تصرف تصرفًا يعلن عدم إيمانه «فمضيت وأخفيت وزنتك في الأرض». لقد حفر في الأرض وبذل جهدًا. وإذا رجعنا لقصة عاخان نرى ترتيبًا عجيبًا لوضعه الغنيمة «فيقول: رأيت رداء شنعاريًا نفيسًا ومئتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً فاشتهيتها وأخذتها، وها هي مطمورة في الأرض وسط خيمتي والفضة تحتها» (يش٧: ٢١).

وبالفعل عندما ذهب يشوع وجد «الفضة تحتها»، والفضة رمز للفداء وغير المؤمن لديه كل ما يفخر به! إلا الفضة (الفداء). نعم إنه يزهو بكل ما هو ثمين ونفيس في العالم، أما الفضة فيطمرها، كما طمر هذا العبد الوزنة التي أعلن سيده أنها «فضتي» (ع٢٧)، فالذي دفن الوزنة في الأرض وأخفى فضة سيده رمز وعينة لمَن نال بعض المزايا، لكن غير مؤمن، بل مفتكر في الأرضيات.

وهذا الرجل في جهل يقول للسيد: «هوذا الذي لك»، إنه يريد أن يتنحى عن المسؤولية. فماذا سيفعل السيد بهذا العبد؟ «فأجاب سيده وقال له: أيها العبد الشرير والكسلان». لقد أعلن السيد حقيقة هذا العبد أنه «شرير» خاطئ في عقيدته وعيشته. ويجب أن يعرف أننا نصبح خطاة ليس بعدما نعمل الخطية، لكن الحقيقة لأننا خطاة نعمل الخطية وهذا واضح مما قيل عن قايين: «ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه. ولماذا ذبحه؟ لأنه أعماله

كانت شريرة» (١يو٣: ١٢)، فقايين من الشرير أي من إبليس، لذا ذبح أخاه، مع أنه – مثل هذا العبد – كان متديناً يبحث عن تقديم قربان، لكنه تجاهل الذبيحة، كما تجاهل هذا العبد الفضة ودفنها في الأرض.

لكن هل نفهم من كلام الرب مع هذا العبد أن الرب يحلِّل الربا حين قال: «عرفت أني أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر. فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيئي أخذ الذي لي مع ربا»؟، كلا! فالرب يقول له إن كان هذا تصورك عني، إني قاسٍ أحصد وأجمع من حيث لم أزرع، فلماذا لم تعاملني كرأيك الشرير فيَّ؟ لماذا لم تربحني بالربا الذي هو ربح الكسلان مثلك؟ فما دمت لا تريد أن تتعب في خدمتي، فلا تدفنها في الأرض. وما دمت تقول إني شرير، لماذا لم تعطني ربًا؟ وهنا أعلن الرب لهذا العبد أنه ليس له عذر لعدم الأمانة ولدفنه الفضة، فالعذر أقبح من الذنب الذي فَعلَه. وهذه هي الإشارة الوحيدة في العهد الجديد عن الربا مع مثل الأمناء (لو١٩: ٢٣) وهي مأخوذة من المعاملات الجارية كوسيلة ربح الكسلان.

«فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات. لأن كل مَن له يعطَى فيزداد ومَن ليس له فالذي عنده يؤخَذ منه». لماذا يؤخَذ الذي عنده؟ لأنه لم يقدِّر عطايا السيد ولم يقدِّر السيد الذي أعطى العطية وهذا أول عقاب له، لكنه ليس الأخير، فسينتظره قصاص، لكن قبل القصاص الأبدي تجريد من العطية التي لم يقدرها وهذا مبدأ كتابي، فغير المؤمن يُعزَل والرب سيتمم الخدمة، مستخدمًا الشخص الذي أظهر أمانة وتقديرًا للسيد، فيزداد لمعانًا وصاحب النفس السخية يسمن.

لكن كيف يقول الرب لهذا العبد: «مَن ليس له»، إنه ليس له وزنة؟ نعم! ولكنها مطمورة في عدم إيمان وعدم أمانة وعدم محبة للسيد ولم تُستَخدم وكأنها ليست له، لكن حين تُعطَى لمَن له العشر وزنات، يَستخدمها ليربح بها أكثر.

وهنا سنرى عقابًا أشر ووصفًا أدق لهذا العبد، بعدما وصفه السيد بالشرير

والكسلان، سيصفه بالبطَّال أي الذي لا نفع منه «والعبد البطّال اطرحوه في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»، فيا له من مصير!!

مَثَل الخراف والجداء

(مت ٢٥:٣١-٤٦)

«[٣١]وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِه وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِه. [٣٢]وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، [٣٣]فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. [٣٤]ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِه: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. [٣٥]لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. [٣٦]عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. [٣٧]فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ [٣٨]وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ [٣٩]وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ [٤٠]فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ. [٤١]«ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِه، [٤٢]لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. [٤٣]كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي. [٤٤]حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضًا قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطْشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ عُرْيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ [٤٥]فَيُجِيبُهُمْ قَائِلاً: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ

تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا.[٤٦] فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (مت٢٥: ٣١- ٤٦).

بدأ هذا المثل بحرف «**و**» لأنه بانتهاء العدد ٣٠ من هذا الأصحاح (مت٢٥) انتهى القسم الثاني من نبوة جبل الزيتون والذي حوَى ثلاثة أمثال، كل مثل ينقسم إلى فريقين: عبد أمين وعبد رديء، عذارى حكيمات وجاهلات، عبد صالح وعبد بطّال. وبانتهاء هذه الأمثال الثلاثة، يبدأ القسم الثالث من نبوة جبل الزيتون. وسنلاحظ أن هذا المثل يبدأ من حيث انتهى القسم الأول، أي بعد الظهور، كما سنرى أنه لا يحوي فريقين، كما في القسم الثاني من النبوة، لكنه سيحوي ثلاث فرق: خراف وجداء وإخوة أصاغر.

وهذا رسم توضيحي للأقسام الثلاثة التي تحويها نبوة جبل الزيتون التي تشمل الأصحاحين ٢٤، ٢٥:

الأقسام الثلاثة التي تحويها نبوة جبل الزيتون

القسم الأول:
مت ٢٤: ٤- ٤٤
يتكلم عن مجيء الرب إلى شعبه الأرضي وتترتب الأحداث فيه ترتيبا زمنيًا، وينقسم إلى ٣ أقسام:

مبتدأ الأوجاع	الضيقة العظيمة	الظهور

القسم الثاني:
مت ٢٤: ٤٥- ٢٥: ٣٠
يتكلم عن المسيحية عندما يأتي المسيح وينقسم إلى ٣ أمثال:

مثل العبد الرديء	مثل العذارى الحكيمات والجاهلات	مثل الوزنات أي العبد الصالح والبطال

القسم الثالث:
مت ٢٥:٣١-٤٦
وهو المثل موضوع تأملنا ويتكلّم عن شعوب العالم، وينقسم إلى ٣ فئات:

خراف	جداء	إخوة أصاغر

«متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه. فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من

بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء».

هذه هي دينونة الأحياء قبل المُلك الألفي، حيث يجتمع أمام الرب – ابن الإنسان في مجده – جميع الشعوب الأحياء على الأرض. فالرب سيفتح المُلك بإدانة الأحياء ويختمه بإدانة الأموات. والرب يسوع هو ديَّان الأحياء على الأرض والأموات عند احتراق السماء والأرض «لأن الآب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن» (يو٥: ٢٢). «أنه لهذا مات المسيح وقام لكي يسود على الأحياء والأموات» (رو١٤: ٩). فالرب يسوع المسيح الآن يسود علينا كمؤمنين ومحبته التي ظهرت على الصليب تحصرنا. فهو مات لأجلنا وقام وعاش وهو حي حتى الآن عن يمين الله لأجلنا. لذا فهو يسود علينا في حياتنا وفي موتنا وليس للموت سيادة علينا. لكن الرب يسوع أيضًا مات لأجل الجميع (٢كو٥: ١٥)، لذا له حق السيادة والدينونة على الجميع (أع١٠: ٤٢؛٢تي٤: ١).

فهنا نجد دينونة الأحياء قائمة بذاتها ومنفصلة عن دينونة الأموات القائمة أيضًا بذاتها. فلا نقرأ هنا عن قيامة الأموات. فليس هناك دينونة عامة، بل دينونتان.

وهذا جدول لهاتين الدينونتين المتميزتين:

دينونة الأحياء	دينونة الأموات
• قبل المُلك الألفي.	• بعد المُلك الألفي وبعد الزمان اليسير الذي يعمل فيه الشيطان.
• سيجلس الرب على عرش مجده في الأرض لإجراء الدينونة	• سيجلس الرب على عرشه العظيم الأبيض بعدما هربت السماء والأرض
• سيكون أمام الرب ثلاث فرق: خراف– جداء– إخوة أصاغر	• لا يوجد بها إلا فريق واحد كلهم أشرار.
• الخراف والإخوة الأصاغر بعد	• الجميع خطاة، لذا بعدما يُدانون،

الدينونة سيدخلون المُلك، أما الجداء سيذهبون للنار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته.	يُطرحون في بحيرة النار.
• دينونة بدون قيامة، فكلهم أحياء	• قيامة ودينونة.
• لا يوجد بها سفر ولا أسفار	• يوجد سفر الحياة وأسفار خاصة بكل واحد من الأموات الأشرار.
• لأنهم أحياء سيقف الجميع بأجسادهم الطبيعية وسيدخل الخراف والإخوة الأصاغر بأجسادهم الطبيعية للمُلك. أما الجداء فسيأخذون أجسادًا غير قابلة للفناء أو الموت.	• باعتبارها قيامة ودينونة، فأجسادهم التي أخذوها غير قابلة للموت والفناء وسيُطرحون بها في بحيرة النار.

والسؤال: مَن هم الخراف؟ ومَن هم الجداء؟

في قوله: «يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء»؟ الخراف هم الأُمم الذين قبلوا بشارة البقيَّة التقيَّة اليهودية الهاربة من الوحش وبفمهم بشارة الملكوت. فقبِلَ الخراف البشارة والمبشِّرين بها وأضافوهم وقدموا لهم العناية اللازمة من أكل وشرب ورعاية. أما الجداء فهم الأُمم الذين رفضوا البشارة ورفضوا البقية الأمينة الهاربة من الوحش وربما ساعدوا في إيذاءهم.

«فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار». والسؤال: **لم يقل: "والجداء عن يساره"** كما قال عن الخراف إنهم عن يمينه؟ لماذا عن اليسار وتكررت في العدد٤١ ثم يقول أيضًا للذين عن اليسار؟ هذا هو الوحي اللفظي، لأن يمينه حلو ويساره حلو وهذا ما فهمته أم ابني زبدي وطلبت أن يجلس واحد عن يمينه والآخر عن يساره (مت٢٠: ٢١). أما اليسار هنا فهو دائرة البعد أي ذهبوا بعيدًا «اذهبوا عني». «ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المُعد لكم منذ تأسيس العالم».

مَن هو الملك؟ إنه الرب يسوع الذي لا يقال عنه قط إنه ملك الكنيسة، مع أنه «ملك الملوك ورب الأرباب»، لكنه في علاقته بالكنيسة هو العريس، كما في مثل العذارى، ورأس الجسد (كو١: ١٨). لكن في هذا التوقيت ستكون البشارة «بشارة الملكوت»، لذا يُذكر عن الرب يسوع هنا صفته كالملك والذي سيخاطب «الذين عن يمينه» وهم الخراف الذين قبلوا بشارة الملكوت وقد اجتازوا الضيقة العظيمة. ولأنهم أحياء يناديهم: «تعالوا» وسوف يدخلون المُلك الألفي ويتمتعون ببركاته بذات أجسادهم الطبيعية. لكن ما أبعد الفرق بين الملكوت المُعد منذ تأسيس العالم وبين ما جاء عنا نحن مؤمني عهد النعمة المختارين قبل تأسيس العالم «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» (أف١: ٤)!

ثم يذكر الرب أمورًا حسنة لهؤلاء المباركين «لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريبًا فآويتموني. عريانًا فكسوتموني. مريضًا فزرتموني. محبوسًا فأتيتم إليَّ». فلقد أظهر أولئك الأتقياء قبولهم لبشارة الملكوت والمبشِّرين بها من اليهود الأتقياء الأذلاء أثناء هروبهم من الوحش والنبي الكذَّاب واضطهاده، أظهروا قبولهم للدعوة بأفعال ذكرها السيد هنا تعبر عن تقديرهم لهؤلاء البسطاء الأمناء الهاربين وقدموا لهم كل عناية ورعاية وإيواء وافتقاد وربما تضميد جراح أو ربما زاروهم في أماكن اختبائهم أو حبسهم ولم ينتظروا أي مجازاة. لذا نراهم هنا يتعجبون، فهم لم يروا الرب، لذا في حيرة «يجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا فأطعمناك أو عطشانًا فسقيناك أو متى رأيناك غريبًا فآويناك أو عريانًا فكسوناك، أو متى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟! فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم». فالذي سيحدد موقف الخراف من الجداء هو معاملتهم للرسل الحاملين لبشارة الملكوت. وهؤلاء الأبرار أظهروا حالة قلوبهم لرسل يسوع المسيح المبشرين بمجيئه وملكه. فهم مباركون وسيدخلون ليرثوا الملكوت المُعد لهم.

«ثم يقول للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدة لإبليس وملائكته لأني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريبًا فلم تأووني وعريانًا فلم تكسوني. مريضًا ومحبوسا فلم تزوروني». لاحظ تكرار القول: «عن اليسار» وليس "يساره"؛ لأنه وكما سلفنا، يساره حلو كيمينه، ودللنا على ذلك من قول أُم ابني زبدي، حينما طلبت منه وهي ساجدة أن يجلس ابناها، الواحد عن يمينه والآخر عن يساره، فليس من المعقول أن تطلب منه خلاص أحدهما وهلاك الآخر، لكنها أدركت أن يمينه ويساره فيهما الحظوة (مت٢٠: ٢١)، وفي نشيد٢: ٦ تتغنى العروس وهي تسند رأسها بين ذراعيه: «شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني».

كما نلاحظ الفرق في القول: للذين عن يمينه «تعالوا يا مباركي أبي»، وهذا للذين عن اليسار: «اذهبوا عني يا ملاعين»، ولم يقل: يا ملاعين أبي. لماذا؟ لأنهم هم الذين أحبوا اللعنة فأتتهم ولم يسروا بالبركة فتباعدت عنهم (مز٧٩: ١٧)، ومَن يحب اللعنة سيسمع الصوت: «ليكن لك كما تريد».

«اذهبوا عني يا ملاعين للنار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» هؤلاء هم الجداء الذين عن اليسار والذين رفضوا البقية الأمينة الهاربة، الآتين لهم بالبشارة. وعليه، فقد وصلتهم البشارة لكنهم رفضوها. ولأنهم أحياء يقول لهم: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية».

وبهذا أعلن الرب أن النار أبدية أُعدت ليس لإنسان، لكن لإبليس وملائكته، لكن مَن يتبع إبليس سيكون مصيره معه وهو الذي اختار.

ثم يسرد لهم حيثيات الحكم، معلناً أن دينونة الأحياء والحكم فيها هو على نوع معاملة «هؤلاء الأصاغر»، الذين رأوهم: جائعين، عطشى، غرباء، عريانين، مرضى ومحبوسين ولم يبالوا بهم بل رفضوهم «جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني. كنت غريبًا فلم تأووني. عريانًا فلم تكسوني مريضًا ومحبوسًا فلم تزوروني»، فيتساءلون هم أيضًا: «يا رب، متى رأيناك ... ولم نخدمك»، فيجيبهم قائلاً: «الحق أقول لكم بما إنكم لم تفعلوا بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى

حياة أبدية».

ففي هذه الأعداد نرى الديّان وساحة الدينونة، ثم الدينونة ذاتها وأخيرًا مصير المحكوم عليهم. كل ذلك بصورة جلية وأكيدة من فم الرب نفسه، تستدعي انتباه كل خاطئ. فما أبشع عبارة: «النار الأبدية»، «والعذاب الأبدي»، لكل من يتمادى في رفضه وعناده. فالدينونة قد تقرَّرت واليوم تعيّن والديّان هو نفسه الذي ينادي الآن: «تعالوا إليّ ...». فيا ليت كل نفس تقرأ ولم تأتِ حتى الآن تسرع قبلما تسمع الصوت: «اذهبوا عني».

مَثَل البذار

(مثل العشب والسنبلة والقمح)

(مر ٤:٢٦-٢٩)

«[٢٦]وَقَالَ: هكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ: كَأَنَّ إِنْسَانًا يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ، [٢٧]وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَارًا، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ، [٢٨]لأَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلاً نَبَاتًا، ثُمَّ سُنْبُلاً، ثُمَّ قَمْحًا مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ. [٢٩]وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ، فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ» (مر٤: ٢٦- ٢٩).

هذا المثل انفرد به مرقس الذي لم يكن رسولاً، بل كان مساعدًا لبولس وبرنابا وكان خادمًا لحاجاتهما (أع١٣: ٥). والأكثر من كل هذا، إن إنجيل مرقس يقدم لنا الرب يسوع كالنبي والخادم. ومفتاح إنجيل مرقس نجده في مرقس١٠: ٤٥ «لأن ابن الإنسان أيضًا لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين». فما أروع أن يقدم لنا مرقس هذا المثل وهو مثل مشجع للخدمة، يرينا كيف يتعامل روح الله مع النفس التي سمعت الكلمة. فالرب سردَ لنا هذا المثل الذي يصف لنا كيف تنمو البذار وما هي المراحل التي تمر بها البذار بعيدًا عن الأعين، والصعوبات التي تواجهها البذار إلى أن تُشق الأرض وتأتي بالثمر.

هذا المثل في مقابلة مع مثل الزوان (مت١٣: ٢٤- ٣٠)، فكلاهما يعطينا

فكرة عامة عن تأثير الزرع عمومًا في الملكوت. لكن في مثل الزوان تظهر النتيجة المبشرة لتسليم الملكوت هنا على الأرض ليد البشر وكيف أن إهمال الناس «فيما الناس نيام جاء عدوه – عدو الإنسان الذي زرع زرعًا جيدًا في حقله – وزرع زوانًا في وسط الحنطة ومضى». أما هنا فلا يشير إلى الجانب السلبي، بل يشير إلى ما عمله الله، الزارع العظيم الذي خرج ليزرع وكيف أنه كان هو حبة الحنطة التي دُفنت في الأرض وماتت، وهو المرموز إليه بالقول: «وينام» أي مات الزارع، لكنه «يقوم» رمز لقيامة الرب يسوع من الأموات وجلوسه في يمين العظمة بعدما أكمل العمل، والآن هو ساهر على بذاره ويحيطها بعنايته ورعايته ويمطر عليها إلى أن تفرخ البذرة وتنمو وتنبت.

هذا من جهة، لكن هناك جهة أخرى نريد أن نتأمل بها وهي إذا رجعنا إلى قول الرب السابق لهذا المثل وسؤاله: «هل يؤتَى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير؟ أ ليس ليوضع على المنارة؟» (مر٤: ٢١). فهنا يتكلم عن دور الخدام، فالسراج هو كلمة الله «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز١١٩: ١٠٥). فهذا دور الكلمة وطبيعتها «فالوصية مصباح والشريعة نور» (أم٦: ٢٣).

فكلمة الله سراج في ليل غربتنا ونور نسترشد به في الطريق. لكن ماذا بعد أن ينير الرب عيوننا بفضل معرفته، هل نحتفظ بهذا النور لأنفسنا أم نشارك الآخرين بالحق؟ فالله يريد أن يرى الآخرون ويعرفون الحق، لذا يجب على كل مؤمن أن يخرج السراج من تحت المكيال، المشغولية بالتجارة والسعي للربح، أو في روح الكسل والتراخي يضعه تحت السرير دون مبالاة بمن حولنا ولا يعرفون شمالهم من يمينهم.

إذًا أشار الرب قبل المثل إلى مسؤولية الخدام وإرساليتهم ليحذرنا من الانشغال ومن الكسل وليشجعنا على الخدمة، لكي نقدم الشهادة للآخرين وأعلن لنا أن الثمر آتٍ، فما علينا إلا أن نلقي البذار والله هو الذي ينميها «فليس الغارس شيئًا ولا الساقي بل الله الذي ينمي. والغارس والساقي واحد

ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه» (١كو٣: ٧).

«وقال هكذا ملكوت الله كأن إنساناً يلقي البذار على الأرض»، ونحن نعلم أن الحقل لا بد أن يُحرَث قبل أن نلقي فيه البذار، وهذا ما قام به ربنا المعبود حين خرج ليزرع (مت٤: ٤).

ويُلاحظ أن كلمة «خروجه» هي نفس الكلمة التي جاءت في لوقا ٩: ٣١ في حادث التجلِّي مع موسى وإيليا «**خروجه** الذي كان عتيدًا أن يكمله في أورشليم». فقد قام الرب يسوع بنفسه بحرث الأرض ووضع البذار وفي (إش٢٨: ٢٤) يأتي سؤال: **هل يحرث الحارث كل يوم ويشق أرضه ويمهدها؟**، كلا! فبعد حرث الأرض يبدأ العمل ووضع البذار، وهذا ما فعله الرب يسوع، ثم يأتي دور الخدام وتقليب الأرض فوق البذار، فيبدو وحسب الظاهر أن البذرة الحية أودعت في الأرض الميتة وكل شيء ضاع، لكن الواقع إن الفلاح يزرع بالإيمان، منتظرًا أن يجد الثمر «وينام ويقوم ليلاً ونهارًا والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم»، فهو في الصباح يزرع زرعه وفي المساء لا يرخي يده لأنه لا يعلم أيهما ينمو هذا أو ذاك أو أن يكون كلاهما جيدين سواء (جا١١: ٦).

فعمل الرب يحتاج أولاً الإيمان والثقة الثابتة في الله رب الكلمة حين تُلقى البذار.

فتجارتنا جيدة والبذار التي نزرعها هي الكلمة وهي حية وفعّالة ولا ترجع فارغة «لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعًا للزارع وخبزًا للآكل هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له» (إش٥٥: ١٠، ١١). فالكلمة كلمته والنفوس تهمه وعلينا أن نلقي البذار بالإيمان، لكن أيضًا باجتهاد.

والزارع هنا ينام ليس معناه الكسل، بل يستريح لأن البذار جيدة «ثم يقوم ليلاً ونهارًا»، وهذه هي اليقظة الروحية لحفظ البذار من أن تخطفها طيور السماء، أو يتسلل عدو ليزرع زوانًا وهذه هي متابعة الخدمة ووضع النفوس

أمام عرش النعمة بعد إلقاء البذار وريها بالدموع أمام الرب.

لكن على الخادم ألا ينظر بعين الترقب والملاحظة إلى النفوس التي قبلت الكلمة «مَن يرصد الريح لا يزرع ومَن يراقب السحب لا يحصد. كما أنك لست تعلم ما هي طريق الريح ولا كيف العظام في بطن الحبلى كذلك لا تعلم أعمال الله الذي يصنع الجميع. في الصباح ازرع زرعك وفي المساء لا ترخ يدك لأنك لا تعلم أيهما ينمو: هذا أو ذاك أو أن يكون كلاهما جيدين سواء» (جا١١: ٤- ٦). صحيح علينا مسؤولية بعد إلقاء البذار، لكن نحن لا نجهل أن العدو يحارب النفس عندما تسمع الكلمة ولذا قد نرى أحدهم بعدما تعهّد أمام الرب وأعلن توبته، نراه يتعثر، فإن كنا وراءه وبروح الترقب سنعثر وربما نظن أنه كان تأثيرًا وقتيًا. والحقيقة إننا لا نعرف معاملات الرب مع النفس وكيف تكون العظام التي هي أعمدة الطفل التي سيُبنَى عليها جسمه. فقط علينا أن نصلي للرب القادر أن يثبت وسيثبت، فالدعوة قدامه.

فالذي ينام، ينام نوم الثقة فيمن لا يغفل ولا ينام، بل سهران على كلمته ليجريها. وكونه «يقوم» فهي اليقظة الروحية وحياة الصلاة ودراسة الكلمة، لذا نراه يقوم ليلا ونهارًا، أي يقوم ليلاً للصلاة ودراسة الكلمة وفي النهار ليبشر بالكلمة. ونتيجة لقيامه ليلاً بالصلاة والدراسة «البذار يطلع وينمو وهو لا يعرف». لقد نمت الحبوب فوق الأرض بعدما عمل الرب في القلب سرًا، بل وبعد معاملات الرب السرية مع النفس. فهذه هي طريق الرب وأفكاره، تارة يرسل المطر من عنده على الأرض اليابسة الناشفة الميتة، فيجعلها تلد، وتارة يرسل الشمس لتنشفها.

فالخدام بعضهم غَرسَ والآخر سَقَى، لكنهم لا يقدون أن ينموا. والغارس والساقي مثل بعضهما آلتان استخدمهما الرب. والكل يعمل بلا تنافر ولا تنافس، بل بتضافر وتعاون. وفي ١كورنثوس٣: ٦ يقول بولس: «أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمي»، لأنه إن غرس أحد وسقى الآخر، لكن الرب أرسل صقيعًا أو جفافًا أو سيلاً أو مطرًا، فهل ستطلع النبتة؟ كلا! لذا أكمل وقال «إذًا ليس الغارس شيئًا ولا الساقي بل الله الذي ينمي»

(١كو٣: ٧). فالخدام هم عُمَّال في فلاحة الله، بل وحتى الأرض الناشفة اليابسة، الله قادر بكلمته أن يحييها والنفس التي ربما نفقد الأمل فيها، كلمة الله قادرة أن تحييها. والله «الذي يقدم بذارًا للزارع وخبزًا للآكل سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلات بركم» (٢كو٩: ١٠).

وبولس الذي كان مجدِّفًا ومضطهدًا ومفتريًا هو نفسه الذي يتكلم عن حزنه وكآبته ودموعه الكثيرة والمحبة التي عنده للمؤمنين (٢كو٢: ٤)، فكيف صار شاول الذي كان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن (أع٨: ٥)، كيف أصبح بولس؟! إنها معاملات الرب السرية الداخلية في النفوس، ربما كونه كان شاهدًا وراضيًا بقتل استفانوس وربما سمعه حين «جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: يا رب لا تُقم لهم هذه الخطية» (أع ٧: ٦٠)، معلنًا عن محبته لأعدائه ومتشبهًا بسيده، ربما كل هذا كان يريد الفخاري أن يشكل به شاول.

والبذار كانت «تطلع وتنمو وهو لا يعلم كيف لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر». فالنمو أكيد ومستمر، لكنه تدريجي «أولاً نباتًا ثم سنبلاً ثم قمحًا في السنبل»، وهذا يراه الجميع وقد اكتمل في نموه وصار مشبعًا للآخرين، أيضًا محملاً بالحنطة وعندئذ «يفرح ويُرسل المنجل لأن الحصاد قد حضر»، «ويفرح الزارع والحاصد معًا» (يو٤: ١٦) وعندما يأتي وقت الحصاد، فإن الزارع العظيم الذي بذرَ البذار سيعود لأجل الحصاد.

مَثَل المديونان

(لو ٧:٣٦-٥٠)

«[٣٦]وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ. [٣٧]وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ [٣٨]وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ. [٣٩]فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً: «لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هِذِهِ الامَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ». [٤٠]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سِمْعَانُ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ». فَقَالَ: «قُلْ، يَا مُعَلِّمُ». [٤١]«كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. [٤٢]وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعًا. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟» [٤٣]فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ». [٤٤]ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ: «أَتَنْظُرُ هذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. [٤٥]قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. [٤٦]بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ. [٤٧]مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً». [٤٨]ثُمَّ قَالَ لَهَا: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ». [٤٩]فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ

مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: «مَنْ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟». ٥٠فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اذْهَبِي بِسَلاَمٍ» (لو٧: ٣٦- ٥٠).

لقد دخل الرب يسوع بيت سمعان الفريسي عندما دعاه «سأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ»، ولم يستقبله هذا الفريسي الاستقبال الشائع في ذلك الزمان، بل كان استقباله له يفتقر إلى اللياقة، فقد دعاه لغرض في نفسه لا نعرفه، لكن ربما هو وأصدقاؤه أرادوا أن يصطادوه بكلمة أو ربما أرادوا التحدث معه في البيت خلوًا من جمع ليتطرقوا إلى أمور دينية عقائدية معيَّنة، لكن حقيقة الأمر إن سمعان لم يكن هدفه دعوة السيد لإكرامه، فهو – وكما سنرى – لم يرَ في الرب يسوع ولا مجرد نبي، لكن ربما لشهرة الرب يسوع كمعلِّم دعاه سمعان. والرب كعادته قبل الدعوة، كما قبِلَ قبلاً ضيافة العشَّار الذي صنع له ضيافة كبيرة في بيته والذين كانوا متكئين معهم كانوا جمعًا كثيرًا من عشَّارين وآخرين (لو٥: ٢٩). فالرب يلبي الدعوة لكل من يدعوه «فدخل بيت الفريسي واتكأ».

والرب حين كان يدخل بيتًا ويسمع أنه في بيت يجتمع إلى البيت جمع كثير. فمثلاً في مرقس٢: ١، ٢ «ثم دخل كفر ناحوم أيضًا بعد أيام. فسُمع أنه في بيت وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب. فكان يخاطبهم بالكلمة». ويقينًا كثيرون كانوا يسمعون، فقد قيل: «وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه» (لو١٥: ١).

وربما كان من ضمن هؤلاء هذه المرأة، سمعت ونُخست في قلبها وربما كانت ترقب السيد وتبحث عن فرصة للاقتراب منه، فلم تجد. وربما سمعت دعوته: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت١١: ٢٨)، وهي حملها ثقيل للغاية ومغلوبة ومعروفة في المدينة بشرها الذي جعلها منبوذة لا سيما من طبقة الكهنة والفريسيين. لكنها ما إن سمعت بوجوده في بيت الفريسي، إلا وأرادت أن تصل إليه وتغتنم الفرصة وتعلن توبتها واحتياجها للمخلص والخلاص، فهي تعرف مَن هو. ودون أن تستأذن أحدًا، ودون تأجيل لفرصة أنسب، فوجئ الداعي بدخولها «وإذا امرأة في

المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب».

لاحظ القول: «كانت خاطئة»، أما الآن فهي متعبدة، نادمة، ساجدة، تريد تقديم سجود شكر لمَن غيَّر حياتها ولو أنها تعلم أنها قد تواجه نظرات احتقار من الفريسي صاحب البيت. وربما يتطاول عليها ويطردها. لكنها حَسبت حساب الكُلفة، فلو طردها صاحب البيت، سيقبلها الرب يسوع وسيخرج للقائها، كما التقى مع المولود أعمى الذي جردوه من امتيازاته وفي تعصب أعمى «أخرجوه خارجًا. فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجًا، فوجده» (يو٩: ٣٤، ٣٥).

فأتت هذه المرأة بقلب منسحق منكسر، غير مبالية بنظرات مَن حولها أو أقوالهم أو ازدرائهم لها. ودون أن تتكلَّم كلمة واحدة «جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من وراءه باكية». وغسلت قدميه بدموع التوبة والندم «وابتدأت تبل قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب». لقد فاض الدمع من عينيها وبلَّل قدمي السيد، فحلَّت شعرها وكشفته واستخدمته كمنشفة ومسحت قدمي السيد بشعر رأسها، وشعرها مجدها وزهوها، ولم تبالِ بأي انتقادات. وبدأت «تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب»، فأنعشت قلب السيد.

لكن تصرفها هذا وخدمتها وتكريسها لم يجد قبولاً من الفريسي المضيف، بل فضح قلبه وأظهر مدى تقديره للرب يسوع في نظره. وكيف أنه لا يعرف شيئًا عنه، بل وكشف كم الرياء والبر الذاتي الذي لهذا الفريسي «فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك، تكلَّم في نفسه قائلاً: لو كان هذا نبيًا لعلم مَن هذه المرأة التي تلمسه وما هي. إنها خاطئة».

لقد رأى بعينيه، لكنه لم يتكلَّم علانية، بل «تكلَّم في نفسه»، وهذا هو البر الذاتي وإخفاء ما في القلب بابتسامة أو تصرف، حتى لا يربك الجو من حوله، وقد يتصرف بكياسة وكأنه لا يقول شيئًا عن المسيح أو عن هذه

المرأة، لكن الروح القدس كشف لنا ما قاله في قلبه، كما إن الرب يسوع أعلن لنا أنه يعرف هذه المرأة. لكن لاحظ ماذا يقول هذا الرجل المملوء ببره الذاتي وما هو تقديره للرب يسوع «لو كان هذا نبيًا لعلم من هذه المرأة التي تلمسه». ماذا؟ هل هو في نظرك لم يرتقِ لمرتبة نبي؟ لماذا دعوته وأنت لا تعرف مَن هو؟ وهل كنت تتوقع من الرب يسوع أن يزجرها بعيدًا ولا يجعلها تلمسه؟!! أ لم تقولوا عنه كلكم إنه «مُحب للعشارين والخطاة»؟!

إن الفريسيين أساسًا لا يقدِّرون المرأة، وهذه المرأة ليست كأيَّة امرأة «إنها خاطئة»، فلا أحدًا يلامسها أو يتعامل معها ويعتبرون «مَن يمسها لا يكون بريئًا» (أم٦: ٢٩).

«إنها خاطئة» وماذا عنك يا سمعان؟ هل أنت بلا خطية؟ هل أنت بار؟ هذا هو البر الذاتي وإدانة الآخرين. أ تظن نفسك أفضل منها لارتدائك عباءة الدين؟ أم تظن أنك تبرئ نفسك عندما تدينها؟ هل تظن أنك تنجو من دينونة الله؟ إنك تحكم على غيرك ولا ترى شيئًا رديًا في نفسك. إنك تخدع نفسك بقشرة الأدب الخارجية أو أوراق التين أنك لست خاطئًا. أما هذه المرأة التي تقول عنها «إنها خاطئة»، فتقرير الروح القدس عنها: «كانت خاطئة»، أما الآن فهي "تائبة".

والرب عرف أفكار قلبه ودواخله وحُكمه على المرأة. وقبْل أن يوجّه الرب كلمات النعمة إليها وجّه كلام اللوم إلى سمعان: «فأجاب يسوع وقال». لاحظ أن الوحي اللفظي يقول: «أجاب يسوع» أي أجاب على سؤال سمعان نفسه «لو كان هذا نبيًا لعلم»، ليعلن له أنه العليم بكل شيء وبلغة خطابة رقيقة ليشد انتباه الفريسي وأمثاله من الحاضرين ليصغوا إليه: «قال له: يا سمعان، عندي شيء أقوله لك»، فانتبه الفريسي وقال: «قلْ، يا معلِّم»، هذا فقط ما تعرفه عن الرب يسوع «معلم»!

لكن سيكشف له الرب أنه العليم بكل شيء وقد عرف وفهم فكره وسيفصح له عنه في صورة مثل المديونين. لكن في قول الرب لسمعان: «عندي شيء أقول لك»، بعدما نداه باسمه، لغة لنا، فكم من المرات نتصرف تصرفًا أو

نفكر فكرًا أو نقول قولاً لا يليق بنا كمؤمنين، وإذ بنا نسمع صوت الرب يناديا: "يا فلان عندي شيء أقوله لك"، ليعلن عدم مصادقته على ما صدر منا!! فهل نعطي انتباهًا؟ هل نراجع أنفسنا؟ ليتنا نفعل.

ثم يبدأ الرب في سرد المثل لسمعان: «كان لمداين مديونان. على الواحد خمسمئة دينار وعلى الآخر خمسون وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعًا. فقل: أيهما يكون أكثر حبًا له». كلاهما مديون، وإن كان أحدهما بدين كبير والآخر بدين صغير. لكن كلاهما مديون وكلاهما مفلس وصاحب الدين يعرف أنه «لم يكن لهما ما يوفيان». ولعجزهما وإفلاسهما «سامحهما جميعًا». لقد سُومحا على مبدأ الرحمة. وهنا سأل الرب الفريسي: «فقل: أيهما يكون أكثر حبًا له؟»، مَن سيشعر بالعتق والفكاك أكثر؟ «فأجاب سمعان وقال: أظن الذي سامحه بالأكثر . فقال له: بالصواب حكمت». هو لا يظن، هو متأكد، لكنه يريد أن يفهم مغزى هذا السؤال، فقال: «أظن». والرب قال له: «بالصواب أجبت»، لأن الذي سُومح بالأكثر يشعر بمديونية أعظم وعليه أن يقدم ثناء أوفر لمَن عَفَى عنه.

«ثم التفت إلى المرأة» ولم يتكلَّم حتى الآن إليها، بل «قال لسمعان: أ تنظر هذه المرأة؟ إني دخلت بيتك، وماء لأجل رجليَّ لم تعطِ. أما هي فقد غسلت رجليّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها. قُبلة لم تقبلني، وأما هي فمنذ دخلتْ لم تكفَّ عن تقبيل رجليَّ. بزيت لم تدهن رأسي، وأما هي فقد دهنت بالطيب رجليَّ».

كان في هذا الوقت يظهر المُضيف ترحابه واحترامه لضيفه بثلاث خطوات. أولاً: يقبِّله على جبهته بمجرد دخوله البيت، ليعلن لكل مَن في البيت تقديره لهذا الضَيف. ثانيًا: يحضر بنفسه ماء في مغسل ليغسل رجلي الضيف، أو على أقل تقدير يحضر الماء ومنشفة ليغسل الضيف رجليه وينشفهما لينفض عن نفسه غبار الطريق. ثالثًا: يحضر زيتًا به رائحة طيب عطري ويدهن رأس الضيف كنوع من الترحاب المكلف وكذا لإنعاشه. أما هذا الفريسي فلم يقدم أي ترحاب بالسيد. وتكررت «**لم**» ثلاث مرات في

واحدة من تلك الخطوات المعهودة. وأما هي فقد قامت بكل ما لم يقم به هذا الفريسي. وفي كل خطوة من هذه الخطوات نجد ذكرًا لقدمي السيد: فغسلت **قدميه** بالدموع، ولم تكف عن تقبيل **قدميه**، ودهنت بالطيب **قدميه**، وكأنها أدركت مَن هو هذا الضيف الجليل الذي أتى إلى أرضنا. مَن هو الذي اتضع ووطأت قدماه أرضنا والذي لولا مجيئه لما تمت المصالحة ولما وُفِّي الدين «من أجل ذلك»، هل من أجل الطيب أم الدموع أم تقبيل القدمين؟ كلا! «من أجل أنها أحبت كثيرًا»، «من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرًا والذي يغفر له قليل يحب قليلاً».

هذا المثل يصور لنا بكل وضوح نعمة الله الغافرة المجانية لكل الخطاة، دون النظر إلى مدى تورطهم لأنه «لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو٣: ٢٣). صحيح إن هناك فرْقًا بين الناس من جهة آدابهم وسلوكهم وسلوكياتهم، لكن عند الله «لا فرق»، فالجميع خطاة وأجرة الخطية هي موت (رو٦: ٢٣)، فحتى وإن كان على الواحد خمسمائة دينار أو فقط خمسون، فكلاهما مديون وكلاهما مفلس، والمدين بالأقل ليس له ما يوفي مثل المديون بالأكثر الذي أيضًا ليس له ما يوفي.

لكن ما أروع العبارة التي قالها الرب عن هذه المرأة: «لأنها أحبت كثيرًا». شعرت بحالها واحتياجها، بعدما شعرت بثقل دينها وأتت لمواجهة دائنها والذي له الحق وحده أن يحلها ويحررها. فدفعتها محبتها ومعرفتها لشخصه المُحب للخطاة والذي أتى ليبرر الفاجر. دفعتها كل هذه المعرفة عنه إلى المجيء إليه واعترفت بدموعها، دون أن تتكلَّم كلمة واحدة وأقرت ببكائها وندمها أن دينها كبير، فهي معروفة في المدينة بشرها، لكنها الآن أتت تائبة وواثقة في قدرة الرب ورغبته في الغفران والمسامحة.

«ثم قال لها: مغفورة لك خطاياك»، بكاملها؟! بآثام السنين وشر السلوك! عجبًا إنه لم يوبخها مطلقًا ولم يذكر شيئًا عن خطاياها! لقد رأى دموعها وتوبتها العميقة وسكبها قلبها أمامه، وإن كانت أجرة الخطية هي موت، فالغفران رفع عنها العقوبة وأصبح لا شيء من المديونية عليها.

«مغفورة لك خطاياك»، لقد قدم لها أثمن عطية. ونحن نعلم أن هذه المرأة واحدة من اثنين فقط ذُكرا لنا في الكتاب أنهما سمعا هذه العبارة: «مغفورة (لكَ) لكِ خطاياك». هذه المرأة والآخر هو المفلوج (لو٥: ٢٠). وفي المرتين كان هناك اعتراض وتذمر من الحاضرين، سواء من الفريسيين أو الكهنة والكتبة المتذمرين. وإن كان في قصة المفلوج اتهموه بالتجديف، أما هنا «فابتدأ المتكئون يقولون في أنفسهم من هو هذا الذي يغفر خطايا أيضًا؟!». لكن الرب لم يلتفت إلى أقوالهم، بل التفت للمرأة وأعطاها مكرمة أخرى: «فقال للمرأة: إيمانك قد خلصك اذهبي بسلام».

والذي خلَّص هذه المرأة، برغم كل ماضيها، قادر أن يخلِّص كل نفس حتى الآن في يأس، مغلوبة من طبيعتها الفاسدة، إذا أتت إليه بالإيمان. فالذي خلص هذه المرأة ليس طيبها ولا دموعها ولا تقديرها للرب وتقبيلها لقدميه، لكن إيمانها.

لقد أتت باكية نادمة وذهبت مخلصة مبتهجة تتمتع بالسلام. فالتوبة والإيمان جعلا هذه المرأة نالت الخلاص والسلام.

احذر أن تكون كسمعان! تقيس نفسك على الآخرين، فترى نفسك أفضل، بل وبارًا في عيني نفسك. احذر من أن تكون لك علاقة جافة مع الرب، فلا تشعر بخطيتك ولا بحاجتك للغفران.

بقي أن نقول: إن كثيرًا ما يخلط الناس بين امرأة (لو٧) وبين مريم أخت لعازر (يو١٢). فهنا امرأة معروفة في المدينة بشرها، امرأة خاطئة وأتت في أول خدمة الرب الجهارية. أما مريم فهي ساجدة، معترفة بجميله ومحبته، لاسيما بعدما أقام أخاها الذي مات وأنتن وكانت في نهاية خدمته قبل أحداث الصلب بأيام قليلة.

مَثَل السامري

(لو ١٠:٢٥-٣٧)

«[٢٥]وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» [٢٦]فَقَالَ لَهُ: «مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟» [٢٧]فَأَجَابَ وَقَالَ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». [٢٨]فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. افْعَلْ هذَا فَتَحْيَا». [٢٩]وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: «وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟» [٣٠]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. [٣١]فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. [٣٢]وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضًا، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. [٣٣]وَلكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، [٣٤]فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. [٣٥]وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. [٣٦]فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟» [٣٧]فَقَالَ: «الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا» (لو ١٠: ٢٥- ٣٧).

لقد أتى هذا الناموسي الذي يريد أن يجرِّب الرب، فسأله سؤالاً يعبِّر عن قمة الجهل قائلاً: «يا معلِّم، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟». والحقيقة إن العمل له أجر، أما الميراث فليس نتيجة عمل، لكن الكتاب أفصح عن دوافع السائل وأنه «قام ليجربه». وفي ملاخي٣: ١٥ يعلن أن فاعلي الشر يجرِّبون الله. إذًا هو لم يكن مخلِصًا في سؤاله، بل كان يريد أن يصطاد الرب بكلمة!، ربما لظنه أن الرب سيرفض الناموس أو يقول أقوالاً تناقضه. فالرب في نظره معلِّم ليس إلا، فهل سيقوم بتعليم يختلف عن الناموس، فيصطاده بكلمة؟ فهذا الناموسي المتديِّن مثل كل الفريسيين حفظ الناموس كطريق للوصول لعلاقة أقوى مع الرب، لذا قال له الرب: "إجابتك على السؤال أتت في المكتوب الذي بين يديك". وكعادة الرب يجاوب بسؤال، فقال: «كيف تقرأ؟»، فقال الناموسي موجز الناموس هو المحبة «تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك». وأيد الرب أقواله بالقول: «افعل هذا، فتحيا».

لكن هذا الناموسي حفظ الناموس، لكن لا يقدر أن يفعله، لذا «أراد أن يبرّر نفسه»، مع أن الرب لم يدنه أو يذنبه، لكنه هو أحس بالذنب «فقال ليسوع: ومَن هو قريبي؟». وفي هذا كل العجب! لماذا لم تتكلَّم عن محبة الرب وسألت عن مَن هو القريب؟! هل أنت فعلاً أحببت الرب «من كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل قلبك، ومن كل فكرك»؟ إنك لو في قلبك محبة الرب من كل القلب والقدرة والفكر، لكنت أحببت قريبك. ومن هنا قدّم الرب هذا المثل.

يبدأ الرب المثل «بإنسان» صورة للإنسان أي إنسان حاله «نازلاً من أورشليم إلى أريحا»، أي ترك مكان الشركة «أورشليم» واجتذبته رائحة العالم الواقع تحت اللعنة «أريحا»، وفي طريق انحداره «وقع بين لصوص»، ودائمًا طريق الانحدار وعدم الطاعة به «خدور الأسود وجبال النمور» (نش٤: ٨؛ ١مل١٣: ٢٠)، أو كما نرى هنا «اللصوص» إشارة للشيطان وجنوده، «فعرَّوه وجرَّحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت»، أي بين الحياة

والموت.

«فعَرَض أن كاهنًا نزل في تلك الطريق»، والكاهن تدبيريًا يمثل الناموس. فماذا يفعل الكاهن؟

أثبت عجزه عن أن يمد يد العون للإنسان. صحيح إنه «رآه»، لكنه «جاز مقابله». «وإذا لاوي أيضًا إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاء مقابله»، ولم يقدم له يد العون، برغم أنه عرفيًا ودينيًا الأقرب له. وبقي هذا الإنسان مطروحًا!

لكن هناك خطة لذلك الإنسان «فإذا سامريًا مسافرًا جاء إليه»، وهنا نرى صورة لتدبير النعمة. وكَوْن السامري «مسافرًا» فهذا يعني أنه تحرك من مكان إلى مكان آخر لإتمام مهمة معينة، لذا لم يقل الوحي اللفظي: "عرض أن سامريًا"، كما جاءت عن الكاهن واللاوي، بل دقة اللفظ «جاء إليه»، لذا لم يعلن عجزه وينظر إليه ويجوز مقابله. لقد جاء خصيصًا إليه، لذا «تحنَّن» واقترب منه «وضَمَد جراحاته وصب عليها زيتًا وخمرًا»، إشارة للروح القدس والأفراح السماوية ولم يتركه في مكانه، بل «أركبه على دابته»، بل وأيضًا «أتى به إلى فندق واعتنى به»، أي إنه مكث معه بعض الوقت في الفندق وبنفسه كان يعتني به ويقينًا لم يعوزه شيء حين كان السامري معه. لذا «في الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق، وقال له: اعتنِ به»، أي إن صاحب الفندق يقوم بنفس ما كان يقوم السامري، بل وقال له: «ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أُوفيك». وهذا ما قاله الرب لتلاميذه: «لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم» (يو١٦: ٧). وهذا هو صاحب الفندق الموكَّل إليه الاعتناء بهذا الرجل مدة اغترابه.

وبحسب ١بطرس ٢: ١١ نحن نُزلاء فندق «أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونُزلاء». ونحن نعلم أن مؤمني العهد القديم الذين كانت لهم المواعيد الأرضية، أقروا كلهم بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض، لأنهم كانوا يبتغون وطنًا أفضل أي سماويًا (عب١١: ١٣). فمن باب أولى نحن مؤمني

عهد النعمة، غُرباء ونُزلاء، وكلما عشنا حياة الاغتراب، كلما توطدت علاقتنا مع القديسين وأهل بيت الله (أف٢: ١٩) وأدركنا أننا ماضون من هنا. لا سيما إن السامري أخرج دينارين ووعد بالرجوع «عند رجوعي»، فهو آتٍ سريعًا.

لكن ماذا سيفعل صاحب الفندق خلال اليومين؟ ماذا سيقول ليهوِّن الغربة وليشجع هذا الشخص لحين رجوع السامري الذي وعد بالرجوع ليأخذه بعد اليومين؟ هذا ما نراه في تكوين ٢٤ في رفقة حين رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل، ثم كيف أخذت البرقع وتغطت (تك٢٤: ٦٣-٦٥)، كل هذا كان لأن عبد إبراهيم كان له دور رائع معها وكيف وصف غِنى الأب ومحبته لابنه وكيف أعطاه كل ما له وإن كل ما أخذته هو عربون، إن كل ما له سيكون لرفقة عند ارتباطها بإسحاق. كل هذا جعل رحلة رفقة تهون برفقة هذا الرفيق وتتحمل آلام البرية، لذا لم تلتفت رفقة إلى الوراء وكأنها قالت: «أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض» (في٣: ١٣).

فعبد إبراهيم كصاحب الفندق رمز للروح القدس الذي لذته وسروره أن يخبرنا عن أمجاد الابن «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٥)، فتتولد الأشواق.

لكن لماذا «دينارين»؟ من متى٢٠: ٢١ نعرف أن الدينار أجر العامل في اليوم الواحد. «دينارًا في اليوم»، وهنا ديناران يمثلان يومين. وفي هوشع٦: ١، ٢، نرى نداء للرجوع ثم نبوة رائعة «هلُمَّ نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا. يُحيينا بعد يومين». وفي ٢بطرس ٣: ٨ يقول الوحي: «لكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: إن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة»، إذًا فاليومان هما ألفا عام وسيأتي الحبيب ويأخذ إليه.

وربما يقول قائل: لقد تخطينا الألفي عام من مجيء الرب بالجسد إلى أرضنا. والإجابة: مَن قال إن تاريخ الكنيسة يبدأ بميلاد الرب يسوع؟ كلا!

ولا بموته، بل من إرسال الروح القدس بعدما صعد. إذًا فوعده الصادق الذي من السماء جدده: «ها آتي سريعًا»، أصبح قاب قوسين أو أدنى وعلينا أن نتجاوب معه قائلين: «آمين. تعال أيها الرب يسوع».

لكن في العدد ٢٦ سأل الرب الرجل الناموسي: «فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبًا للذي وقع بين اللصوص؟». ومن المتوقع أن تكون الإجابة: «السامري» الذي أظهر الرحمة. لكن إجابة هذا الناموسي أظهرت أنه لم يستفد بالمرة من كل ما قاله الرب، وأنه لا يمكن له وهو الناموسي أن ينطق اسم السامري بفمه «لأن اليهود لا يعاملون السامريين».

آه! ما أشبه هذا الرجل في أقواله وكراهيته بالابن الأكبر في لوقا ١٥، الذي لما قرب من البيت وسمع صوت آلات الطرب والرقص وعرف أن أخاه رجع سالمًا وأن أباه ذبح العجل المسمن، غضب ولم يرد أن يدخل وتطاول على أبيه قائلاً: «لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمَّن» (لو١٥: ٣٠).

إنه لم يقل: "أخي"، بل «ابنك هذا»، وكان رد الأب أنه ابني، لكنه أيضًا أخوك، و«كان ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد».

وانتهى مثلنا هنا بقول الرب يسوع للناموسي: «اذهب أنت واصنع هكذا»، أي اذهب واصنع رحمة نحو الآخرين.

ويلاحظ أن السامري حين رأى الرجل الواقع بين الحياة والموت، لم يسأله: هل أنت سامري مثلي؟ ربما رأى ملابسه تعلن أنه لم يكن سامريًا، لكن المحبة التي تملأ قلب السامري جعلته قريبًا من كل إنسان محتاج إليه وإن كانت هذه المحبة مكلفة، فقد دفع كلفة المحبة كاملة. فالكاهن واللاوي صورة لعجز الناموس «فكل منهما رآه، جاز مقابله»، وهنا شعر المسكين أنه لا أمل فيه وهذا هو دور الناموس أن يكشف لنا عجزنا. إنه مثل طبيب الأشعة الذي يكشف بأجهزته حالنا وما أصابنا ويضع التقرير أمامنا، فنعرف كل ضعف فينا، لكنه لا يقدر أن يقدم علاجًا لنا، فيحولنا إلى الصليب المعالج

الذي هو الرب يسوع المسيح «إذًا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان» (غل٣: ٢٤).

لقد جاء إلينا الرب يسوع المسيح ونزل حيثما أوصلتنا خطايانا ورأى بؤسنا وفقرنا وعجزنا، لكنه أظهر نعمته ومحبته وسدّد الدين بالكامل عنا وترك لنا مثالاً لكي نتبع خطواته «فإن المسيح أيضًا تألم لأجلنا تاركًا لنا مثالاً لكي نتبع خطواته» (١بط٢: ٢١). وهذا ما قاله الرب يسوع لهذا السائل: «اذهب أنت أيضًا واصنع هكذا».

فيا ليتنا بالفعل نتبع خطوات السيِّد وكما سار هو في هذا العالم، وكما صنع، نسير نحن وتفيح منا رائحة المسيح الزكية، إلى أن يأتي ويأخذنا إليه.

مَثَل الأصدقاء الثلاثة

(صديق نصف الليل)

(لو ١١:٥-١٣)

«٥ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُولُ لَهُ يَا صَدِيقُ، أَقْرِضْنِي ثَلاَثَةَ أَرْغِفَةٍ، ٦لأَنَّ صَدِيقًا لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ. ٧فَيُجِيبَ ذلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ: لاَ تُزْعِجْنِي! اَلْبَابُ مُغْلَقٌ الآنَ، وَأَوْلاَدِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ. ٨أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ. ٩وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. ١٠لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ. ١١فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزًا، أَ فَيُعْطِيهِ حَجَرًا؟ أَوْ سَمَكَةً، أَ فَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ ١٢أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً، أَ فَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ ١٣فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟» (لو١١: ٥-١٣).

هذا المثل هو جواب الرب على سؤال تلاميذه بعدما عرف عنه أتباعه المكانة البارزة التي احتلتها الصلاة في حياة سيِّدهم ومعلِّمهم، كرجل الصلاة والذي وحده من حقه أن يقول: «أما أنا فصلاة» (مز١٠٩: ٤). وقد حرّض

تلاميذه أن يسهروا ويصلوا لئلا يدخلوا في تجربة.

والرب يسوع ذُكر عنه في الأناجيل الأربعة اثنتين وعشرين مرة أنه «"كان يصلي». وفي هذا الإنجيل (إنجيل لوقا) الذي نتأمل في مثل من أمثاله التي انفرد بها. هذا الإنجيل يحدثنا عن المسيح باعتباره «ابن الإنسان»، ذُكر لنا فيه سبع مرات أنه صلّى. ففي ٣: ٢١ عند المعمودية «وإذ كان يصلي انفتحت السماء». وفي ٥: ١٦ «أما هو فكان يعتزل في البراري ويصلي». وقبل اختيار الرسل «قضى الليل كله في الصلاة لله» (٦: ١٢). وفي الأصحاح التاسع صلى مرتين (٩: ١٨، ٢٩) قبل أن يخبر تلاميذه عن صلبه وفي حادثة التجلي. ثم هنا ١١: ١ «وإذ كان يصلي». وأخيرًا في بستان جسثيماني (٢٢: ٣٩- ٤١) «خرج ومضى كالعادة ... ليصلي».

«ولما فرغ من الصلاة قال واحد من تلاميذه: يا رب علمنا أن نصلي»، فهذا طلبة أراد التلاميذ أن يتعلموها، لكن لهم طلبة أخرى في لوقا١١: ٥ «فقال الرسل للرب: زد إيماننا». وهذا بعد أن كلّمهم عن ضرورة الغفران. وهناك وضّح لهم الرب أن الغفران لا يحتاج كمًا من الإيمان، لكن يتعلق بنوعية الإيمان وأن عليهم أن يستخدموا ما لديهم من إيمان «مثل حبة خردل» وبه يقلعون جميزة وتغرس في البحر «فقال الرب: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم». ليعلن لهم أن إيمانًا حقيقيًا سحق كبرياء قلوبنا، فنقدر أن نغفر لإخوتنا. فالإيمان ينصرنا على قسوة قلوبنا ويعلِّمنا أن الغفران لا حدود له. هذا كان جواب الرب لتلاميذه على طلبتهم: «زد إيماننا». أما هنا فطلبتهم كانت: «علِّمنا أن نصلي»، فقدم لهم صلاة نموذجية موجزة وجامعة وليس لها تكرار باطل. وبحسب متى٦: ٩- ١٣ تحتوي هذه الصلاة على ٤٥ كلمة فقط، وبحسب لوقا هنا تحتوي على ٣٧ كلمة فقط، لأن لوقا لا يذكر عبارة: «لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين».

فبعدما صلّى، دبّت الأشواق فيهم والتهبت قلوبهم لكي يصلُّوا ويتعلَّموا سر القوة الروحية. فسأله «واحد من تلاميذه»، لا نعلم مَن هو وتكلَّم بالأصالة

عن نفسه وبالنيابة عن كل التلاميذ. ليس علِّمنا كيف نصلِّي، بل «علمنا أن نصلي». نعم! لقد رأوا سيِّدهم ومعلِّمهم صلَّى واقفًا (يو١١: ٤٢). وصلَّى جاثيًا على ركبتيه (مت٢٦: ٣٩؛ مر١٤: ٣٥)، ففهموا أن ليس للصلاة وضع معيَّن، بل حالة قلب.

وهنا استجاب الرب لشوق هذا التلميذ وأعطاهم هذه الصلاة النموذجية التي وردت في متى٦ وهنا في لوقا١١. ومع أن أعطاهم هذه الصلاة الشاملة الجامعة المركزة، ذكر لهم هذا المثل "مثل الأصدقاء الثلاثة" أو كما يسميه كثيرون: "مثل صديق نصف الليل"، ليرينا كيف يجب ونحن نصلي أن نعبر عن حاجتنا الفعلية بطريقة بسيطة ومحددة. وسنجد ثلاث درجات في طريق الإلحاح بها: «اسألوا .. اطلبوا .. اقرعوا».

«ثم قال لهم: مَن منكم له صديق ويمضي إليه نصف الليل ويقول له: يا صديق أقرضني ثلاثة أرغفة». كانت هناك حاجة خاصة ماسة مستعجلة عند هذا الصديق، لذا جاء قاصدًا أن يذهب لصديقه في ساعة متأخرة من الليل، ليمد له يد المساعدة. إنه شعر بحاجته وعبّر عنها وأمامه غرض واحد وطلبة محصورة في حاجة واحدة، فلم يطل الكلام أو يكرره باطلاً أو يطلب أشياء شاملة عمومية، لا يحتاج إليها الآن، بل في ذهنه أمر واحد: «أقرضني ثلاثة أرغفة»، هذا هو العدد الذي يحتاجه. ثم يعلن له لماذا يحتاج في هذا الوقت من نصف الليل إلى هذه الأرغفة الثلاثة، فيقول: «لأن صديقًا لي جاءني من سفر وليس لي ما أقدم له». لقد عرض عليه المشكلة في كلمات موجزة. فقد أتى إليه صديق في هذه الساعة المتأخرة، وبالطبع جاء جائعًا وأنه ليس لديه ما يسد جوعه.

ثم نلاحظ كيف لجأ هذا الصديق إلى صديقه بثقة أن لديه ما يسد احتياجه، فهو لم يسأله: هل عندك أرغفة، أو أعطني ما تجود به أو أقرضني قليلاً من الأرغفة، لكن وكأنه يقول: أنا أعرف أن احتياجي عندك وأنا أحدد طلبي. ثم إن هذه الأرغفة ليست لي، لكنني أشعر بشعور الجائع الآتي من سفر، فأطلب منك لأجله.

فهذا شخص يهتم بالآخرين ويعترف بعجزه وفراغه «ليس لي ما أقدم»، ثم إنه يثق أن صديقه عنده ما يحتاج. لكن آه! فالصديق لم يفتح الباب لصديقه الطارق، بل أجاب من الداخل وبأعذار تجرح الواقف على بابه «فيجيب ذلك من داخل ويقول: لا تزعجني. الباب مغلق الآن وأولادي معي في الفراش لا أقدر وأعطيك». «أقوم وأعطيك»، إنه شخص، متعب، جائع يحتاج ما لديه. لكن ألا ترى أن هذا الشخص ينعكف على نفسه وراحته ولا يريد أن يزعجه أحد حتى وإن كان هذا الشخص «صديق له»؟! حتى الأعذار التي قدمها أعذارًا واهية تجرح الآخرين، فالقول: «لا تزعجني» وكأنه يقول له: هل هذا وقت مناسب لطرق الباب؟ إنه إزعاج. ثم يكمل «الباب مغلق الآن»، وما المانع من أن تقوم وتفتح الباب؟! ثم «أولادي معي في الفراش»، وما المانع من أن تعلِّم أولادك أن يمدوا أيديهم لمَن يسألهم أو أن يتعبوا لإسعاد الآخرين وإن يكونوا مرحبين بمَن يطرق أبوابهم؟!! الحقيقة إن كل الأعذار التي قدمها ناشئة عن محبة الذات. حتى عندما قام ليعطي، أعطى بدافع تجنب الإزعاج، فالصديق استمر طارقًا بكل مثابرة وكل ثقة وكل لجاجة وهذا ما أعلنه الرب لنا في العدد ٨ «أقول لكم وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج». فقد نال طلبته، ولم يأخذ فقط الثلاثة الأرغفة التي طلبها، بل «قدر ما يحتاج»، وسُددت الإعواز، فاللجاجة قد تغلبت على محبة الذات التي وقفت عائقًا في سبيل إجابة مطالب الصداقة.

ثم وجّه الرب الكلام لتلاميذه ليعلِّمهم ويشجعهم على الصلاة والطلب، فقل: «وأنا أقول لكم: اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم». فهذا الصديق السائل سأل وطلب وقرع، فنال أكثر مما سأل من صديق لا يقدر واجبات وقيمة الصداقة «فكم بالحري الآب الذي من السماء!».

لكن نلاحظ أن هذا الطارق قدّم طلبات محددة، فنالها وأكثر منها مما يوضح وجوب تقديم طلبات محددة للرب. صحيح مطلوب أن نطيل الجلوس مع الرب، لكن هذا للتأمل في كمالاته وصفاته ومحبته ونعمته التي اتجهت

إلينا، أما عند الاحتياج لطلبة معينة، فعلينا أن نعلنها بكل وضوح ودون استطالة. فاستطالة الصلاة وتكرارها ليست هي اللجاجة. فاللجاجة مطلوبة والرب نفسه مارسها في نفس هذا الإنجيل (إنجيل لوقا). «وإذ كان في جهاد كان يصلِّي بأشد لجاجة» (لو٢٢: ٤٤). ويلاحظ أولاً أن الكتاب لم يقل: "في صراع"، بل «في جهاد». لماذا؟ لأن الصراع لا يتفق وروح الطاعة. فيعقوب في تكوين ٣٢: ٢٤ «صارعه إنسان»، صحيح إن يعقوب لم يكن هو الذي صارع، بل إنسان صارع يعقوب. نقول هذا لأن كثيرين يستشهدون بهذه العبارة، معتبرين أن يعقوب كان مجاهدًا في الصلاة أو مصليًا بلجاجة، مع أن الواضح أن هذا ليس المقصود، لكن المقصود أن الرب أراد أن يكشف ليعقوب حقيقة نفسه وضعفه. والحقيقة إنه منذ أن خُلع حُق فخذ يعقوب نراه يسلك بأكثر استقامة والسر في ذلك نراه في قول يعقوب: «لا أطلقك إن لم تباركني ... فباركه هناك».

وعليه، فاللجاجة ليست الصراع، لذا كان الرب «في جهاد كان يصلِّي بأشد لجاجة»، وهل كان للرب طلبة محددة في هذا الوقت؟ نعم وأشار إليها بكل وضوح، فقال: «يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك». إذًا اللجاجة ليست هي تكرارًا، بل تعني "إلى أقصى حد" أو "من الأعماق".

وفي أعمال ١٢: ٥، بعدما وُضِع بطرس في السجن مسلَّمًا إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه، وبعدما قُتل يعقوب وكانت النيَّة قد بينت لقتل بطرس، نقرأ عن الصلاة بلجاجة من الكنيسة كلها «وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله». ووُهِب بطرس لهم واُستُجيبت الصلاة، حتى إنهم اندهشوا.

فاللجاجة هي الطلبة من كل القلب «وتطلبوني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلوبكم» (إر٢٩: ١٣).

وما أكثر الأمور التي تدفعنا إلى الالتجاء إلى الرب في الصلاة بلجاجة ولا سيما ونحن نعرف أننا في الأيام الأخيرة والأزمنة الصعبة وكل ما يحيط

بنا يدفعنا دفعًا إلى الصلاة بلجاجة. فعلينا أن نحدد طلباتنا ونصلي بلجاجة وسيَفتح لنا.

ولنا أمثلة كثيرة في الكتاب عن أشخاص قدموا طلبات محدَّدة واُستُجيبت لهم. عبد إبراهيم في تكوين ٢٤: ١٢- ١٤، سأل الرب «وقال: أيها الرب إله سيِّدي إبراهيم، يسِّر لي اليوم واصنع لطفًا إلى سيِّدي إبراهيم. ها أنا واقف على عين الماء ... فليكن أن الفتاة التي أقول لها: أميلي جرَّتك لأشرب فتقول: اشرب وأنا أسقي جمالك أيضًا، هي التي عيَّنتها لعبدك إسحاق». واستجاب الرب سريعًا، إذ كان لم يفرغ بعد من الكلام.

ويشوع أيضًا طلب: «حينئذ كلَّم يشوع الرب ... وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر» (يش ١٠:١٢،١٣).

وإيليا صلى «لا يكون طل ولا مطر إلا عند قولي» (١مل١٧: ١)، ثم صلَّى في ١ملوك ١٨: ٤٥ «وكان من هنا إلى هناك أن السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم».

والرجل الذي شعر بحاجته إلى الأبصار عندما أتى إلى الرب بكل الحاجة ومن الأعماق صرخ: «يا يسوع ابن داود ارحمني .. وصرخ أكثر كثيرًا يا ابن داود ارحمني»، وعندما سأله الرب: «ماذا تريد أن أفعل بك؟»، حدد طلبته: «فقال: يا سيد أن أبصر. ففي الحال أبصر وتبعه وهو يمجد الله» (لو١٨: ٣٨- ٤٣).

فيا ليت الرب يعطينا نعمة، فنتعلم اللجاجة وتحديد الطلبة في الصلاة. وما يشجعنا هو قول الرب لنا: «وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له».

لقد استخدم الرب ثلاثة تعبيرات: «اسألوا .. اطلبوا .. اقرعوا»، والتعبيرات الثلاثة هذه ليست مجرد تكرار، بل هي سُلم إلى أعلى. فالنغمة ترتفع من السؤال إلى الطلب لتصل إلى القرع حتى يفتح الباب. فالسؤال

عادة لشيء محدد، أما الطلب فهو البحث عن شيء ثمين لا أراه أمامي وأنا في احتياج إليه، فأبدأ في طلبه، وأخيرًا القرع يوحي بشدة الاحتياج واللجاجة عندما لا يكون بوسعي الرجوع دون حاجتي، كما في حال هذا الرجل الذي سأل وطلب ثم قرع واستمر قارعًا حتى فُتح له.

وإن كان الذي أعطى هذا الصديق اختلف كل الاختلاف عن سيِّدنا الكريم الذي يعطي بسخاء وبابه مفتوح لا يغلق والذي لم يقل مطلقًا لأي محتاج: «لا أقدر أن أقوم وأعطيك»، لأنه كُلِّي القدرة «ومغبوط عنده العطاء» (أع٢٠: ٣٥).

فحين أسأل الرب، فأنا أستعرض احتياجي وكلي ثقة أن إلهي كُلي القدرة، وحين أطلب فأنا أعرف أن هذا الإله القادر المُحب الحنَّان هو أبي ولي الحق أن أطلب منه احتياجي ولذا بعد طلبي سأستمر قارعًا بلجاجة حتى يفتح لي «يا ذاكري الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت» (إش٦٢: ٦، ٧). ليتنا نصلي بثقة في محبته وما يشجعنا هو وعد الرب بالاستجابة: «تعطوا .. تجدوا .. يُفتح لكم». بل قال له كل المجد بصيغة أقوى: «كل مَن يسأل يأخذ ومَن يطلب يجد ومَن يقرع له». إنه لا يحابي إنسانًا، بل يصنع لمَن ينتظره (إش٦٤: ٤).

ثم قدّم الرب لهم مثلاً من واقعهم: «فمَن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزًا أ فيعطيه حجرًا؟! أو سمكة فيعطيه حيَّة بدل السمكة؟! أو إذا سأله بيضة أ فيعطيه عقربًا؟!». الإجابة قاطعة! لا . كيف لأب أن يعطي ابنه حجرًا بدل خبز أو حيَّة بدل سمكة أو عقربًا بدل بيضة! فيكمل الرب ويقول: «فإن كنتم وأنت أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه!». فهنا الرب يشير إلى أنه لا يعطي إلا العطايا الجيدة. وهذا يعطينا تفسيرًا عن سبب عدم إجابة الرب أحيانًا لطلباتنا. فامتناعه هو إجابة بلا. لماذا؟ لأن هذه الطلبات يراها بحكمته أنها ليست لصالحنا، فهي حجر لا يشبع أو حيَّة تلدغ أو عقرب مؤلم. فإن كان الأب البشري مع كونه صاحب طبيعة خاطئة، لكن لا يعطي أولاده

مثل هذه «فكم بالحري الآب الذي من السماء!».

لكن نلاحظ أن الرب يلفت انتباه سامعيه أن يطلبوا عطية سامية أفضل من كل العطايا.

ولا نُعطَى إلا من الآب الذي من السماء «الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه». وهذا ليس معناه أن نصلِّي لكي يعطي لنا الروح القدس، لأن هذا تم لنا الآن، ويتم لحظة الإيمان لكل شخص يؤمن «إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس» (أف١: ١٣). هذا هو امتياز مؤمني عهد النعمة. أما ما قصده الرب هنا هو أن يصلِّوا بشوق.

وأن يُهيَئوا لقدومه، وذلك فقط في الفترة بين صعود المسيح ونزول الروح القدس

يوم الخمسين، وقد قال لهم في يوحنا ١٦: ٧: «إن ذهبت أرسله إليكم»، وقد صلوا فعلاً ولمدة عشرة أيام بعد صعود الرب يسوع المسيح، منتظرين إجابة الصلاة وتتميم الوعد (لو٢٤: ٤٩؛ أع١: ١– ٨). وفعلاً اُستجيبت الصلاة يوم الخمسين (أع٢: ١– ١٢)، لذا لا نجد بعد ذلك أي تحريض على طلب انسكاب أو حلول الروح القدس. فالصلاة ليست شرطًا أساسيًا لنوال عطية الروح القدس، بل الإيمان هو الشرط الأساسي «ننال بالإيمان موعد الروح» (غل٣: ١٤).

ثم إن الثلاثة الآلاف الذين كلمهم بطرس في أعمال ٢ قال لهم: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (أع٢: ٣٨)، وعليه فالتوبة والإيمان القلبي هو شرط نوال الروح القدس وسكناه. فهو عطية مجانية ننالها بمجرد إيمان قلوبنا بالرب يسوع المسيح. وكل مؤمن يسكن فيه الروح القدس، لكن ليس كل مؤمن ممتلئًا من الروح القدس.

فعندما تكلَّم الرب يسوع بهذه الكلمات لم يكن الروح قد أُعطي بعد. وبحسب اللغة اليونانية وكما جاء في الكتاب المُشوهد، لا توجد "ال" التعريف بل «يعطي روحًا قدسًا» دون "ال" التعريف. فلا يقصد طلب

الروح القدس كأقنوم، لكن أعمال الروح القدس وقيادته إلى أن يسكن. وما يؤكد هذا الكلام أنه في متى ٧: ١١، وفي نفس الحديث عن هذه الصلاة النموذجية، يقول: «فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه!».

فغرض المثل هو معرفة الصلاة المقتدرة في فعلها وتحديد الطلبة والثقة بأن الرب لديه كل احتياجاتنا وعلينا أن نسأل ونطلب ونقرع ونستمر قارعين إلى أن يُفتح لنا.

وإن كان هذا الصديق أتى بدافع الصداقة إلى صديقه والعشم فيه ونال أكثر مما أراد، فعليَّ وعليك أن نأتي بكل معضلات ومستحيلات تواجهنا ونقرع على باب قلب الرب، بدالة البنوة وبإيمان غير مرتاب وسننال أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر. والوصية لنا: «واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر» (كو٤: ٢).

«مُصلِّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه» (أف٦: ١٨).

فكل شيء مستطاع بالصلاة. وكم رأينا يد الرب الرفيعة تدخلت وأنقذتنا من ضيقات وكروب! أ ليس هذا مشجعًا لنا أن نأتي إليه بكل احتياجاتنا؟

لكن يجب علينا أن نستمتع بالجلوس مع الرب والتلذذ به في وقت السعة، حتى إذا جاء ليل نمضي إليه في نصف الليل والظلام حولنا، ليحوّل كل نوح إلى رقص لنا.

ولنتذكر قول الرب: «اسألوا .. اطلبوا .. اقرعوا». فإن لم نسأل، فلن نأخذ وإن لم نطلب، فلن نجد وإن لم نقرع، لن يفتح لنا.

فكل مؤمن يصلِّي، لكن ليس كل مؤمن مصليًا ومتدربًا وعالمًا كيف يصلي. فليتنا «نلقي التبر على التراب. وذهب أوفير بين حصا الأودية. ونتلذذ بالقدير ونصلي، فيسمع لنا» (أي٢٢: ٢٣- ٢٧).

مَثَل الغني الغبي

(لو ١٢:١٦-٢١)

«[١٦]وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً قَائِلاً: إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، [١٧]فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً: مَاذَا أَعْمَلُ، لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ [١٨]وَقَالَ: أَعْمَلُ هذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَّتِي وَخَيْرَاتِي، [١٩]وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي! [٢٠]فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ [٢١]هكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلَّهِ»
(لو١٢: ١٦- ٢١).

لقد قال الرب هذا المثل بناء على حديث السابق مع «واحد من الجمع»، جاء إليه لتسوية خلافات مالية بينه وبين أخيه، وهذه كانت عادة الناس حين يحتاجون لتسوية أمورهم المالية أن يلجئوا إلى طرف محايد من المعلِّمين، فجاء إليه واحد من الجمع وقال له: «يا معلِّم، قُلْ لأخي أن يقاسمني الميراث». وربما كان هذا الأخ هو الأصغر ويعلم أن الابن البكر يأخذ ضعف ما يأخذه الابن الآخر. والرب رد عليه: «يا إنسان، مَن أقامني عليكمَا قاضيًا أو مقسِّمًا؟». فالرب أعلن له ولتلاميذه أن مجيئه ليس لحل الأمور الدنيوية أو لتسوية الخلافات المالية. وهنا كشف الرب أن دافع هذا الرجل هو الطمع وأنه لا يقبل أن يأخذ أخوه البكر قسمًا أكثر منه حتى وإن

كان هذا بناء على وصية كتابية. لذا وجّه الرب حديثه للجموع، معلناً أساس المشكلة هو محبة المال التي ولّدت الطمع «فقال لهم: انظروا وتحفظوا من الطمع»، نعم! فهناك قلوب متدربة في الطمع (٢بط٢: ١٤)، لذا حذّر الرب تلاميذه والجموع معلناً أن الحياة عطية من الله وأن المال عاجز كل العجز عن أن يبقي إنساناً حيًا. فإذا ما طُلبت منه نفسه فجأة، فلا يستطيع المال أو الممتلكات أن تفعل له شيئًا، فأعطى لهم هذا المثل لإنسان غني منشغل بمشروعاته، منحصرًا في ذاته وكيف يستطيع أن يشبع نفسه ويريحها ويفرحها وفي انشغال لم يهتم لنفسه الخالدة أين ستخلد.

فمن خلفية سؤال الرجل الذي جاء إليه لفض نزاع ميراث بين أخ وأخيه، بدأ الرب يسرد هذا المثل. لذا بدأ بالقول: «وضرب لهم مثلاً»؛ أي بناء على رفضه التدخل في تسوية النزاع بين هذا الرجل وأخيه فقال: «إنسان غني أخصبت كورته»، في الأصل هذا الرجل وقبل أن تخصب كورته هو «إنسان غني»، ليس كعامة الشعب وغالبيته العظمى، بل هو من فئة الأغنياء ومالكي الأراضي الزراعية. لكن ماذا حدث مع هذا الغني الثري؟ لقد حالفه التوفيق و«أخصبت كورته» وأعطت نتاجًا وافرًا لم يكن يتوقعه، فقد أفرغ بمخازنه حيزًا لمحصوله الجديد، لكنه فوجئ أن المحصول فوق المنتظر وصوامع غلاله لا تستوعب كل هذا المحصول. ومن هنا بدأت حيرته «ففكر في نفسه» ولم يشرك أحدًا معه في أفكاره، بل سأل نفسه: «ماذا أعمل؟ لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري». فجميع الصوامع مملوءة بالغلة والصوامع أصغر من أن تستوعب هذه الخيرات كلها. ومن هنا بدأت حيرته: أين سأضع كل هذه الحبوب؟ وأخيرًا هداه تفكيره إلى الحل، فقال: «أعمل هذا: أهدم مخازني وأبني أعظم»، إذًا مخازنه عظيمة، لكنه يريد الأعظم ليستوعب أكثر حتى لا يضيع أي شيء من هذا المحصول، بل «وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي»، عجبًا! إنه لم يفكر إلا في نفسه. والحقيقة إن عملية هدم الصوامع وبناء صوامع أكبر وأعظم يحتاج منه إلى نفقات كثيرة وهو عنده استعداد أن ينفق، لكن فقط على نفسه، أما أن يلتفت إلى من حوله من فقراء

أو معوزين أو حتى أقارب له، فلم تخطر على باله الفكرة من أساسها، بل كان كل ما يشغله هو الجمع والتكويم. وسليمان في جامعة ٢: ٢٦ يقول لنا بالروح إن هذا ما يفعله الخاطئ: «أما الخاطئ فيعطيه شغل الجمع والتكويم». وبدأ يحلم ويقول لنفسه: «يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة»، ومن هنا نعرف أن هذا الغبي شاب يحلم بعمر طويل مديد سيمتّع فيه نفسه «بالخيرات الكثيرة». لأنه لو كان شيخًا طاعنًا في السن لما قال لنفسه أمامكِ العمر الطويل. ألا ترى كم الغباء في أقواله ووعيده لنفسه؟! هل بيدك ضمان السنين الكثيرة؟ بل لقد منَّى نفسه بالراحة «استريحي وكلي واشربي وافرحي!»؛ أي قد حان وقت الراحة بعد كل العناء. إني أشفقُ عليك يا نفسي لأني كم أتعبتكِ وحرمتكِ حتى أبلغ ما بلغتُ. لقد كنت عصاميًا لأبعد الحدود والآن زادت عظمتي بنسبة ما جمعته من غنى وقد زاد رصيدي وحان وقت الاستمتاع بالحياة. والخيرات كثيرة، فلِمَا لا نفرح ووقت الراحة قد جاء «فاستريحي وكلي واشربي وافرحي»؟! لقد نلتُ مُرادي وما يسعى إليه الجميع قد جاء إليَّ. فالجميع يسعون وراء الراحة والأكل والشرب والأفراح، لكن ليس للجميع ما نلتيه يا نفسي، فقد حصلتِ على مشتهى كل من حولكِ من البشر. وكم تعبتِ «فاستريحي» وكم حُرمتِ «فكُلي»، بل وأيضًا «اشربي وافرحي»!!

لكن وفيما هو مستغرق في أحلامه، إذا بصوت الرب يقول له: «يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك»، ولن تستمتع بأية ممتلكات، بل ستفقد كل مقتنياتك، بل يا مسكين ستفقد حتى شبابك. ونفسك التي كنت تمنيها بالراحة والأكل والشرب والفرح، ستخسرها! «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟» (مت١٦: ٢٦). لقد منَّى نفسه بغد مُشرق مُريح، أراد فيه أن يأكل ويشرب ويفرح ولم يفكر في الرب بالمرة، الإله الذي أخصبَ كورته أسقطه من حساباته وتكلَّم بروح الاستقلالية: «مخازني .. غلاتي .. خيراتي .. نفسي» ولذا اصطدم بالله الذي عرَّفه ذاته وأنه ليس غنيًا، بل غبيًا «فقال له: يا غبي!»، ليس أمامك سنون

عديدة، بل ليس أمامك ولا يومًا واحدًا، بل «هذه الليلة تطلب نفسك منك».

والحقيقة إن الغبي هو الشخص الذي تنتهي مخططاته وآماله عند حدود الأرض. والغبي هو من يهتم بما على الأرض. الغبي من يفتكر في الأرضيات (في٣: ١٩). الغبي هو عبد ذاته والأرض مجال أفكاره. الغبي هو من «أهل الدنيا»، «الذين نصيبهم في حياتهم»، ويأخذ من الله العطايا ويتجاهل العاطي «بذخائرك تملأ بطونهم»، لكن «قلبهم السمين قد أغلظوا» (مز١٧: ١٣، ١٤). نعم ! فعطايا الرب للغبي الذي من أهل الدنيا تغلق قلبه وتغلظه، فلا يفتح للرب الذي يقرع على بابه ولا يفتح قلبه لأي شعور نبيل أو إحساس رقيق بحاجة من حوله.

آه! على هذا المسكين لقد قُبض عليه في نصف أيامه وجاءه الصوت: «فهذه التي أعددتها لمَن تكون؟».

واستطرد الرب في القول: «هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيًا لله». نعم! الغنى الحقيقي هو في الاتكال الكلي على الرب، لذا أردف سيدنا المعبود هذا المثل بطلب رقيق جدًا ودعوة للتأمل في الغربان والزنابق. فالله يقيت الغربان ويعتني بالزنابق وكليها ليس لهما مَن يقيتها أو يعتني بها. أ فلا يهتم بنا؟ فلماذا هذا الاهتمام والخوف والقلق ولنا هذا الإله العظيم؟!

فهذا الشاب الغني فاجأه هلاك مباغت قطع أحلامه بالراحة والأكل والشرب والفرح.

وفي الوقت الذي كنز لنفسه كثيرًا، فقد كل شيء حتى نفسه «وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟». حقًا إن «الأغبياء يرثون الحماقة» (أم١٤: ١٨)! لقد منَّى نفسه بالآمال العريضة الخارجة من قلب مملوء طمعًا وهذا ما أشار إليه الرب في بادئ الأمر «انظروا وتحفظوا من الطمع».

أخي .. ماذا تستفيد إذا ربحت العالم كله بشهرته وسطوته وأمواله وعقاراته ثم أُلقيت في جهنم؟! ألا تتعظ؟ فهذا الغني الشاب الذي ربما غار منه الكثيرون لغناه، لكن ألا ترى أنه ترك كل شيء في لحظة؟ ألا ترى أن

الحياة قصيرة والغنى وقتي؟ فيا ليتك تقول ما قاله داود في مزمور٣٩: ٤ عن بطل الحياة: «عرِّفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي، فأعلم كيف أنا زائلٌ».

نعم! من الحكمة أن يتذكر الإنسان نهايته لأن «الأحياء يعلمون أنهم سيموتون» (جا٩: ٥)، لكن ما أقل الذين يفكرون فيما بعد الحياة هنا. ليس شيء أسرع إلى الزوال من حياة الإنسان على الأرض، إنها أيام وأشبار «هوذا جعلت أيامي أشبارًا وعمري كلا شيء قدامك»، ولا أحد يدري عدد الأشبار الباقية «إنما نفخة كل إنسان قد جُعل»، «إنما كخيال يتمشى الإنسان». هذه هي حقيقة الحياة «بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل»، فلا تكن مثل الغني الذي فكّر في هدم مخازنه لبناء مخازن أعظم وذخّر ذخائر وتعب وجمع وكوّم ولا يدري مَن يضمها وهذا ما أعلنه له الرب: «هذه التي أعددتها لمن تكون؟!». إنك لا تقدر أن تحملها معك، "فإن كنت حكيمًا، فأنت حكيم لنفسك". فالعاقل لا يبني على الرمال، فتحول عنها واهتم بما فوق، فنحن مسافرون إلى عالم آخر وليس لنا هنا مدينة باقية، لكننا نطلب العتيدة، فنحن غرباء ونزلاء هنا.

لكن راجع معي ما قاله الرب لهذا الغني الغبي لنعرف تعليم الكتاب عن النفس وخلودها: «فقال له الله: يا غبي! هذه الليلة تطلب نفسك منك». وهنا نرى أن الكتاب يعلن درجة القرابة بين النفس والحياة. فالحياة هي النفس عاملة بالجسد. والنفس هي الحياة طوال ارتباطها بالجسد.

كما يعلن الكتاب أن نفس الإنسان خالدة مع روحه وخلودها هو سر قيامة الأجساد. فنفس البشر باقية مع أرواحهم بعد موتهم. وهذا عكس الحيوانات التي تباد، لأن نفوسها في دمها فقط، ومتى سُفك دمها خمدت أنفاسها (مز٤٩: ٢٠). أما نفوس البشر فباقية مع أرواحهم وعند الموت تنفصل النفس والروح عن الجسد إلى وقت قيامة الأجساد، فتعود النفس والروح معًا إلى الجسد. ونقرأ في ١ملوك١٧: ٢٢ عن ابن أرملة صرفة صيدا: «رجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش». والعكس في تكوين ٣٥: ١٨ مكتوب عن

راحيل: «كان عند خروج نفسها لأنها ماتت» والرب في متى١٠: ٢٨ يقول: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقــدرون أن يقتلوهــا». فالنفس خالدة وهذا الكلام ليس فقط للمؤمنين وحدهم، بل هو خــاص بكــل البشر.

فهل أنت أخي .. مستعد للأبدية؟ اعلم أنك أنت بنفسك الذي تختار لنفسك مقرك الأبدي. فاحذر أن تنعم هنا بالعالم، متجاهلاً أمرك الأبدي! احــذر أن تستيقظ من الحلم على حقيقة مرة! لكن إن كنت مؤمناً ووضعت رجاءك في الرب يسوع، منتظرًا مجيئه ليأخذنا إليه، حتى حيث يكون هو نكــون نحــن أيضًا، فيا لهنَاك ويا لسعدك!!

كلمة أخيرة ..

أخي.. احذر! فبين الحياة والموت لحظة تنقلنا من عالمٍ إلى آخر. إمــا إلى الفردوس على رجاء أو إلى العذاب بلا رجاء. لا تقسِّ قلبك ولا تستمر في عنادك ولا تؤجل! لا تنسَ أن للأشرار رجاء، لكنه ينقطع، فلا تمضِ بلا رجاء!!

مَثَل شجرة التين

(لو ١٣:٦-٩)

«٦وَقَالَ هذَا الْمَثَلَ: كَانَتْ لوَاحد شَجَرَةُ تين مَغْرُوسَةٌ في كَرْمه، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا وَلَمْ يَجِدْ. ٧فَقَالَ لِلْكَرَّام: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَرًا في هذه التِّينَة وَلَمْ أَجِدْ. اقْطَعْهَا! لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضًا؟ ٨فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هذه السَّنَةَ أَيْضًا، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. ٩فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَرًا، وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا» (لو١٣: ٦- ٩).

يبدأ الرب هذا المثل بحرف «**الواو**» «**وقال هذا المثل**» ليعلن لنا أن لهذا المثل علاقة وثيقة بالحديث السابق عن «الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم» وكيف جاء قوم من اليهود الذين في أورشليم وأخبروا الرب بهذه الكارثة. وفهمَ الرب أن هؤلاء اليهود ظنوا أن لا بد أن هناك الجليليين قد اقترفوا خطايا فظيعة، حتى إن الرب سمح لهم بهذه الميتة ليعلن عدم رضاه عنهم حتى وإن كانوا يقربون ذبائح. لكن الرب صحح مفاهيمهم، معلناً لهم ولنا أن هذا الفهم خاطئ وحذّرهم «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون»، ثم روى الرب لهم مأساة أخرى كارثية عن أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام وقتلهم «وسأل الحاضرين: هل أيضًا تظنون أن هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين في أورشليم؟» وأعلن رفضه التام لهذه الآراء فقال: «كلا! أقول لكم: بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون».

فالرب وجه نظر الحاضرين السامعين إلى أهمية التوبة وضرورتها وأن الحياة قصيرة وعلينا أن نأخذ من الحوادث أو الكوارث تحذيرات بأهمية التوبة. فسواء الجليليين أو الذين سقط عليهم البرج لم يكونوا يدرون أن حياتهم ستنتهي اليوم وفجأة. والحكيم قال لنا في جامعة ٩: ١٢ «لأن الإنسان أيضًا لا يعرف وقته. كالأسماك التي تُؤخَذ بشبكة مُهلكة، وكالعصافير التي تُؤخَذ بالشَّرك، كذلك تُقتنص بنو البشر في وقت شرٍّ، إذ يقع عليهم بغتَةً». فالإنسان لا يعرف متى وكيف وأين ستنتهي حياته، لذا عليه أن يستعد للقاء إلهه (عا٤: ١٢)، كيف؟ **بالتوبة**. لأن حياة الإنسان ليست إلا بخار وغبار وأشبار وأيام ونفخة وخيال (مز٣٩)، لذا يطلب المرنم: «عرِّفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي، فأعلم كيف أنا زائل». ذلك لأن لا شيء أسرع إلى الزوال من حياة الإنسان.

ولذا وجه الرب إلى أهمية التوبة وحذّر السامعين من تأجيلها، لأنه أما التوبة أو الهلاك «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون».

لكن ألا ترى معي أن الظن بأن هؤلاء الجليليين أو الذين سقط عليهم البرج خطاة أكثر من الآخرين، فيه كبرياء؟ بكل تأكيد! لأن الذين يظنون هذا داخلهم شعور أنهم أفضل من الآخرين، لذا لم يكابدوا أمورًا قاسية أو تجارب مريرة. نعم هذا كبرياء وعلينا أن نواجه أنفسنا، فلسنا أفضل من غيرنا وإن كان الرب قد عفا عنا ولم يدخلنا في ضيق مثل هذا. فالحقيقة إنه «لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا» (رو٣:٢٢ و٢٣).

صحيح إن الرب كان يوجه تحذيرًا لهم كأُمَّة، معلنًا أن هناك مصيرًا أسود مشابهًا ينتظرهم إن لم يتوبوا. وبالفعل لم يتوبوا وجاء عليهم تيطس ابن فسباسيان ٧٠م. وهدم الهيكل وحرقه بعد حصار شديد واستولى على المدينة وأهلك ما يربو عن المليون يهودي.

فالرب قال هذا المثل ليعلن أن تاريخ إسرائيل مُمثَّل في شجرة التين العقيمة، بل ويصور لنا في ذات الوقت تاريخ الجنس البشري ككل وكيف أن الرب بطول أناته يصبر على الإنسان، لعله يتوب ويرجع وعليه ألا «يستهين

بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته» (رو٢: ٤)، بل يتوب ويرجع.

وفي هذا المثل سنرى معاملات الله التشجيعية والإحاطة بالحفظ والعناية وإعطاء فرصة تلو الأخرى للتوبة والرجوع والإثمار. فما أرق قلبه وأعظمه وما أجوده!

إذًا فهذا المثل له علاقة بإسرائيل كأمة انتظر الرب منها ثمرًا، كما إن هذا المثل يشير لمعاملات الله مع الجنس البشري كله ومعاملاته مع كل فرد ليثمر لله. لكن القساوة والقلب غير التائب تجعل الإنسان يذخر أسوأ ادخار لنفسه «يذخر غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة» (رو٢: ٥).

«وقال لهم هذا المَثَل: كان لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه» والسؤال: ما الذي جعل شجرة التين تُغرس في الكرم؟ أما أن تغرس شجرة التين في الحقل، أو تغرس الكرمة في الكرم؟ لكن أن تغرس شجرة التين في الكرم، فما معنى هذا؟

إن شعب إسرائيل كأمَّة يتكون من الأسباط الاثني عشر يمثل بكرمة. ففي مزمور ٨٠ «كَرْمَة من مصر نَقلتَ. طردت أُممًا وغرستها»، فالكَرْمَة أي إسرائيل بأسباطه الاثني عشر كان في مصر في تربة غير ملائمة ومذلاً ومحتقرًا. لكن يمين الرب أتت بهذه الكَرْمَة وغرستها في الموضع المُعَد لها وهيأ قدامها وطرد من أمامها سبع أُمم ليغرسها في أرضها «فأصَّلت أصولها فملأت الأرض» واستقر الشعب في أرضه وازدهر وامتدت قضبانه. لكن عدم الأمانة لهذا الشعب أو هذه الكَرْمَة جعل الخنزير يفسدها ويرعاها وحش البرية «يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية» (مز٨٠: ١٣)، وفي هذا إشارة إلى السبي البابلي والسبي الأشوري، وتم هدم جدرانها وداست الأُمم أرضها. ذلك لأنه لم يكن امتلاك إسرائيل للأرض على مبدأ الاستحقاق، بل على مبدأ الإحسان المشروط، أي كان المطلوب منهم طاعة الرب وحفظ وصاياه والانفصال عن شرور الوثنية وعادات تلك الأمم التي لا تعرف الله وإلا سيكون مصيرهم مثل تلك الأُمم وهو الطرد كما طردت تلك الأُمم. وبالفعل لم يثبتوا وانفتحوا على من حولهم وتمثلوا بهم وعبدو آلهتهم،

فوقعوا تحت القضاء الإلهي وسُبوا من أرضهم. وحين جاء الرب إلى أرضه، كان هناك فقط السبطان: يهوذا وبنيامين حتى هؤلاء لم يكن رجوعهم وثباتهم في الأرض رجوعًا قلبيًا، بل صورة للتدين والتمسك الشكلي بالناموس وهذا كله مرموز له بأوراق تين، لكن لا ثمرًا يشبع ولا حلاوة كما في مثل يوثام حين «قالت التينة: أ أترك حلاوتي وثمري الطيب؟» (قض٩). فلم تعد للتينة أي البقية الموجودة بالأرض ما يشبع أو يفرح الله أو الناس.

بل لم ينتهِ الأمر عند هذا الحد، بل صلبوا مسيَّاهم الذي أتى إليهم ورفضوا شهادة الروح القدس بواسطة رسله وقديسيه، فتشتتوا بيد تيطس.

فالسبطان اللذان رجعا من السبي وقتما كان الرب وسطهما بالجسد هما المرموز لهما بشجرة التين المغروسة في الكرم.

وشجرة التين لها خواصها وصورها الرمزية. فمن خواص التينة الغريبة ظهور الثمر قبل الورق، فإن ظهرت أوراق التين، فهذا يعني أنه يوجد ثمر، وعندما أتى الرب كان ورق الشجرة وفيرًا، لكن لم يكن هناك ثمر. وورق التين يرمز للتديُّن والطقوس البشرية التي من صنع الإنسان. هذا لأن أول ورود لأية كلمة في الكتاب هو مفتاح فهمها في كل الكتاب، فأول ورود لأوراق التين كان في تكوين٣: ٧ حين انفتحت أعين آدم وحواء وعلما أنهما عريانان، «فخاطا أوراق تين وصنع لأنفسهما مآزر»، وعليه، فالمآزر من ورق التين هي أول اختراع للإنسان لستر عريه. لكنه لم يقنع به، فاعترف للرب أنه عريان: «سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عُريان فاختبأت» (تك٣: ١٠)، وهذا واقع فالاتزار بالأعمال لا يستر أمام وجه الله، لذا اختبأ آدم وامرأته في وسط شجر الجنة.

فالرب كان يرى مظاهر التدين واضحة لاسيما في الكتبة والفريسيين، لكن دون إيمان جوهري فقد أرادوا أن يقتلوه مرة ومرات، برغم تدينهم الظاهري وشجرة التين تشغل مساحة ليست صغيرة بالأرض، فجزعها سميك وأوراقها وفروعها تشغل حيزًا كبيرًا وعندما أتى إليها صاحب الكرم الذي غرسها في كرمه «أتى يطلب منها ثمرًا»، لكن بكل أسف «لم يجد»! وكان له ثلاث

سنين يراقبها، هل ستأتي بثمر؟ وأخيرًا وبعد هذه المدة «قال للكرام: هـوذا ثلاث سنين آتي وأطلب ثمرًا من هذه التينة ولم أجد. اقطعها لمـاذا تبطِّـل الأرض أيضًا؟». والثلاث سنون هي مدة خدمة الرب الجهارية بينهم وهـي مدة كافية جدًا لإنتاج الثمر. لأنه لم يتكلَّم إنسان قط مثلما تكلَّم سيِّدنا الكريم ولم يقدم أحد تعاليم سامية وسلك بما علَّم مثله!! فقد كان يفعل ما يعلِّم به، بل كم من المرات شفى برصاهم وأقام موتاهم وفتح أعين عميانهم وأشبع بطون الجياع وأظهر حنوًا وعطفًا وعطاء ورقة ورحمة نحـوهم!! لقـد جـاءهم مسياهم وربهم وأشار في نفس الأصحاح (لو١٣: ٣٢) إشارة إلـى خدمـة النعمة التي رآها ولا بد أن يكملها، فقال: «ها أنا أخرج شـياطين، وأشـفي اليوم وغدًا – أي فترة تجسده وخدمتـه – وفي اليوم الثالث أُكمَّل – أي بقيامتـه». وعليه، فالرب أعلن أنه استخدم كل الوسائل حتى تأتي هذه التينـة بـالثمر ويكون ثمرها لشبع من حولها. لكن لم تستجب شجرة التين. فجاء القـول: «اقطعها» لأنها فشلت في تحقيق الغرض منها. وهنا أتى صـوت النعمـة معطيًا فرصة أخيرة «وقال له: يا سيِّد، اتركها هذه السنة أيضًا، حتى أنقُـب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمرًا، وإلا ففيما بعد تقطعها».

إن الله لم يرفض شعبه، وها صوت النعمة: «اتركها هذه السنة أيـضًا»، وهنا نرى شفاعة الرب يسوع نفسه وفتحه باب مدن الملجأ لهم. وإن كـان لوقا انفرد بمثل هذه التينة غير المثمرة، فهو أيضًا انفرد بذكر صلاة الـرب يسوع «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون مـاذا يفعلـون» (لـو٢٣: ٣٤). والرائع أنه لم يذكر معجزة لعن شجر التين التي ذكرها متى البشير ومرقس.

فالرب يسوع توسّل: «اتركها هذه السنة»، ليكمّل خدمته وسطهم «وينقُب حولها ويضع زبلاً»، ثم جاء الروح القدس يوم الخمسين وتمتعت هذه الأُمَّـة بكرازة الرسل وكأن كل هذا بمثابة زبلاً لتصنع ثمرًا. فقد رأينا فـي سـفر الأعمال تجاوبًا مع الكرازة، لكن رأينا أيضًا كبرياء وتفاخرًا جسديًا ورفـضًا للكرازة والكارزين بها.

لكن الله قادر أن يطعِّمهم أيضًا (رو١١: ٢٣)، أي يضع زبلاً مرة أخرى،

ورحمة الله دائمًا تجد طريقها والله القادر على كل شيء سيثمر بهذه التينة، لكن بعد التوبة والإيمان وهذا ما سيفعله الرب بعد أن يجيزهم في ضيق شديد لأن «القساوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل» (رو ١١: ٢٥، ٢٦)، فبعد كمال المختارين من الأُمم سيأتي الرب من السماء ليأخذنا، ثم ستجتاز هذه الأمة الضيقة العظيمة وستخلص بقية أمينة في زمن الضيق.

أما التحذير فلكل نفس. فما أطول أناة الله مع كل واحد منا! فهل – أيها القارئ – تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته؟ فكم من مرات جاء الصوت: «اقطعها!» وأعطانا الرب الفرصة تلو الفرصة لنتجاوب معه! احذر! فدينونة الله عادلة احذر لئلا تكون قد استنفدت مرات العفو «اتركها هذه السنة أيضًا»!

اذكر إحسانات الرب التي غمرك، بها ومراحمه التي جدَّدها لك، وتعقَّلْ «لأن نهاية كل شيء قد اقتربت»، ونحن نرى بعيوننا مقدمات الغضب الذي سينسكب على العالم ولعلها الفرصة الأخيرة لك، فإن لم تغتنمها، فقد يأتي القضاء «اقطعها لماذا تبطّل الأرض؟».

مَثَل العشاء العظيم

(لو ١٤:١٥-٢٤)

«[١٥]فَلَمَّا سَمِعَ ذلكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ قَالَ لَهُ: «طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزًا فِي مَلَكُوتِ اللهِ». [١٦]فَقَالَ لَهُ: «إِنْسَانٌ صَنَعَ عَشَاءً عَظِيمًا وَدَعَا كَثِيرِينَ، [١٧]وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ. [١٨]فَابْتَدَأَ الْجَمِيعُ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ. قَالَ لَهُ الأَوَّلُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ حَقْلاً، وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. [١٩]وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ، وَأَنَا مَاضٍ لأَمْتَحِنَهَا. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. [٢٠]وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ، فَلِذلكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ. [٢١]فَأَتَى ذلكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذلكَ. حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَقَالَ لِعَبْدِهِ: اخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا، وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدْعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ. [٢٢]فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا سَيِّدُ، قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ، وَيُوجَدُ أَيْضًا مَكَانٌ. [٢٣]فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي، [٢٤]لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أُولَئِكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي» (لو١٤: ١٥- ٢٤).

خلفية هذا المثل جاءت من حديث الرب عندما دعاه أحد رؤساء الفريسيين في السبت ومعه جمع لغرض واحد «لكي يراقبوه»، لأنهم عن عمد وضعوا أمامه «إنسان مُستَسقٍ» والاستسقاء ليس مرضًا، بقدر ما هو مظهر خارجي

لمرض داخلي في الكلى أو القلب، يجعل الإنسان يشرب ماء بكثرة، فيتألم لثقل جسده. والرب العليم بكل شيء علم أنهم يراقبونه: هل سيشفيه في السبت لكي يجدوا عليه عِلَّة. ورغم ذلك لبّى الرب يسوع الدعوة مع علمه بنواياهم. وهنا وجّه الرب للمراقبين سؤالاً: هل يحل الإبراء في السبت؟ فسكتوا، لأنه لا يوجد في الناموس ما يمنع فعل الخير في السبوت. وهنا أمسك الرب بالرجل «وأبرأه وأطلقه»، ولم يقدروا أن يجيبوه عن ذلك.

لكنه لاحظ أن هذا الفريسي الرئيس قد دعا عددًا من الفريسيين والناموسيين وأصحاب المراكز لهذا العشاء ولم يدعُ أحدًا من البسطاء أو عامة الشعب. كما لاحظ أيضًا أن المدعوين في كبرياء واضح يسعون للجلوس في المتكأ الأول، بحثًا عن الصدارة والظهور، ويقينًا لم يعطوا الرب القائم وسطهم مكانته. وهنا وجّه الرب كلامه للمدعوين الذين أظهروا الكبرياء وعدم التقدير وأعلن لهم: «كل مَن يرفع نفسه يتضع ومَن يضع نفسه يرتفع». ثم وجّه كلامه للداعي الذي دعا الأغنياء ومَن يقدرون أن يردوا الدعوة قائلاً: «إذا صنعت ضيافة. فادعُ: المساكين، الجدع، العرج، العمي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك، لأنك تُكافَى في قيامة الأبرار».

وكان هناك واحد من المتكئين أُعجب كلام الرب يسوع جدًا لا سيما عندما تكلَّم عن المكافأة في قيامة الأبرار. وباعتباره فريسيًا قال: «طوبى لمَن يأكل خبزًا في ملكوت الله»؛ أي يا لغبطة شعب الرب الذين لهم مكان في عشاء المسيَّا حين يأتي ويملك. فوجّه الرب كلامه له ولجميع الحاضرين ليعلن أن الله قدم الدعوة للمدعوين من شعبه أولاً، لكنّ كثيرين لم يقبلوا الدعوة، بل قدموا أعذارًا وعللاً لرفض الدعوة، فغضب الرب على المدعوين الرافضين لدعوته وأرسل دعوات سريعة لمَن هم من خارج في الشوارع والأزقة، ثم لمَن هم في الطرق والسياجات حتى امتلأ البيت.

«فقال له: إنسان صنع عشاء عظيمًا ودعا كثيرين»، يوجد تشابه بين هذا المثل ومثل عُرس ابن الملك المذكور في متى٢٢، حتى إن البعض صنفهما مثلاً واحدًا، لكن الحقيقة إن هناك اختلافات بين المثل الوارد في إنجيل متى

إنجيل المَلك وهنا. فهناك يبدأ المثل بالقول: «إنسانًا ملكًا صنع عُرسًا لابنه»، أما هنا في إنجيل لوقا إنجيل ابن الإنسان، فيبدأ المثل: «إنسان صنع عشاء عظيمًا»، كما إنه في إنجيل الملك يتكلَّم عن دعوة الملك وجنوده، وعن غضب الملك حتى إنه أحرق مدينتهم بالنار.

كما يتكلَّم هناك عن الإنسان الذي لم يكن لابسًا لباس العرس وما قاله الملك للخدام: «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية»، كما لا يفوتنا أن المثل المذكور في متى كان من أحد أمثال ملكوت السماوات وكان في الأسبوع الأخير من حياة الرب يسوع. أما هنا في مثل العشاء العظيم، فكان في تاريخ مبكر. فمن الواضح أن لكل من المثلين هدفًا مختلفًا.

والمثل هنا يسرد ببساطة تتفق والمأدبة التي أقامها رئيس الفريسيين والتي كان الغرض منها مراقبة السيد لاصطياده لمعرفتهم أنه لا بد أن يشفي المستسقي.

فقال: «إنسان صنع عشاء عظيمًا ودعا كثيرين»، نعم! عشاء عظيم لعظمة الداعي ولعظمة العشاء المقدم للمدعوين. وبعد أن أصبح العشاء جاهزًا «أرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين: تعالوا لأن كل شيء قد أُعد». وعليه، فليس على المدعوين إلا الحضور وقبول الدعوة، لهذا العشاء العظيم الذي لا حد لما أُعد فيه. ومن المفترض أن تُقبل الدعوة العظيمة لهذا العشاء العظيم الذي يشير إلى عمل الفداء العظيم الذي أُكمل فوق الصليب.

وكانت العادة في ذلك الوقت أن تُكتب دعوتان للحفل الواحد بينهما فترة تسمح بالاستعداد. الدعوة الأولى لإعلام المدعوين عن الحفل، ثم يليها دعوة ثانية بعد إتمام الترتيبات للحضور.

لكن آه على مَن قُدِّمت إليهم الدعوة وطريقة الاستعفاء التي عبرت عن جهلهم بالداعي والدعوة وقيمة العشاء العظيم وكُلفته!

«فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون» وابتدأوا في تقديم حجج الاستعفاء «قال الأول: اشتريت حقلاً وأنا مضطر أن أخرج وأنظره، أسألك أن تُعفيني». وواقع الأمر يقول إن مَن يشتري حقلاً يكون قد خرج مرارًا ونظر

إليه قبل أن يدفع ثمن الشراء، وعليه ليس مضطرًا أن يخرج لينظره **في ساعة العشاء**، إلا إنه باستعفائه أعلن أن أموره المادية الأرضية لها المرتبة الأولى في حياته عن قبول الدعوة والتمتع بالعشاء العظيم.

وهل وُجِّهت الدعوة لآخر؟ نعم، واعتذر كما اعتذر الأول، لكن لسبب آخر «فقال آخر إني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماض لأمتحنها. أسألك أن تُعفيني»، يا لك من كذَّاب! هل اشتريت أزواج البقر الخمسة ودفعت ثمن الشراء دون أن تمتحنها؟ هذا مستحيل! لكنه الانشغال بالتجارة والممتلكات التي لا تجعل للإنسان وقتًا أن يفكر في أموره الأبدية.

لكن هناك آخر قدم عذرًا غريبًا جدًا يكني عن أن الدعوة ليست لها القيمة السامية أو التقدير اللائق فقال: «آخر إني تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجيء»، ولماذا لا تحضرها معك لتشبع معك؟!

إنه عشاء عظيم وكل شيء أعد!! آه! إنها الانشغالات العائلية. وفي تكوين ١٢: ١ نرى القرابة الطبيعية حالت دون خضوع إبراهيم الكلي لدعوة الله في بادئ الأمر، حين قال له الرب: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك»، فالدعوة كانت «ليذهب إلى كنعان» (تك١١: ٣١). لكنهم أتوا إلى حاران. وأقاموا هناك. لماذا؟ لأجل تارح أبيه، لكنه لو كان يدرك ما أعده الله له في كنعان، لما تعوَّق في حاران. وهكذا هنا. فهذا الذي بعذر زواجه وزوجته لو أدرك قيمة الدعوة التي وجهت إليه لَمَا قال: «لا أقدر أن أجيء». نعم! الزواج مُكرَّم، لكن لا يجب أن يوضع قبل الرب ولا ينبغي للروابط العائلية والاجتماعية أن تأخذ المرتبة الأولى قبل الرب.

وعليه، فقد أظهر هؤلاء المدعوون عدم تقديرهم للدعوة والداعي.

فالدعوة قُدِّمت أولاً إلى خاصته، لا سيما قادة الشعب الذين عرفوه، لكن لم يقبلوه «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله». لقد رفض رجال الدين من قادة الشعب الدعوة، ففهمهم الخاطئ للنبوات ومحبتهم للظلمة أكثر من النور جعلهم يستعفون عن قبول الدعوة «أسألك أن تُعفيني». لماذا؟ لأجل الحقل.

فهم لا يريدون ترك الحقل وقبول الدعوة، فاستعفوا عن قبولها لكي يتمكنوا من امتلاك الحقل.

هذا ما فعله الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب. على أنهم في واقع الأمر لم يرفضوا الدعوة فقط ولم يخسروا الوليمة فقط، بل أساءوا إلى صاحب الدعوة «لكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرَّضوا الجموع .. يهلكوا يسوع» (مت٢٧: ٢٠).

والمثل هنا في لوقا ١٤ لا يصف المعاملة السيئة التي قُوبل بها مَن يقدمون الدعوة وكيف اُعتدي عليهم ولا عن عقاب المعتدين على رُسُل صاحب الدعوة ولا حرق مدينتهم. فكل هذا مذكور في متى٢٢ إنجيل الملك، أما هنا فلوقا يقدم لنا المسيح كابن الإنسان الممتلئ نعمة، لذا سيشير إلى اتساع مجال الدعوة وقبول المساكين والجدع والعرج والعمي لها.

«فأتى ذلك العبد وأخبر سيده بذلك. حينئذ غضب رب البيت، وقال لعبده: اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها، وادخل إلى هنا المساكين والجُدع والعُرج والعُمي».

لقد أعدَّ رب البيت كل شيء، ولا يمكن أن رفض الرافضين يعيق ترتيباته. «فقال لعبده: اخرج عاجلاً!»، إنها مأدبة عشاء ووليمة نعمة، لذا يجب افتداء الوقت والوصول إلى الشوارع وأزقة المدينة. فإن كان رجال الدين لبرهم الذاتي وسطوتهم على الحقل رفضوا الدعوة، فهناك «مساكين وجُدع وعُرج وعُمي» يحتاجون إلى مَن يحملهم ويعاونهم ويساعدهم ويشير عليهم بالحُلَّة الجديدة التي أعدها صاحب الدعوة لكل مَن يقبل وليمة النعمة.

ويلاحظ أن الوحي الإلهي لم يخبرنا هنا عن الشخص الذي دخل وليس عليه لباس العرس (مت٢٢: ١١)، يركز على المدعوين الذين قبلوا الدعوة بالنعمة وهم «مساكين وجُدع وعُرج وعُمي» وليس لديهم ثياب يفخرون بها فأتوا ليكتسوا وليشبعوا بما أعده صاحب الدعوة.

لقد جاء الرب يسوع المسيح إلى خاصته واختصهم بالدعوة التي لم يرسلها في بادئ الأمر، إلا لهم، لكنهم رفضوا وزلَّوُا، ومن رومية ١١: ١١

«بزلَّتهم صار الخلاص للأُمم لإغارتهم». فعندما أرسل الرب تلاميذه أولاً قال لهم: «إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى - أولاً- إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». ولكن بعد قيامته من الأموات، قال لهم: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر١٦: ١٥).

لقد كانت زلَّتهم واستعفاؤهم غنى للعالم. ويجب أن نفهم معنى «لإغارتهم». فالرب يريد أن يعلن أن زلتهم فتحت باب الخلاص للأمم، ليُعلن أن الله لم يرفض شعبه، بل من محبته لهم «أغارهم» بالأمم حتى يرجعوا إليه بالتوبة والإيمان. لذا في رومية ١١: ١٢ يكمل: «فإن كانت زلتهم غنى للعالم، ونقصانهم غنى للأمم، فكم بالحري ملؤهم؟».

لقد وصلت الدعوة إلى «شوارع المدينة وأزقتها» وقبلها كثيرون من «المساكين والجُدع والعُرج والعُمي. فقال العبد: يا سيِّد، قد صار كما أمرت، ويوجد أيضًا مكان». ويقيناً أيضًا أن هناك كثيرين من «المساكين والجُدع والعُرج والعُمي» رفضوا الدعوة التي وجهت إليهم ولم يقبلوها وبروح لامبالاة أو فتور أو فشل أو رضا عن النفس استعفوا عن الدعوة، كما نرى في اللاودكيين (رؤ٣: ١٧) ولم يشعروا بحاجتهم إلى الواقف على الباب يقرع. وهذا ما جعل العبد يُخبر السيِّد أن هناك أماكن كثيرة ما زالت شاغرة «فقال العبد: يا سيد، قد صار كما أمرت، ويوجد أيضًا مكان». ألا تلاحظ معي نشاط هذا العبد وتشبُّعه من روح سيِّده؟ لقد فعل كان ما أمره سيِّده ويا لغبطة كل خادم يقدر أن يقول: «قد صار كما أمرت»، ثم يقول لسيده ولكن «يوجد أيضًا مكان»! وكأنه يضع نفسه بين يدي سيده ليستخدمه ويرسله مرة أخرى لشغفه أن يمتلئ المكان لمَن يقدر قيمة الدعوة وعظمة العشاء المعد.

لكن كيف ما زال يوجد مكان برغم انتشار الدعوة؟ الإجابة واضحة من قول الرب في يوحنا ١٤: ٢ «في بيت أبي منازل كثيرة». وبيت الآب ليس هو الفردوس، فهناك فرق بين الفردوس الذي هو مقر تلاقي وراحة أرواح الأبرار بعد انطلاقها من الأجساد وبين بيت الآب الذي هو مآل القديسين بعد

قيامتهم بالأجساد الممجدة. ولقد سبق كثيرون شخص الرب يسوع بأرواحهم إلى الفردوس، أما هو فسبق الكل إلى بيت الآب بجسده المُقام ودخل كسابق لأجلنا ولهذا، فبعدما أعدَّنا للمكان بموته على الصليب، أعدَّ المكان لنا بدخوله وصار لنا حق الدخول إلى بيت الآب كسُكنَى دائمة مستدل عليه من قوله: «منازل»، فنحن هنا غُرباء ونُزلاء وكل مَن قبل الدعوة وتجاوب معها يدرك أنه غريب في هذا العالم يتبع مسيحًا مرفوضًا، وهو – له كل المجد – لم يدعنا أن نخرج من أرض إلى أرض، بل من الأرض إلى المجد. ووجود أماكن يدعو أن نقدم الدعوة حتى يمتلئ المكان.

فالسيِّد هنا يطلب جهدًا مضاعفًا للوصول إلى «الطرق والسياجات» التي تشير إلى فئات لا يحلو التعامل معها، مثل عُتاة الإجرام أو المتزمتين رافضي المسيح أو خدمات السجون ومَن وُضِعوا في سياجات أو المدمنين في المصحَّات وغيرهم. وعندما نقوم نحن بالخدمات الشاقة ونذهب إلى **الطرق والسياجات** نكون قدوة لمَن بعدنا **حتى يمتلئ المكان**. ولنا من يوثام ابن جدعون مثال حين فَخرَ بأبيه وقال: «أبي قد حارب عنكم وخاطر بنفسه» (قض٩: ١٧)، لأن جدعون بالفعل قد خاطر بنفسه حين هدم مذبح البعل. وماذا عن رجال داود الثلاثة الذين «خاطروا بأنفسهم» (٢صم٢٣: ١٧) لتتميم رغبة داود؟! وفي العهد الجديد نرى «أبفرودتس» (في٢: ٣٠)، الذي «من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطرًا بنفسه».

والدعوة لنا الآن لاسيما لأن الوقت يقرب «اخرج إلى الطرق والسياجات». فهناك فئات لم يصل لها الحق الكتابي لأن كثيرين لا يجرؤن على المخاطرة والخوض في هذه الطرق.

لكن ماذا عن «ألزمهم بالدخول»؟ هل نحن مدعوون لإجبار هذه الفئات بالسلاح أو بالإغراءات المادية ليدخلوا؟ كلا! بل هي المثابرة في الخدمة والصلاة وسكب القلب للرب لأجل المخدومين، والكرازة والإقناع بقوة الروح القدس، فنقنع الناس. فالخدمة ليست مجرد إلقاء كلمات وعظ، لكن شعور بالمسؤولية تجاه النفوس أمام الرب وهذا معنى ما جاء في ٢كورنثوس٥:

١١) «فإذ نحن عالمون مخافة الرب نُقنع الناس». نقنعهم أنهم مثلنا خطاة يستوجبون الهلاك كما نحن، لكن الرب يسوع المسيح مات لأجلهم ووفّى عنهم الدين بالكامل والدعوة مقدمة لهم مجاناً وعليهم أن يقبلوها كما قبلناها نحن وتغير حالنا ومصيرنا.

لكن ماذا قال السيِّد عن الذين رفضوا الدعوة واستعفوا؟ قال: «لأني أقول لكم: إنه ليس واحدٌ من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي». لقد رفضوا الدعوة وخسروا الوليمة وأساءوا لصاحب الدعوة واحتقروا عشاء النعمة العظيم، لذا سيكونون طعامًا لطيور السماء في عشاء الإله العظيم «ورأيت ملاكًا واحدًا واقفًا في الشمس: فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء: هلُمَّ اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم، لكي تأكلي لحوم ملوك، ولحوم قواد، ولحوم أقوياء ...» (رؤ١٩: ١٧، ١٨). لقد رفضوا الدعوة إلى العشاء وهم على الأرض، يصفهم الكتاب بالرجال المدعوين، وهم رجال ومسؤولون عن قراراتهم ورفضهم، فتحملوا النتيجة المُرة وأصبحوا هم عشاء الإله العظيم.

مَثَل الدرهم المفقود

(لو ١٥: ٨-١٠)

«أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَمًا وَاحِدًا، أَلاَ تُوقِدُ سِرَاجًا وَتَكْنُسُ الْبَيْتَ وَتُفَتِّشُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟ [٩] وَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً: افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ. [١٠] هكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لو١٥: ٨- ١٠).

رأينا في مثل الخروف الضال عناء الراعي الصالح في بحثه عن خروفه الشارد، بعيدًا في البرية يعاني ويواجه الأخطار والشباك، وكيف وصل الراعي إلى حيثما وصل خروفه وحين وجده رفعه من وحله وإن كان به كسر، جبره وإن كان به جُرح، عصبه، ثم وضعه على منكبيه وعاد به فرحًا كل الطريق وهو محمول على كتفيه إلى أن وصل به إلى البيت.

أما هنا في مثل الدرهم المفقود، فسنجد أن الدرهم فُقد داخل البيت وقد علاه التراب في البيت وسنرى النعمة التي طلبت وفتشت عن الضال هي نفسها النعمة التي توقد سراجًا لتبحث عن من في البيت، لكنه لا يرى النور لتوقظه من غفلته ونعاسه ليختبر الفرح.

فإن كنا رأينا في مثل الخروف الضال الرب يسوع الذي تجسّد وجاء إلى أرضنا وقُبر وقام وأقامنا معه. فهنا سنرى الروح القدس الذي أُرسل من السماء بعد إتمام الفداء للبحث عن الضال.

فهنا سنرى خاطئًا، لكنه في البيت، لم يته بعيدًا كالخروف الضال ولم يترك البيت كالابن الضال، لكنه بلا حياة، برغم إنه داخل البيت. ويجب أن نتذكر أن أول الأصحاح (لو١٥) عندما قدم الرب الأمثال الثلاثة كان بناء على تذمر الفريسيين والكتبة من أن الرب يقبل خطاة ويأكل معهم، فالرب أعلن لهم النعمة التي تتجه للخطاة وعن المحبة الإلهية العجيبة التي تستردهم. فبعد مثل الخروف الضال، قال لهم مثلاً آخر.

«أيَّة امرأة لها عشرة دراهم، إن أضاعت درهمًا واحدًا، ألا توقد سراجًا وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده؟».

في هذا المثل يصوِّر لنا الرب يسوع تضحيات النعمة في صورة امرأة اكتشفت فقدانها لشيء غال ثمين، مع أن لها تسعة آخرين، لكن لا تهدأ بل تقوم بثلاث خطوات تاعبة للبحث عما فُقد في البيت وعن أسباب فقدانه: أولاً: توقد سراجًا، ثانيًا: تكنس البيت، ثالثًا: تفتش باجتهاد ولا تعطي راحة لنفسها حتى تجده.

هكذا الحال أيضًا مع الروح القدس. إنه يهتم ويجاهد في إيقاظ ضمائر الخطاة، فإن الخطوة الأولى هنا التي قامت بها المرأة المشار إليها بعمل الروح القدس هي توقد سراجًا في البيت. فالسراج في البيت، لكنه لم يكن مضيئًا، والسراج هو الكلمة «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز١١٩: ١٠٥). فالكتاب في كل بيت، لكن إن لم يكن يُقرأ، فهو لا يشع نورًا. لذا الروح القدس يعلن لنا هنا هدف الرب من وجود كلمته بيننا وإن تكون سراجًا يقودنا. فكلمة الله ليست فقط نورًا يسر العيون للناظرين، لكنها نورًا ينير خفايا قلوبنا ليرشدنا في الطريق الصحيح. فالعالم من حولنا مظلم، لذا لا يجب أن نخاطر ونسير فيه بدون كلمة الله حتى لا نسير في الظلام، فالذي يسير الظلام لا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه.

لكن كيف يُضاء السراج؟ بالزيت الذي هو إشارة لعمل الروح القدس بالكلمة لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله (١كو٢: ١٤). فهو الذي يفتح لنا كنوز كلمة الله لنتمتع ونفرح بها، بل ويرشدنا أيضًا إلى كل الحق (يو١٦:

١٣)، «فالوصية مصباح والشريعة نور» (أم٦: ٢٣) والمصباح لا يضيء إلا بزيت الروح، وزيت الروح يجعل سراج الكلمة يرسل نوره إلى أسود خفايا القلب، فيوبخ الضمائر. والرب في يوحنا ٦: ٦٣ أعلن لنا عن روح الله وكلمة الله وكيف يعملان معًا: «الروح هو الذي يحيي ... الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة». فالأُقنوم الإلهي العامل هو الروح القدس والوسيلة المستخدمة هي كلمة الله، فكلمة الله ليست مصدر الولادة من الله، بل وسيلة الولادة إذا ما اُستخدمت بالروح القدس.

لكن ماذا يحدث بعدما يُوقد السراج؟ ماذا فعلت المرأة؟ «تكنس البيت» لتزيح كل ما تراكمَ من أتربة. برغم إنها ذرّت الغبار الصغير، لكن في تجمعها حجبت الرؤيا وغطت الدرهم واستحال أن يرى النور. وفي نحميا ٤: ١٠ نرى أن هناك مَن يأخذون مراكز قيادية بين شعب الله ومع ذلك فهم يضعون معوقات للبناء. لقد نظر أمراء يهوذا للواقع وأعلنوا أن «التراب كثير نحن لا نقدر أن نبني السور»، نعم إنها حقيقة واضحة «التراب كثير»، لكن الاستنتاج: نحن لا نقدر، غير صحيح، فالمكنسة تزيل الأتربة بعدما نراها في ضوء السراج الموقد.

والحقيقة إن ما فعله أُمراء يهوذا، يفعله كثيرون الآن حين يرون البيت مملوء بالأتربة «التراب كثير»، فيتعايشون مع الواقع، دون محاولة كنس البيت ويتركون «الدرهم المفقود»، قانعين أنه طالما هو في البيت فلنتركه وإن غطَّاه التراب. لكن كما كان في أيام نحميا هناك «حمَّالون» حاملو الأحمال، حملوا الأتربة إلى خارج وبُني السور وأُقيمت الأبواب، هكذا في أيامنا هناك أمناء لا يقبلون بأتربة في البيت وينادون بكنس البيت والبحث عن المفقودين به.

وهنا لنا كلمة، للآباء والأمهات: فالعالم يذري التراب على أولادنا، سواء عن طريق أصدقاء أو اختلاط بالمدارس أو ما تلقيه الأجهزة المرئية والمسموعة عليهم، لذا علينا أن نربيهم في الخضوع للرب ولكلمته، فالأبوان التقيان عليهما أن يُربِّيَا أولادهما في خوف الرب وإنذاره وأن يداومَا على

غسل الأجل في البيت يوميًا لمحي أي أثر لأتربة العالم عليهم. ومواظبتنا نحن كآباء وأُمهات على غسل أرجلنا، فإذا رأى الأولاد فينا آباء عائشين للمسيح ونرتب أولوياتنا ونلجأ لكلمة الله لمعرفة فكر الرب وطلب المعونة والإرشاد، يتعلَّمون كيف يغتسلون مما يذريه عليهم العالم من أتربة وغبار.

وإن كان الرب يدعو أورشليم في إشعياء ٥٢: ٢ «انتفضي من التراب قومي اجلسي يا أورشليم. انحلِّي من رُبط عنقك»، فالدعوة الآن لكل مَن في البيت روحيًا: "انتفض من التراب". السراج مُوقد والحق أُعلن لنا، فلماذا لا تأتي إليه، ليحلك من رُبط عنقك ويعتقك ويُحرِّرك من الخطية ويُلبسك ثياب الخلاص ورداء البر؟

إن الروح القدس لا يكتفي أن يوقد السراج ويكنس البيت، لكنه أيضًا يفتش عليك، فالمرأة هنا «تفتش باجتهاد» عن الدرهم المفقود «حتى تجده»، فهي لا تستريح، بل تهتم باجتهاد في إيقاظ الخاطئ من غفلته واستراحته على دردیه (إر٤٨: ١١).

«وإذا وجدته» ماذا تفعل؟ «تدعو الصديقات والجارات قائلة: افرحنَ معي لأن وجدت الدرهم الذي أضعته». إنها فرحة وتريد أن تشاركها الصديقات والجارات فرحتها. فالروح القدس يصور لنا أفراح الخلاص في السماء، فإن كنا في المثل الأول «مثل الخروف الضال» رأينا قلب الراعي فرحًا داعيًا الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: «افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال». فإننا هنا نرى أقنوم الروح القدس وفرحته برجوع الخاطئ وتوبته. فالأصدقاء والجيران يمثلون كل مَن كان يصلِّي لأجل عودة الخروف، أو كل مَن كان يشعر مشاعر الراعي لفقده له، وكل مَن كان يدرك ما قد يواجه الخروف في بعده، لذا نراهم يشاركون في أفراح عودته، بل وأيضًا هنا نرى أيضًا فرحة الملائكة برجوع الخاطئ وتوبته «هكذا أقول لكم: يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب». نعم الملائكة تفرح بفرح الراجع. وكما سنرى في المثل التالي «مثل الابن الضال» سنرى قلب الآب ومحبته وفرحته برجوع الضال.

من الطبيعي أن يفرح الخاطئ برجوعه، ففي أعمال ١٦: ١٤ نرى السجان وقد غمره الفرح بعد الإيمان، حتى إنه «تهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله». فالفرح قد امتد إلى البيت وتهلل الجميع وكذلك زكا «أسرع ونزل وقبله فرحًا» (لو١٩: ٦) ، وفي أعمال ٨: ٢٧ الخصي الحبشي «ذهب في طريقه فرحًا»، وفي أعمال٢: ٤١ كل الذين خلصوا يوم الخمسين اختبروا الفرح «قبلوا كلامه – كلام بطرس– بفرح». والذين آمنوا في السامرة «وكان فرح عظيم في تلك المدينة» (أع٨: ١٢)، فالفرح يغمر قلب كل خاطئ بعدما يقبل الرب مخلصًا وفاديًا، نعم كل هذا من الطبيعي. لكن العجب أن السماء أيضًا يغمرها الفرح بعودة الضال والمفقود الشارد.

وإن كنا رأينا في الراعي هو الذي يبحث عن الخروف لأن أمره يهمه، بينما الخروف لم يتخذ خطوة واحدة في طريق العودة، وإن حاول فهو شرود لا يعرف كيف يرجع. هنا نرى المرأة كذلك هي التي تبحث عن الدرهم المستريح بين العفرة والأوساخ، لكن المرأة هي التي جاهدت في خوف على درهما المفقود كصورة للروح القدس الذي يجاهد بحثًا عن الشارد والتائه. فالدرهم غطَّاه القذر والأتربة ودِيسَ بأقدام كصورة لما تفعله الخطية من سلب لكرامة الخاطئ تدريجيًا. وهو لا يدري، فلا الخروف ولا الدرهم عملا شيئًا للرجوع، لكن المحبة الباذلة للراعي والنعمة الغافرة هي التي عملت كل شيء.

فيا ليت كل نفس حتى الآن لم تختبر الفرح الحقيقي الذي يهبه الرب للخاطئ عند توبته ورجوعه تأتي إليه وتتجاوب مع معاملات الروح القدس، الذي يفتش باجتهاد عليها وتُنخس وترجع لتستمتع بالغفران وتختبر الفرح الحقيقي.

مَثَل الابن الضال

(لو ١٥:١١-٣٢)

«[١١]وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَان. [١٢]فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيه: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَال. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. [١٣]وَبَعْدَ أَيَّام لَيْسَتْ بِكَثِيرَة جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْء وَسَافَرَ إِلَى كُورَة بَعِيدَة، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْش مُسْرف. [١٤]فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْء، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَة، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. [١٥]فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِد مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَة، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِه لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. [١٦]وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوب الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِه أَحَدٌ. [١٧]فَرَجَعَ إِلَى نَفْسه وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِير لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! [١٨]أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، [١٩]وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اجْعَلْنِي كَأَحَد أَجْرَاكَ. [٢٠]فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيه. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِه وَقَبَّلَهُ. [٢١]فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. [٢٢]فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيده: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِه، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْه، [٢٣]وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، [٢٤]لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. [٢٥]وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْل. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْت، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. [٢٦]فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ

هذَا؟ [٢٧]فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. [٢٨]فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. [٢٩]فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. [٣٠]وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ! [٣١]فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. [٣٢]وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ» (لو١٥: ١١- ٣٢).

هذا هو المثل الثالث من أمثال النعمة الثلاثة الواردة في لوقا ١٥ والتي تصور لنا الخاطئ في ثلاث صور: **خروف ضال، درهم مفقود، ابن ضال.** وقد رأينا في مثل الخروف الضال ابن الله يسعى إثر الخاطئ الهالك «حتى يجده» وعندما وجده وضعه على منكبيه فرحًا ولم يتركه في البرية، بل حمله على منكبيه حتى وصل به إلى بيته. ثم في المثل الأوسط مثل الدرهم المفقود رأينا عمل الروح القدس في كنس البيت لنفض الغبار وإيقاظ ضمير الخاطئ التائه في البيت. أما هنا في مثل الابن الضال سنرى قلب الله الآب وفرحه بعودة من أخذ خيرات أبيه وارتحل إلى كورة بعيدة. فهذا المثل يصور لنا قلب الإنسان الطبيعي الذي يسعى صوب الحرية والاستقلال عن الله. كما يصور لنا قلب الله لاسترداده.

ففي الأمثال الثلاثة نرى الثالوث الأقدس بأقانيمه، الابن، والروح القدس، والآب.

وما أروع أن نتأمل في هذا الترتيب البديع الذي نرى فيه الله في مثلث أقانيمه في وحدة من أجل خلاص الخطاة. الابن أولاً نزل إلى حيثما أوصلتنا خطايانا وقام وأقامنا معه «أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥)، ثم أرسل لنا الروح القدس لكي يعلن لنا أمجاد هذه النعمة ويفتش باجتهاد وينفض الغبار ويسترد المفقود ويوقظ ضمير الضال ويأتي به إلى الآب الذي يقبله فرحًا، كما نرى بيت الآب والملائكة تشارك في الأفراح.

«إنسان كان له ابنان». واضح أن هذا الإنسان كان غنيًا: عنده أجـرَى (ع١٩) وعبيد (ع٢٠) وعجول مسمنة (ع٢٣) وحقول (ع٢٥)، بل وأنه كان يحسن معاملة الأجير، فكانون يأكلون ويفضل عنهم الخبز.

لكن الابن الأصغر تصور أن أباه يقف بينه وبين السعادة وحيـاة البـذخ والترف وبإرادة عاصية متمردة لا تعرف قلب الأب ومحبته، أراد أن يبحث عن اللذة بعيدًا عن عين أبيه، فراودته فكرة أن يذهب إلى أبيه ويطلب منـه حقه فيه. «فقال أصغرهما لأبيه: يا أبي أعطني القسم الذي يـصيبني مـن المال». أ ليس هذا الطلب هو ما أشار إليه يعقوب في رسـالته (يـع٤: ٣) «لأنكم تطلبون رديًا لكي تنفقوا في لذاتكم»؟ إن طلب هذا الابن مـن أبيـه كشف لنا قلب هذا الابن المتمرد، إنه يريد أن ينفق مال أبيه على ملذاته، يريد أن يعيش بعيدًا عن عيون أبيه، يريد أن يستقل عنه.

والسؤال: ماذا كان رد فعل الأب على إرادة الابن العاصية؟ لقد أعطـاه حريته في اختياره «فقسم لهما معيشته». ويلاحظ أن الابن الأصغر لم يترك البيت بمجرد أن أخذ نصيبه، بل جلس في بيت أبيه بعدما وضع مال أبيه في جيبه! وكان يأكل ويشرب في البيت، كما كان حاله الأول، والأب لم يطرده، بل تركه يستمتع بكل ما له، ربما كان الابن يأمر الخدم بما يريـد أن يأكـل اليوم والأب يسأل عن هذا الطعام ولمن ويعرف أنه لابنه ولا يمـانع، لعـل الابن يراجع نفسه. لكن «وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصـغر كـل شيء وسافر إلى كورة بعيدة». آه! لقد جلس يجمع كل شيء له فـي بيـت أبيه، ويقينًا كل ما جمعه كان أبوه قد جلبه له، لكنه بكل جحود أخذ مال أبيه وأخذ ما جلبه له أبوه أو أفخر ما جلبه له أبوه «وسافر إلى كورة بعيدة»، أي أعطى ظهره لأبيه وبيته. إنه يشبه قايين في فعلته «فخرج قايين مـن لـدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن». إن قايين لم يستفد من طول أنـاة الرب الذي بدد خوفه من أن يقتله كل من وجده، بل أعطاه علامـة لكـي لا يقتله أحد، وهنا الابن الأصغر لم يستفد من طول أناة أبيه الذي تركـه فـي البيت يأكل ويشرب، بعدما صدر منه ما صدر وبكل جفاء أعطـى ظهـره

لأبيه. وكما سكن قايين أرض نود، بعدما خرج من لدن الرب، ونود تعني «تيهان»، هنا ذهب هذا الولد إلى «كورة بعيدة»، حتى لا يراقبه أبوه. لقد سلك طريقًا بدا أمامه مستقيمًا، والحكيم في أمثال١٤: ١٢ يعلن أنه «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت». وهذا ما حدث مع هذا الابن، عندما شعر أن استمراره في هذا الطريق سيهلكه، فقال: «أنا أهلك جوعًا»، والحقيقة إن هذا مصير كل من يرفض الرب يسوع كالطريق ويسلك في طرق قلبه وبمرأى عينيه (جا١١: ١٠).

لكن ماذا فعل الابن الأصغر في الكورة البعيدة؟ «هناك بذّر ماله بعيش مسرف»، لأنه لا يعمل، بل يبذر ماله مع المسرفين أمثاله ولم ينتبه أن المال «يصنع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحو السماء» (أم ٢٣: ٤). وما طار لا يمكن اللحاق به وهذا ما حدث مع هذا المسكين «أنفق كل شيء»، في حياة الترف والبذخ وفجأة بعدما «أنفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة»، ربما قال في نفسه: ما أتعسني! لو كان المال معي وحدث هذا الجوع ما كنت شعرت به ولكن أن يحدث هذا الجوع الشديد وأنا ليس معي شيء، فهذا هو الحظ السيئ! لكن ماذا سيفعل والجوع شديد وهو ليس لديه مال؟، فقد أنفق كل شيء لأنه عوضًا عن أن يحول نظره إلى أبيه، نراه يعشم في غد مشرق في الكورة البعيدة ويسأل عن عمل إلى أن تتيسر الأمور، ربما ذهب إلى أحد أصدقائه الذين بذر ماله معهم بعيش مسرف، فأرشدوه إلى أحدهم، عنده حقول لمراعي خنازير «فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير»، وما أحقرها مهنة يبغضها اليهودي لا سيما إن كان مثل هذا الابن الذي لأب ثري، فهي من أحط المهن وأدناها. آه! لقد بدأ حياته في الكورة البعيدة مع المسرفين والآن سيكملها مع الخنازير، لأن الجوع شديد فصاحب حقل الخنازير كان يعطي الخرنوب بالعدد، دون إسراف حتى إن هذا الابن «كان يشتهي أن يملأ بطنه من الخُرنوب الذي كانت الخنازير تأكله فلم يعطه أحد». آه! ما أدنى ما وصل إليه هذا الابن الصغر! هل تريد أن تأكل قرون الخُرنوب الذي لتسمين

الخنازير؟! نعم الفقراء في البيادي كانوا يأكلونه أحيانًا إذا ما حدث جفاف، أما أن يأكل هذا اليهودي كريم الأصل، فهذا يعني أنه وصل إلى أدنى مستوى معيشي! لكن بطنه فارغة وليس معه مال، لذا يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب، لكن حتى هذه الشهوة كانت لا يمكن له تحقيقها، فلم يعطه أحد. وهذا ما يفعله الشيطان بأتباعه. فمن يجلس على مائدة القمار يسانده أصحابه في بادئ الأمر، إلى أن يدمن القمار، فيتركونه عندما يفرغ جيبه ويبدأ يحتاج ويتعاطى. ومَن يشرب الخمر حين يفقد وعيه يطرده صاحب الحانة الذي أخذ ما كان معه، فيستيقظ منها ليقول: «ضربوني ولم يتوجع لقد لكأوني ولم أعرف» (أم٢٣: ٣٥). لقد ذهبت الكرامة وذهب المال وذهبت السمعة، فـ «للعلوقة بنتان: هات، هات!» (أم٣٠: ١٥). العالم لا يعطي، بل يأخذ ويأخذ وإذا أعطى يعطي لكي يأخذ ليصل الحال لما وصل إليه هذا الابن الذي حتى خرنوب الخنازير أصبح له شهوة!!

«فرجع إلى نفسه»، ومجدًا للرب! إنه رجع إلى نفسه قبل أن يهلك جوعًا. وفي لوقا ١٦ نرى رجلاً غنيًا رجع إلى نفسه وندم، لكن بعد فوات الأوان وهو في موضع العذاب وهناك طلب الرحمة، لكن بعدما فات زمانها. وفي إرميا ٨: ٢٠ صرخة مرة لزمرة من الناس لم ترجع إلى نفسها إلى أن فات الأوان وبعد فوات الأوان كانت الصرخة: «مضى الحصاد انتهى الصيف ونحن لم نخلص». لقد انتهى وقت الحصاد وجُمعَت الحنطة إلى المخزن وأتى وقت الشدة والضيق والثلج وهناك الحكم بلا رحمة. هناك وقت مناسب يجب الاستفادة منه والرجوع إلى النفس شعر به الابن هنا وشكرًا للرب! إنه رجع إلى نفسه «فرجع إلى نفسه وقال: كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعًا!». إنه لم يقارن حاله وحالته بحال أخيه الأكبر أو حتى بحاله وهو في بيت أبيه، بل قارن حاله بالأجرَى في بيت أبيه ووجدهم أفضل، فهم لا يأكلون كسرًا، بل «يفضل عنهم الخبز»، أي يأكلون ويشعبون ويفضل عنهم، أما هو فحتى الخرنوب لا يقدر أن يملأ بطنه منه. وهنا وبعد أن «رجع إلى نفسه»، قرّر أن يرجع إلى أبيه في توبة حقيقية،

معترفًا بأنه أخطأ. وأخذ القرار: «أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا بعد أن أدعى لك ابنًا». إنه قرّر العودة إلى حضن أبيه كما هو، برث ملابسه وقذرها ورائحة الخنازير الكريهة بها. إنه لم يكن يفكر في التأجيل، حتى يوفر ثمن ثوب أفضل أو حتى بعض الوقت ليغتسل أو يصلح حاله. وهذا ما فعله بارتيماوس الأعمى وهو الوحيد من العميان بالكتاب الذي ذُكر لنا اسمه (لو١٨: ٣٥- ٤٣)، سمع بارتيماوس أصواتًا وسأل وعرف أن يسوع الناصري مجتاز، فأراد أن يغتنم الفرصة، فصرخ طالبًا الرحمة، لكنّ المتقدمين انتهروه، لكنه كان مصرًا ألا تفوته الفرصة، فصرخ أكثر كثيرًا وهذه حقيقة لأن الرب كان في طريقه للصليب. فبارتيماوس لم يؤجل، لذا نال ما أراد.

لقد قرّر الابن «أقوم وأذهب إلى أبي» وهنا مع خطوات تبدأ بقرار «أقوم» لقد سقطت، لكن «إذا سقطت أقوم» (مي٧: ٨). ولن أقوم وأقف مكاني، لكن لا بد من أن أغادر هذا المكان «أقوم وأذهب»، لكن لن أذهب للبحث عن عمل في مكان آخر، ولن أعيش بعد في الكورة البعيدة. بل قد حددت المكان الذي سأذهب إليه «أذهب إلى أبي»، لن أذهب إلى أخي الأكبر ليتوسط لي، فأنا ابن . لن أذهب لشخص قريب من أبي ليأخذ بيدي ويوصلني لأبي، بل سأذهب وكما أنا لأبي وسأتحدث معه «وأقول له: يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا أن أدعى لك ابنًا». هذه هي التوبة الحقيقية والشعور بأن ما ارتكبه من قرارات أو أفعال كان إهانة لأبيه. نعم فكاتب سفر الأمثال أعلن لنا: «صاحب المسرفين يخجل أباه» (أم٢٨: ٧). لكن ما أعلن في باقي أقواله يثبت فهمه الخاطئ لأبيه حين قال: «اجعلني كأحد أجرَاك»، ماذا؟ هل تريد أن تحيا في بيت أبيك كأجير وأنت الابن؟! لأنك لا تعرف حتى الآن قلب أبيك، لكن عودتك له ستكشف لك ما في قلب أبيك من حب وسترى غنى النعمة المعدة لك، فهذا الابن لم يفكر في محبة أبيه، لأنه لم يكن قد جاء إليه حتى حين قرّر العودة وكان يظن أنه سيفقد مقامه كالابن وكان يكفيه أن يأكل خبز بيت أبيه الذي يعلم عنه أنه

سخي مع الأجرَى. فحتى رجوعه لم يكن شوقًا لأبيه، لكن استقبال أبيه لـه سيغيّر فكره بالمرة وسيعرف قلب الأب وحبه وسيأخذ دون استحقاق كل مـا في قلب أبيه له.

«فقام وجاء إلى أبيه»، إنه لم يتراجع بعدما أخذ القرار «أقوم وأذهب إلى أبي»، فذهب «وإذ كان لم يزل بعيدًا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله»، يا لها من صورة رائعة للفرح الذي يملأ قلب الآب في السماء حـين يرجع الضال إليه من الكورة البعيدة! لقد ركض الأب بمجرد أن رأى الابن من بعيد، حنّت أحشاء الأب على ابنه وكأنه أراد أن يقول له: يكفي ما ضاع من عمرك بعيدًا عني، سأعوضك عما أفسدته يدك وأتلفته في نفـسك، فأنـا أراقب رجوعك وسأمسح دموعك. والابن في خجل لم نقرأ أنه ركـض أو حتى قبّل أباه، لكن الأب «ركض ووقع على عنقه وقبله» غمـره بـالقبلات رغم ثيابه الرثة ورغم رائحة الخنازير القذرة ورغم مظهره المخزي. لقـد أُسترد الابن ولسوف يرى ما هو قلب الأب حقًا.

وهنا خجل الابن من حفاوة لقاء أبيه له وأراد أن يقول الأقوال التي رتبها قبل أن يقولها لأبيه: «يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا بعـد أدعى لك ابنا اجعلني كأحد أجرَاك»، فهل قال كل هذا؟ كلا! . لقد علّمه أبوه درسًا رائعًا أن الابن لا يمكن أن يصير أجيرًا. الابن ابنٌ ووارثٌ حتى وإن بدّد مال أبيه، حتى وإن تصرّف خطأ. قد يؤدَّب، لكن بنوته محفوظة له، ما أن يعود لأبيه إلا ويَسترد كل ما كان له، بل وأكثر. لذا لم يسمح له الأب أن يقول: «اجعلني كأحد أجرَاك» وكأنه وضع يده لسد فم ابنه، ناهيًا: لا تقلهـا! أنت ابن وستأخذ كل ما لك بالنعمة. «فقال له الابن يا أبـي أخطـأت إلـى السماء وقدامك ولست مستحقًا أن أُدعى لك ابنًا»، ولم يقل: «اجعلني كأحـد أجراك». لقد اعترف بعدم استحقاقه واعترف بخطئه، لكنَّ أباه أعطاه كرامة الابن ولم يسمح له أن يقول عن نفسه أجيرًا. فالأجير يبذل جهدًا ليحـصل على أجر. وصاحب البيت يعطي الأجير أجره لكي لا يكون مديونًا لمَن قدم له العمل. لأن الأجير يعتبر مدانًا لصاحب العمل أو رب البيت حتى يأخـذ

أجرته منه. «أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة، بل على سبيل دين» (رو٤: ٤).

فإن أراد الابن هذه المعاملة، فكأنه رفض أن ينال شيئًا من أبيه مجانًا على سبيل النعمة. وكم من أشخاص دون فهم يسلكون هذا السبيل ويريدون أن يحصلوا على التبرير والخلاص عن طريق الأعمال ونسوا أن «الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله»! فقط المطلوب اقتناعي بعجزي وفقري وفسادي وعدم نفعي، ثم أصرخ إلى الرب: «ارحمني أنا الخاطئ»، ألتفت إليه وأثق في كفاية عمله وسأنال كل شيء على حساب النعمة. فمبدأ التبرير بالإيمان ومبدأ الخلاص بالأعمال مبدأن متناقضان، أما أن أكون ابنًا أم أجيرًا.

ثم نأتي لأول كلام الأب: «فقال الأب لعبيده: أخرجوا الحلَّة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتمًا في يده وحذاء في رجليه وقدموا العجل المسمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح لأن ابني هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد فابتدأوا يفرحون». لقد أمسك الأب بيد ابنه وأتى به إليه ودخل البيت بثيابه القذرة ورائحته العفنة التي لم تمنع ترحيب الأب به وتقبيله له وتقديمه مرة أخرى لمن حوله: «ابني هذا»، فهو لم يخجل منه، لكن لن يتركه على حاله، بل سيلبسه ثيابًا لائقة ببيت أبيه وسيخلع الحذاء القديم، الذي يشير للسلوك القديم ويرتدي الحذاء الجديد. فأصدر الأب أوامره: «اجعلوا خاتمًا في يده وحذاء في رجليه»، فإن كان الحذاء يشير للسلوك الجديد، فإن الخاتم يشير للسلطان، فإن هذا الابن عاد ليس كأجير، بل صاحب سلطان، يصدر أوامره وتختم أوامره بالاسم المنقوش على خاتمه، مثلما حدث مع يوسف (تك٤١: ٤٢)، حين جعل فرعون خاتمه في يده، كل هذا قبل أن يجلس على المائدة مع أبيه الذي أعلن بفرح أن ابنه «فكان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوُجد». وهنا تعلّم الابن أنه في بعده عن أبيه لم يكن هالكًا جوعًا فقد قال: «أنا أهلك جوعًا»، ولكن أدرك أنه كان ميتًا وكان ضالاً وبعودته لأبيه أخذ حياة جديدة.

وبالفعل اهتم كل من البيت بالابن الراجع وكان لهم امتياز أن يشاركوا

الأب مسرته بعودة الضال حتى قيل: «فابتدأوا يفرحون» وحتى نهاية القصة لم تنتهِ الأفراح.

ولكن ماذا عن الابن الآخر؟

لقد كان في الحقل «وكان الابن الأكبر في الحقل. فلما جاء وقرب من البيت سمع صوت آلات طرب ورقصًا». إن صوت أفراح الأب بعودة الضال لا يُسمع في الحقل، لكن من يقترب من «البيت» يَسمع نغمات تعلن أفراح الأب بعودة الضال وترانيم الترحاب. لكن الابن الأكبر لم يكلّف نفسه بالدخول للبيت واستعلام الأمر، مع أن له حق الدخول! لكن لأن أنغام الفرح غريبة على مسامعه لم يدخل، بل «دعا واحدًا من الغلمان وسأله: ما عسى أن يكون هذا؟ فقال له: أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمَّن لأنه قبله سالمًا»، لكن هذا الابن لم يفرح بعودة أخيه سالمًا ولم يبالِ بفرحه بعودته. ويا له من أخ أكبر غير مسؤول! ألا يشبه هذا الابن الأكبر قايين الابن الأكبر لآدم وحواء وأول مولود وأول متدين وأول قاتل وأول من سلك طريق الخلاص بالأعمال؟! نعم! إن هذا الابن الأكبر لم يذهب ليبحث عن أخيه ولم يبالِ بسلامة أخيه ولا بوجوده في البيت من عدمه، فماذا فعل؟ «فغضب ولم يرد أن يدخل». لماذا؟ لأنه لا يريد أن يشارك في الوليمة التي بها هذا الولد الذي أهان سمعة البيت، فعلم الأب بموقف الابن الأكبر «فخرج أبوه يطلب إليه» أن يدخل يشاركهم أفراحهم وليرحب بأخيه وعودته، لكن الابن الأكبر الذي لا يعرف قلب أبيه ومحبته ونعمته الغامرة، تطاول على أبيه الذي قبل الابن التائب الراجع «فأجاب وقال لأبيه: ها أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجديًا لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمَّن»، آه! إنه يتكلَّم عن نفسه وعن طاعته وعن خدمته لأبيه سنين هذا عددها، ورغم ذلك أعلنت أقواله أنه لم يعرف أباه ومحبته!

ثم إنه في أقواله يدّعي أن الأب ذبح العجل المسمَّن له "ذبحت له العجل المسمن"، رغم إن الأب قال: «قدموا العجل المسمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح»

ولم يقل: "اذبحوا له". وحتى الغلام الذي خرج للابن الأكبر لم يقل إن العجل المسمَّن ذُبح للابن الصغر، بل قال: «ذبح أبوك العجل المسمَّن» ولم يقل: "له" لأنها وليمة محبة وفرح للابن الراجع وكل من في البيت يشارك في الأفراح. فهذا الابن المعتد بذاته لا يريد أن يشارك الأب وبيته أفراح وليمة المحبة. حتى حين قال لأبيه: «جديًا لم تعطني قط»، أعلن ما في قلبه، فهو ليس لديه شركة مع أبيه، فهو يريد أن يأخذ الجدي ليفرح مع أصدقائه «جديًا لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي».

لكن الأب في طول أناة وبكل محبة، أظهر للابن الأكبر محبته وأراد في أقواله الحميمة أن يعلّم ابنه ما كان ينبغي عليه أن يعمله ويذكره بمن هو هذا الذي عاد إلى البيت «فقال له: يا بني أنت معي في كل حين. وكل ما لي فهو لك ولكن كان ينبغي أن نفرح ونُسر لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد». فالذي عاد يا بني هو «أخاك» ليس مجرد «ابني هذا»، ثم أنت أيضًا ابني «يا بني» ولك مكانتك في البيت «أنت معي في كل حين»، ولم أحرمك من أي شيء، فكل ما لي فهو لك ولم آخذ مما لك لأعطي أخاك، فأنا غنى، فلماذا لا تقبل أخاك وتشاركنا أفراح عودته؟!

تدبيريًا هذا الابن الأكبر يرمز لليهود رافضي النعمة ورافضي أن يكون الأُمم شركاء للميراث. كما إن هذا الابن يرمز أيضًا للذين يطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم، فلم يخضعوا لبر الله (رو١٠: ٣). إنه لم يدخل البيت ولم يأكل من العجل المسمن ولم يفرح بتوبة أخيه ورجوعه ولم يفرح بفرحة أبيه برجوع ابنه الذي كان ميتًا فعاش. فيا له من قلب قاسٍ لا يعرف شيئًا عن المحبة الأخوية ولا عن الغفران الأبوي!

فرفض هذا الابن ترحاب أبيه بالابن الراجع الذي قال عنه: «أكل معيشتك مع الزواني»، مع أن الكتاب لم يذكر عن الابن الضال إلا إنه «بذّر ماله بعيش مُسرف»، إلا أن هذا الابن الأكبر أراد تشويه صورة أخيه في نظر أبيه حتى يستكثر أبوه أن يجلس معه على مائدة واحدة. فهو يشبه الكهنة والكتبة والفريسيين الذين قالوا عن الرب يسوع في أول الأصحاح (لو١٥):

«هذا يقبل خطاة ويأكل معهم» وبالتالي يعيشون بكبريائهم مع «أصدقائهم»، لكن بعيدًا عن الله وعن الفرح الحقيقي معه، وكلنا نتذكر سمعان الفريسي، عندما دخلت بيته المرأة التي كانت خاطئة، لكنها أعلنت توبتها، برغم إن سمعان ألصق بها التهمة: «إنها خاطئة» وكان يريد أن يحذو الرب حذوه ولا يقبل أن تلمسه المرأة التي أتت باكية، لكنها ذهبت بسلام. فالذي يطلب بر نفسه لا يَقبل لمَن يَقبل الخطاة ويأكل معهم وبالتالي يعيشون بكبريائهم بعيدين عن الله وعن جو الفرح.

فإن كانت وليمة المحبة في آخر هذا الأصحاح رَبطت بأول الأصحاح أن الرب «يقبل خطاة ويأكل معهم»، فإن هناك رابطة أخرى في آخر عبارة قالها الأب لابنه الأكبر عن الابن الأصغر تربط الثلاثة أمثال معًا وهي: «أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد». الضال الذي وجد إشارة لمثل لخروف الضال الذي استرده الراعي، أما الميت الذي عاش، فهو إشارة للدرهم الذي غطّاه التراب، لكنه وُجِد وقام ونفضَ الغبار والتراب عنه وأخذَ مكانه مع باقي الدراهم.

ويُلاحظ نغمة الفرح في الأمثال الثلاثة، الراعي يقول: «افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال» (ع٦). والمرأة تقول: «افرحن معي لأني وجدت الدرهم»، والأب يقول: «ينبغي أن نفرح ونسر».

ولا يفوتنا أن نلاحظ أن كلام الابن الأكبر الخالي من المحبة يقول بروح فريسيين عن أخيه: «ابنك هذا»، ولا يقول: "أخي"، يشبه كلام الفريسي في لو١٠، حين أجاب عن سؤال الرب: «أي هؤلاء الثلاثة صار قريبًا للذي وقع بين اللصوص؟»، فقال: «الذي صنع معه الرحمة»، ولم يشأ أن ينطق اسم السامري بفمه "«أن اليهود لا يعاملون السامريين». هذا لأن الروح الناموسية تتسم بالكراهية والبغضة.

فهذا الأخ الأكبر بروحه الناموسية ضال مثل أخيه، ولكن الفارق: إن أخاه رجع ولبس الحلة الأولى – شخص الرب يسوع المسيح – ووُضِع الخاتم في يده، دليل الملكية والمحبة اللانهائية، وتمتع بذبيحة السلامة. أما الابن

الأكبر، فاستمر في عناده وحَرمَ نفسه ببره الذاتي من كل البركات.

الابن الأكبر هذا لم ينطق لفظة: «يا أبي» لأبيه ولا مرة واحدة، بل لم يتفاعل مع نداء أبيه له: «يا بني»، فهو لا يعرف عن المحبة أي شيء، لا لأخيه ولا لأبيه، لذا لم ولن يعرف الفرح. فالذي لا يفرح بعمل النعمة في الخطاة، كيف له أن يعرف أفراح الرب أو أفراح السماء؟! إنه فقط يعرف كيف يفرح مع الأصدقاء بعطايا أبيه!

مَثَل وكيل الظلم

(لو ١٦:١-١٣)

«[١]وَقَالَ أَيْضًا لتَلاَميذه: كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ لَهُ وَكِيلٌ، فَوُشِيَ به إِلَيْه بِأَنَّهُ يُبَذِّرُ أَمْوَالَهُ. [٢]فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هذَا الَّذي أَسْمَعُ عَنْكَ؟ أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَكِيلاً بَعْدُ. [٣]فَقَالَ الْوَكِيلُ في نَفْسه: مَاذَا أَفْعَلُ؟ لأَنَّ سَيِّدي يَأْخُذُ منِّي الْوَكَالَةَ. لَسْتُ أَسْتَطيعُ أَنْ أَنْقُبَ، وَأَسْتَحي أَنْ أَسْتَعْطيَ. [٤]قَدْ عَلِمْتُ مَاذَا أَفْعَلُ، حَتَّى إِذَا عُزِلْتُ عَنِ الْوَكَالَةِ يَقْبَلُوني في بُيُوتهمْ. [٥]فَدَعَا كُلَّ وَاحد منْ مَدْيُوني سَيِّده، وَقَالَ للأَوَّل: كَمْ عَلَيْكَ لَسَيِّدي؟ [٦]فَقَالَ: مئَةُ بَثٍّ زَيْتٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاجْلِسْ عَاجلاً وَاكْتُبْ خَمْسينَ. [٧]ثُمَّ قَالَ لآخَرَ: وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: مئَةُ كُرٍّ قَمْح. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاكْتُبْ ثَمَانينَ. [٨]فَمَدَحَ السَّيِّدُ وَكيلَ الظُّلْم إِذْ بِحِكْمَة فَعَلَ، لأَنَّ أَبْنَاءَ هذَا الدَّهْر أَحْكَمُ منْ أَبْنَاء النُّور في جيلهمْ. [٩]وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْم، حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ في الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّة. [١٠]اَلأَمينُ في الْقَليلِ أَمينٌ أَيْضًا في الْكَثير، وَالظَّالِمُ في الْقَليلِ ظَالِمٌ أَيْضًا في الْكَثير. [١١]فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ في مَالِ الظُّلْم، فَمَنْ يَأْتَمنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟ [١٢]وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ في مَا هُوَ للْغَيْر، فَمَنْ يُعْطيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟ [١٣]لاَ يَقْدِرُ خَادمٌ أَنْ يَخْدمَ سَيِّدَيْن، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحدَ وَيُحبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ» (لو١٦: ١- ١٣).

يعتبر هذا المثل من أكثر الأمثال صعوبة، على الأقل لثلاثة أمـــور: أولاً: كيف مدح السيد الوكيل الخائن؟ ثانيًا: ما قاله الرب في العدد ٩: «وأنا أقول لكم: اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم». ثالثًا: هل الأعمال الصالحة لها دخل بالأمور الأبدية، كما يفهم من قول الرب في العدد ٩ «حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية»؟

أولاً: يجب أن نفهم أن مفتاح هذا المثل هو في أول المثل: «وقال أيـــضًا لتلاميذه» (ع١)، فالرب في هذا المثل يخاطب التلاميذ ويحثهم على الأمانـــة والتكريس لربح النفوس وإن على الخادم أن يحيا حياة الاكتفاء «فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما» (١تي٦: ٨). وكأنه يريد أن يحذر تلاميذه كمـــا حذّر بولس تيموثاوس منه: «وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق النـــاس فـــي العطـــب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عـــن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. أما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا» (١تي٦: ٩- ١١).

إذن هذا المثل قيل للتلاميذ للتحذير وللتحريض، فهو ليس للخطاة للتبشير، بل لحث المؤمن على الأمانة والتكريس وهذا هو مفتاح الفهم، ولذا في نهاية المثل أجملَ الرب ما يريد أن يعلّمه لتلاميذه في العدد ١٣ «لا يقدر خادم أن يخدم سيدين. لأنه أما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال». ولنبدأ في توضيح المثـــل لفهـــم باقي النقاط.

«وقال أيضًا لتلاميذه: كان إنسان غني»، **مَن هو الغني؟** إنـــه صـــاحب الأموال. مالك السماوات والأرض. الذي له «الأرض وملأها، المـــسكونة وكل الساكنين فيها» (مز٢٤: ١). والغني له «وكيل»، والوكيل هو الإنسان الذي سلّطه الله على أعمال يديه، لكن الإنسان – بكل أسف – فـــشل فـــشلاً مشيناً ودخلت الخطية وفقد الإنسان براءته وطهارته، بل فقد أيضًا ســـلطانه على نفسه وعلى الخليقة. هذا عن الإنسان كالوكيل بصفة عامة. لكن الرب

أيضًا في هذا المثل يشير إلى إسرائيل كشعبه الذي فقدَ الأمانة في الوكالة التي عُهدت إليه. فقد كان إسرائيل هو أول شعب تبيَّنت في تكوينه وإخراجه قوة الله. وهم الشعب الوحيد الذي عرفه الله بنفسه بأن عزل آباءهم (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) عن وثنية عشيرتهم وأعلن ذاته لهم، بل وعزلهم في البرية عن وثنية الشعوب وأعلن ذاته لهم وأعطاهم الناموس. وفي رومية ٣: ٢١ قيل عنهم: «اُستؤمنوا على أقوال الله»، لكنهم لم يكونوا أمناء. فسواء إسرائيل أو الإنسان كوكيل بذّر أموال السيد. فدعاه وقال له: «ما هذا الذي أسمع عنك؟ أعطِ حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد». صحيح إنه سحب منه الوكالة، لكن ما زالت بين يديه أموال سيِّده، بل وأيضًا يُلاحظ أن سيِّده أعطاه بعض الوقت لجمع الحسابات ليقدمها له، مع أنه حتى وإن قدم الحسابات، فإن سيِّده قد أخذ قراره: «لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد». وهنا فكّر الوكيل في حاله بعدما يترك الوكالة «فقال الوكيل في نفسه: ماذا أفعل؟ لأن سيِّدي يأخذ مني الوكالة»، وكان عنده حلان: إما أن ينقب، وهي حرفة العبيد، أو أن يستعطي وهي حرفة مَن لا يقدر على أي عمل، لعجزه. فقال: «لست أستطيع أن أنقب»، وأنا المرموق والذي كان له عمل مع غني. كما إني «أستحي أن أستعطي»، أي أمد يدي لأحد، فالجميع يعرف أني لست بعاجز. فهداه تفكيره إلى حل، فقال: عليَّ أن أضحي بالأمور الحاضرة وأصنع صداقات بتقديم تنازلات لا سيما أن الذين ستُعمل معهم الصفقات من الأثرياء أو مالكي الحقول كما سنرى – وبهذا ربما أجد عملاً عند أحدهم «إذا عُزلت عن الوكالة»، أو على أقل تقدير «يقبلوني في بيوتهم»، كعرفان لجميلي معهم بالتغاضي عن جزء من الدين. «فدعا كل واحد من مديوني سيِّده. وقال للأول: كم عليك لسيدي؟ فقال مئة بث زيت»، (والمئة بث حوالي ٨٥٠ جالون وهو يخرج من محصول ١٥٠ شجرة). «فقال: خذ صكك واجلس عاجلاً واكتب خمسين»، يلاحظ أنه لم يقل: خذ صكًا، بل **صكك** أي الذي كتبه الوكيل المديون قبلاً، وغالبًا الخمسون هي الديْن الأصلي، ولكن الوكيل كان يرابي بمال سيِّده ويكتب الضعف ويجعل السداد على الأمد

البعيد، أما هو فيسدد للسيِّد ثمن الخمسين وباقي المبلغ لصالحه هو نظير أن يمد أجل السداد. فحينما يجلس ليكتب صكه بالخمسين، فهو أصل الدين من جهة، لكن من الجهة الأخرى هو كان في حساباته، إنه سيسدد مئة بث وقد عفى عنه.

«ثم قال لآخر: وأنت كم عليك؟ فقال مئة كر قمح»، (والمئة كر حوالي ١٠٠٠ بوشل وتمثل محصول ١٠٠ فدان). فهؤلاء المديونون لسيِّده ليس لأنهم معوزون، بل هم مستثمرون يريدون أن تكبر تجارتهم أكثر، فيأخذون للتوسع حتى وإن دفعوا فوائد كثيرة، لعلمهم أنها سترد من التجارة. وهم أنفسهم عندهم نفس المبدأ أن يعطوا لتجار آخرين بفوائد.

ثم قال للذي عليه المئة كر قمح: «خذ **صكك** واكتب ثمانين»، أي صحيح ما كتبته أنا في صكك من مئة كر قمح إلى ثمانين وهذا هو الدين الحقيقي، دون الربا الذي كان سيدخل جيب الوكيل. فهو ضّحى بما كان سيربحه من التجارة بمال سيِّده. صحيح إن سيِّده قد تأثرت أرباحه باختلاسات هذا الوكيل وتجارته من باطن مال سيِّده، لكن هذا الوكيل بهذا التسامح نحو المديونين أصبح محسناً لهم ويُنظر إليه بأنه رجل كريم يقدم تنازلات.

«فمدح السيِّد وكيل الظلم»، برغم عدم أمانته وبرغم أنه تاجر فيما ليس له، لكنه استفاد بأن كسب صداقات وربما أحدهم يقبله أن يعمل لديه بعدما يترك عمله عند سيِّده أو على الأقل تقدير لا يغلق الباب في وجهه، لأنه أحسن إليه ورفع عنه مبلغًا من المديونية. واعتبر السيِّد أن ما فعله هذا الوكيل حكمة «فمدح السيِّد وكيل الظلم إذ بحكمة فعل»، وإن كانت حكمة بشرية جسدية «لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم»، فهذا الوكيل استفاد من المال الذي بين يديه وهو ملك لسيده وصنع صداقات به تنفعه مستقبلاً. وهنا قال الرب: «وأنا أقول لكم: اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم»، لكن يا ترى ما هو **مال الظلم؟** وهل يطلب الرب منا أن نسرق أو نسلب إخوتنا حقوقهم أو بيوتهم أو أموالهم، ثم نقدم منها عشورًا للرب؟ مطلقًا! هذا الفهم مرفوض لأن مال الظلم لا يقصد به المال المنهوب أو الذي

أتى بأسلوب خاطئ، لكن مال الظلم هو كل المقتنيات والممتلكات الأرضية الوقتية والتي تظهر ما بداخلنا في المعاملات وكيف أننا بطبيعتنا الفاسدة نميل إلى ظلم الآخرين لفائدتنا وكم من المرات ثبت فشلنا في الأمانة عندما تتعارض مع مصالحنا! فالمال بصفة عامة هو مال الظلم لأن سقوطَ آدم وسحبَ الوكالة منه ودخولَ الخطية أفسدَ كل شيء وأزال المساواة والعدالة بين البشر، فالإنسان فقد وكالته لعدم أمانته، لكن ما زالت ممتلكات سيِّدنا بين أيدينا وعلينا كمؤمنين أن نستخدم المقتنيات الأرضية في نور المستقبل المجيد لخيرنا وخير الآخرين ونحوّل مال الظلم لنفعنا ونفع من حولنا وما مدحه السيِّد في هذا الوكيل هو أنه ضحّى بالحاضر ليضمن المستقبل «حتى إذا فنيتم» تعني إذا فنى المال أو العطايا من بين أيدينا يكون لنا مكانة وقبول فيما بقي لنا معهم وهذا معنى «المظال الأبدية»، فالمطلوب أن نستخدم الأموال التي بين أيدينا في خدمة الآخرين ونستثمر عطايا الرب التي منحنا إياها لخيرهم زمنيًا وأبديًا. كما ربما يكون المقصود «إذا فنيتم»؛ بمعنى متى انتهت حياتكم في العالم ستجدون ثمر استخدام عطايا الرب لكم هنا. وإن كان الوكيل أظهر بعد نظر واهتم بأمور مستقبله، فمن باب أولى نحن الذين أُئتمنا على عطايا الرب، علينا أن نفعل هذا، فالمال كما نعلم هو خادم نافع وسيِّد بشع ومعبود رجس. فيا ليته يكون بالنسبة لنا "خادمًا نافعًا"، يُستخدم لخلاص نفوس من حولنا سواء بتسديد إعوازهم، فيرون يد الرب الكريمة معهم أو سواء بتوصيل بُشرى الخلاص بكل الصور الممكنة حتى نراهم أبديًا في مكان العزاء الأبدي.

وبولس في ١تيموثاوس ٦ كلّمنا عن تجارة عظيمة «أما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة» وكان قبلاً في نفس الرسالة كلّمنا عن التقوى أنها «نافعة لكل شيء. إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (٤: ٨). فحين نستخدم عطايا الرب بأمانة هنا، نربح هنا نفوسًا «أصدقاء» وسنرى هناك في المظال الأبدية آخرين لم نكن ندري عنهم كيف جذبتهم نبذة أو كتيب أو خدمة استخدمنا فيها الرب معهم هنا باستخدامنا لمال الظلم.

فلسنا هنا إلا وكلاء وعلينا أن نكون أمناء «الأمين في القليل أمين أيضًا في الكثير. والظالم في القليل ظالم أيضًا في الكثير. فإن لم تكونوا أمناء في مال الظلم فمن يأتمنكم على الحق؟ وإن لم تكونوا أمناء فيما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم؟».

الرب يريد أن يأتمنا على الحق، فعلينا أن «نرعى الأمانة» (مز٣٧: ٣)، أي نقيتها ونربيها فينا لتكبر، فيأتمنا الرب على الكثير. ويُلاحظ عبارة «إن لم تكونوا أمناء فيما للغير»، فالممتلكات الأرضية ليست لنا وإن سمح الرب أن تكون بين أيدينا، فحن وكلاء عليها ولنحترس لأن عدم أمانتنا قد يحرمنا من التمتع بمالنا، فلا نحصل على مالنا لأننا لم نرعَ الأمانة فيما عُهد إلينا.

لكن تدبيريًا هناك «مظال أبدية» وهناك مَن سيقبلون إخوتهم في المظال الأبدية وسيصنعون صداقة بمال الظلم الذي في أيديهم وسيعولون مَن حولهم وهم الذين هربوا من الوحش والنبي الكذاب ويقبلونهم في بيوتهم ويأوونهم ويكسونهم ويطعمونهم ويخدمونهم (مت٢٥: ٣٥- ٤٠).

وفي العدد ١٣ يلخص الرب الهدف من المثل، فيقول: «لا يقدر خادم أن يخدم سيِّدين. لأنه أما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو أن يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال».

فالمثل الذي انفرد به لوقا ليس لتبشير الخطاة، بل «لتلاميذه» أي الخدام كوكلاء «هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله» (١كو٤: ١). وخدام المسيح لا يقدرون أن يخدموا إلا الله، أما المال فعليهم أن يستخدموه ولا يسود عليهم. وبولس في ١كورنثوس ٧: ٣١ يقول: «الذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه». فالعالم بالنسبة للمؤمن يُستعمل لخدمة السيِّد الحقيقي. فليس لنا قلبان، لذا لا نقدر أن نخدم سيِّدين.

قصة الغني ولعازر

(لو ١٦:١٩-٣١)

«[١٩]كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا. [٢٠]وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ، [٢١]وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ. [٢٢]فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، [٢٣]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، [٢٤]فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ. [٢٥]فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ لعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. [٢٦]وَفَوْقَ هذَا كُلِّهِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هُهُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ، وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. [٢٧]فَقَالَ: أَسْأَلُكَ إِذًا، يَا أَبَتِ، أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي، [٢٨]لأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هذَا. [٢٩]قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ. [٣٠]فَقَالَ: لاَ، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. [٣١]فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ» (لو١٦: ١٩- ٣١).

هناك تباين يلفت النظر بين نهاية لوقا ١٥ الذي يحدثنا عن مثل الابنين والذي يزيح الستار ليرينا داخل بيت الأب لنرى ضالاً قد رجع وجلس على مائدة الأب، متمتعًا بثمار المحبة الأبوية الغافرة الماحية، وبين نهاية لوقا ١٦، هنا في هذه القصة التي تَروي حقيقة وتزيح الستار لترينا داخل الهاوية وهناك نرى نفسًا معذبَّة في اللهيب. إن هذه القصة رواها لنا المنزَّه عن الكذب ليعلِّمنا أن تاريخ الإنسان لا ينتهي بالموت، بل يبدأ. وهي تدور حول رجلين: أحدهما غني مُتنعِّم والآخر مسكين، محتاج، عليل البدن، والغريب أن الرب يذكر اسم الفقير العليل ولا يذكر اسم الغني المُتنعِّم، كما إنه لا يذكر دفن الفقير، ربما لأن دفنه تم بلا مراسيم، لكنه يذكر دفن الغني ويقيناً كانت له مراسيم دفن، لوضعه الاجتماعي كغني «كان إنسان غني وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعَّم كل يوم مترفِّهًا». هذا هو الرجل الأول في القصة. رجل صاحب جاه وغِنى وله مكانته المرموقة في المجتمع. والسؤال: **لماذا لا يَذكر الرب اسمه؟** لأنه تجاهل معاملات الرب معه، بل يحيا حياة الترف والتنعم، وكما سنرى ليست له أحشاء رأفات لمَن حوله. صحيح لم يذكر الرب شيئًا عن شر هذا الغني، صوَّره لنا كشخص يحيا لذاته، يلبس ويتنعم ويترفه. فالأرجوان هو لبس الملوك والبز أو الدمقس الأبيض الهفهاف يدل على حياة الترف. فهو رجل «يتنعَّم كل يوم مترفِّهًا» والرب ليس ضد اللبس والترف والتنعم والرفاهية، لكن «كل يوم» تعني أنه ليس عنده وقت للرب، فالذات هي غرض قلبه ومتعة الجسد هي هدفه.

وقد يظن البعض أن امتلاك الثروة دليل على رضا الرب وأن الفقراء أو المرضى أو المعوزين لم يحظوا برضاه وهذا خطأ! فسنرى هنا لعازر العليل يعرفه الرب باسمه وأرسل له زَفة مَلكية في موته، بل ونهايته تعزيات. أما الغني، فسنراه يصرخ مُعذبًا في اللهيب.

ثم يتكلَّم الرب عن الرجل «وكان مسكين اسمه لعازر، الذي طُرح عند بابه مضربًا بالقروح، ويشتهي أن يشبع بالفتات الساقط من مائدة الغني، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه». نعم! لعازر فقير، لكنه معروف عند

الرب باسمه، وهذا المُقرح مرفوع الوجه. فالمؤمن الحقيقي يذكر الله اسمه ويمحو إثمه، أما الخاطئ، فيذكر الله إثمه ويمحو اسمه.

إن لعازر ليس له إنسان، فطُرح عند باب الغني، ربما لامتحان الغني ماذا سيفعل مع مَن هو قريب منه، بل على بابه، وهل سيبالي به وبظروفه واحتياجاته، لا سيما أنه **غني** والمحتاج عند **بابه**.

وفي قول الكتاب: «بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه» تصوير لحالة العجز التي كان عليها لعازر، حتى إنه لا يقدر أن يزجر الكلاب لتبتعد عنه، والكلاب ألسنتها خشنة وهذا ما زاد من الطينة بلَّة، «**بل**»، فهو يتألم ولا يقدر أن يرفع يده ليزيح أو يخيف الكلاب، حتى تبتعد عنه وعن **قروحه** وهذا ما يزيد آلامه الجسدية والنفسية.

«فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم»، هذا الذي كان مطروحًا مقرحًا أخيرًا استراح من أتعابه (رؤ١٤: ١٣). مات المسكين ولا يُذكر شيء عن جنازته أو أي تكريم لجسده، فمَن من البشر يهتم بمسكين مقرح!، يقينًا دُفن، لكن كفقير كانت دفنته لا تستحق الذكر. لكن الرب يكشف الستار ليرينا أنه أرسل جوقة من الملائكة إليه لتحمله. لكن إلى أين؟ إلى حضن إبراهيم، وأين إبراهيم؟ في لوقا ٢٠: ٣٧ يعلن الرب أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عنده. ففي حديثه مع الصدوقيين الذين ينكرون القيامة قال: «وأما إن الموتى يقومون، فقد دلَّ عليه موسى في أمر العليقة كما يقول: الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. وليس هو إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياءٌ».

ويلاحظ أن الرب ذكر هنا هذه الأقوال قبل صلبه، فإن كان مؤمنو العهد القديم عنده إذًا ليسوا في الجحيم، فلماذا يعلم البعض بنزول الرب يسوع إلى الجحيم بعد صلبه وموته ويقولون إنه نزل إلى الجحيم ليخلِّص مؤمني العهد القديم؟! كيف وهو يعلن أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب أحياء عنده؟! وهنا في هذه القصة نرى إبراهيم يتعزَّى، فهل في الجحيم عزاء؟! وإن كان الرب يسوع المسيح بروحه الإنسانية، كما يقولون مضى للجحيم حتى فجر القيامة

ليبشر الخطاة أو ليفك مؤمني العهد القديم، فلماذا قال للص التائب: «اليوم تكون معي في الفردوس»؟! كيف إذًا ومتى ذهب إلى الجحيم؟! ثم لقد قيل عن إيليا صراحة: «أُصعد إيليا في العاصفة إلى السماء» (٢مل٢: ١١) ولم يذهب للجحيم، مع أنه من مؤمني العهد القديم، بل صعد في مركبة من نار إلى السماء، كما نرى هنا تمامًا. إن الملائكة حملت لعازر إلى السماء إلى حضن إبراهيم. ثم في لوقا ٩: ٣١ في حادثة التجلِّي «وإذا رجلان يتكلَّمان معه وهما موسى وإيليا. اللذان ظهرَا بمجد». موسى وإيليا من مؤمني العهد القديم وحادثة التجلِّي قبل الصلب وهما ظهرَا بمجد، إذًا لم يكونا في الجحيم، فهذا التعليم لا يتفق مع الكتاب وكما نرى هنا أن الملائكة قد أخذت لعازر لا لتلقيه في الجحيم إلى وقت أن ينزل إليه الرب يسوع، لكن حملته الملائكة إلى «حضن إبراهيم».

لكن ماذا عن الغني؟ «ومات الغني أيضًا ودُفن». والحكيم في سفر الجامعة يقول: «وهكذا رأيت أشرارًا يُدفَنون» (جا٨: ١٠)، أي تُعمل لهم جنازات رائعة وتكريم رائع وهم أشرار. كما إنها تحمل معنى ما نراه هنا وهو أن الموت يضع يده على الفريقين «أشرار يُدفَنون وضمُّوا، والذين عملوا بالحق ذهبوا».

لكن ما أسرع هذا التغيير: «مات الغني أيضًا ودفن»! وبما إنه غني فبلا شك كان موكب دفنه عظيمًا، فقد كان عظيمًا في حياته ونال عظمة في دفنه بترتيبات تليق به كغني وبأكاليل من الزهور وكلمات من الشعر والمديح الوداعية. وآه! فالذي يُبجِّلون جسده، نفسه في حقيقة الأمر تتعذَّب في التنور! لقد فاجأه هلاك مباغت مثلما حدث مع الغني الغبي (لو١٢: ٢٠).

«فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب». لقد أغمض عينيه عن الحق وهو على قيد الحياة، أما هناك في الوقائد الأبدية فلن تُغمض عيناه ولاحظ – أخي القارئ – أن وصف هذا الرجل بالغني وقف عند القبر ولم نقرأ بعد عنه أنه «غني»، لأنه كيف يُوصف بوصف الغني هناك وهو في شدة العوز والعدم والفقر والاحتياج حتى إلى قطرة ماء؟!! لقد هوى من الغنى إلى شدة

الفقر، ومن الشرف إلى الخزي، ومن الراحة والترف والتنعم إلى العذاب «فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب». ربما لم يكن هذا الرجل رافضًا للتوبة، لكنه مؤجلاً. **فحذارِ: يا مَن تقرأ هذه السطور أن تكون مثله! انتبه فإن أنسب فرصة للتوبة هي الآن «هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو٦: ٢)! «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (عب٣: ١٥)**. أخاف عليك – أيها القارئ – إن كنت ما زلت بعيدًا عن الرب أو مؤجِّلاً، أخاف عليك أن ينتهي بك الأمر، كما انتهى بهذا الرجل وعندئذ تبدأ في صراخ وبكاء وصرير أسنان لا ينتهي ودون أمل. إن باب الخلاص مفتوح الآن على مصراعيه، بلا قيد أو شرط ولا كلفة ولا أجر ومهما كانت حالتك هو يقبلك ويغيِّرك. انظر إليه وهو مرفوع على الصليب لأجلك وفاتحًا ذراعيه ليقبلك! فماذا أنت فاعل؟ هل تؤجل؟ هل يوجد شيء أثمن من نفسك الخالدة؟ تعقل، فالعذاب أبدي والخسارة لا تعوَّض!

لقد رفع هذا المسكين عينيه وهو في العذاب برغم أن الهاوية (هي السجن الاحتياطي)، إلا إنه معذَّب هناك. لكن ماذا رأى عندما رفع عينيه؟ «ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه»، حضن إبراهيم اصطلاح يعبِّر عن مركز الامتياز والعواطف مرتبط بذاك الذي دُعي «خليل الله». ورأى إبراهيم: هذه العبارة توضح أن أولئك الذين أصبحوا في الحالة غير الجسمية لهم قوة الحواس، مع أن ليس لهم الأعضاء الجسدية. فنفس الذي كان غنيًا أصبحت في حالة انفصال عن الجسد، لكنها حائزة على قوى ومؤهلات كيان حي ذي شعور. بلا شك إن الحواس والمشاعر كانت على شكل معدل تناسب العالم غير المنظور.

ولكن بحسب كلمات الرب نرى أن الغني بعد الموت كان له قوة إبصار «ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه». فهو يرى وعن بُعد ويتكلَّم ويسمع ويعطش ويتعذَّب، بل ويتذكَّر إخوته.

ومع أن الكلام مجازي، إلا إنه يعبِّر عن حقائق الكيان في هذا السجن الاحتياطي. فالغني لم يتلاشى، فلا فناء للجسد ولا نوم للنفس.

ولما رأى إبراهيم من بعيد ناداه «فنادى وقال: يا أبي إبراهيم ارحمني» **الآن! مستحيل!** فللرحمة وقت وقد مضى! **ثم ممَن يطلب الرحمة؟** من إنسان! إنه كشف عن تعاليمه الخاطئة، فالرب وحده الرحوم الذي يرحم. لقد طلب هذا المسكين الرحمة في غير وقتها وبعيدًا عن مصدرها. مسكين يا هذا! إنها صرخة لا تجدي نفعًا لأن زمان الرحمة قد انتهى ولا رجاء بعد الموت. ثم طلب طلبة متواضعة وبسيطة «وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لساني، لأني معذَّب في هذا اللهيب». إنه لم يطلب كوب ماء أو حتى قطرة ماء، بل إصبعًا مبللاً بماء! يا لشدة العوز هناك! ثم إصبع من الذي تريده أن يلامس لسانك ليبرده؟ أصبع لعازر المسكين الذي كان على بابك مضروبًا بالقروح! يا لهول الاحتياج! وحتى هذه الطلبة البسيطة لا تُعطَى له! فهناك لا تخفيف ولا تلطيف بل صراخ وعويل وذاكرة لا تهدأ وندم على كل فرصة طرق الرب فيها على باب قلبه ورفض أو أجل أو أهمل. وربما أدرك أنه خُدع من تعاليم كاذبة من معلِّمين علَّموه أن الله غفور رحيم ولم يحدّثوه عن قداسته وعدله، أو ربما تذّكر الأمناء الذين كلَّموه أن هناك هلاكًا أبديًا. لكل نفس لا تقبل الرب يسوع فاديًا وربًا، لكنه أمالَ أذنيه للمُعلِّمين الكذبة الذين ينكرون وجود جهنم، لكنه أدرك أن جهنم حقيقة ولا توجد حالة متوسطة، **إما خلاص أبدي أو هلاك أبدي، عزاء أبدي أو عذاب أبدي.**

نعود لقصتنا لنرى إبراهيم يكمل حديثه بإشفاق على هذا المعذَّب ويعلن له أن ما وصل إليه هو نتاج زرعه واختياره «فقال إبراهيم: يا ابني، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذا لعازر البلايا. والآن هو يتعزَّى وأنت تتعذَّب». إنه لم يذكِّره بخطاياه وشروره، بل بإهماله وخلاص نفسه. لقد شرب الخمر الجيدة حتى سكر وتنعم كل يوم مترفهًا ولم يعمل حسابًا أن العمر أشبار وأيام إلى زوال وحياة الإنسان نفخة والإنسان كخيال يتمشى (مز٣٩). لقد حذَّر الحكيم في سفر الجامعة: «افرح أيها الشاب في حداثتك، وليسرك قلبك في أيام شبابك، واسلك في طرق قلبك وبمرأى عينيك، واعلم

أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة» (جا١١: ٩).

نعم! لقد استوفى خيراته، أما لعازر فقد استوفى البلايا. وهنا يأتي السؤال: **هل كل غني مصيره مع هذا الغني؟ وهل كل مقرح مريض فقير مصيره مع لعازر؟** الإجابة: كلا! فإبراهيم الذي لعازر في حضنه كان غنيًا «وكان إبراهيم غنيًا جدًا» (تك١٣: ٢)، لكنه كان غنيًا لله (لو١٢: ٢١). وإبراهيم أبو المؤمنين تبرَّر بالإيمان، بل هو أول شخص في الكتاب تثبَّتَ فيه مبدأ التبرير بالإيمان، مع أنه ليس أول المؤمنين ولا أول مَن دعي بارًا، وحسم بولس هذا الكلام فقال: «إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر، لكن ليس لدى الله» (رو٤: ٢). فإبراهيم تبرر بالإيمان وبرهن على إيمانه بأعمال، أما الغني المستغني عن الله، والذي يهمل الخلاص المقدَّم إليه، فهذا مصيره، بل هذا مصير كل فقير أو مريض هنا ومستغنى عن الله. لعازر لم يتعزَ لأنه كان مقرحًا مريضًا فقيرًا، بل تبرر بالإيمان. فعندما نقبل الرب يسوع مخلِّصًا وفاديًا ونكتسي بجلد ذبيحته ننتقل من الموت إلى الحياة ونأخذ الغلبة على الخطية وسلطانها وعلى الموت والقبر والشيطان الذي له سلطان الموت. غلبة بذاك الذي حمل دينونة خطايانا وأصبح لا دينونة علينا. ثم يكمل إبراهيم كلامه لهذا المعذَّب ويقول: «وفوق هذا كله، بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أُثبت، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا». لا توجد لغة توضح أكثر من ذلك أن المسافة بين المخلَّصين والهالكين بعد الموت لا يمكن عبورها. إن ما تبقى لمثل هذه النفوس هو استحضارها أمام العرش العظيم الأبيض للطرح في بحيرة النار إلى الأبد وذلك لرفضهم. الخلاص المجاني بالنعمة وحينئذ الإنسان بأكمله روحًا ونفسًا وجسدًا سيدخل إلى مقره الأبدي في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت. والحكيم في جامعة ١١: ٣ يقول: «إذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال ففي الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون». نعم! فلا تغيَّر في المصير بعد الموت ولا رجاء بعد الموت «فالهوة عظيمة قد أُثبت»، والذي ثبَّتها هو الله وعليه لا ملاشاة للأشرار، بل عذاب

في الهاوية ثم عذاب في البحيرة. ونقول هذا لأن أصحاب البدع علَّموا بملاشاة الأشرار مقتبسين من ملاخي ٤: ١- ٣ «فهوذا اليوم المتقد ... وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رمادًا تحت بطون أقدامكم». وعلَّموا أن لا خلود للأشرار، بل ملاشاة. لكن الكتاب يقول إن أجساد الأشرار هنا تحولت إلى رماد، لكن لم ينتهِ أمرهم لأن الروح لا تموت. وفي رؤيا ٢٠: ١٣ «وسلَّم البحر الأموات الذين فيه، وسلَّم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما. ودينوا كل واحد حسب أعماله». أ لم تهلك أجساد سكان سدوم وعمورة، لكن الرب أعلن: «الحق أقول لكم: ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما تلك المدينة» (مت١٠: ١٥)؟! إذًا وإن كانوا قد تلاشوا من الأرض، لكن لهم وقفة ولهم دينونة.

وعندما تيقن هذا المسكين أنه لا مخرج، طلب طلبًا آخر: «فقال أسألك إذًا يا أبت، أن ترسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضًا إلى فوضع العذاب هذا». يلاحظ أن هذا المسكين لم يقدم أي شكوى أو أي اعتراض ضد عدالة السماء وكأنه أقر استحقاقه وأنه هو الذي اختار هذا المصير بتجاهله أمر أبديته. لكنه أدرك أن إخوته مثله تمامًا لا يبالون بهذا الأمر، ففكر كيف ينقذ إخوته، فسأل إبراهيم أن يرسل لعازر ليذهب إليهم **ويشهد لهم**، ظانًا منه أنهم مجرد أن يروا لعازر ويخبرهم بعذاب أخيهم سيتوبون وينجون. والسؤال: **هل ممكن أن يترك لعازر مكان العزاء وينزل مرة أخرى لأرض الشقاء ولو للحظة؟** مستحيل! **ثم لماذا؟ هل قلَّت الأدلة لديهم، ولا ينقصهم إلا رؤية لعازر؟! أ ليس عندهم أقوال موسى والأنبياء وكل أسفارهم وفيها كل الكفاية لتقودهم إلى الخلاص والمخلِّص؟ أ ليس:** «شهادة يسوع هي روح النبوة» (رؤ١٩: ١٠)؟ عندهم كلمة الله التي تقول: «إن الدم يكفِّرعن النفس» (لا١٧: ١١). **أ لم يذكر الكتاب أن دم الخروف هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من الملاك المهلك؟** إذًا ما عليهم إلا أن يقرأوا الكتاب.

لكن هذا الرجل الذي ما زال يجادل ويكابر «قال: لا، يا أبي إبراهيم، بل

إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون». إنه لا يؤمن بكفاية الكتاب، بل يريد عملاً خارقًا معجزيًا، يصل لإخوته يخبرهم أن يتوبوا. هذا الرجل يؤمن بالعجائب ولا يعْلم أن الإيمان المبني على المعجزات إيمان وقتي لا يتوِّب، والجري وراء المعجزات يقود، وسيقود، إلى الضلال «ويضل الساكنين على الأرض بالآيات» (رؤ١٣: ١٤).

وهنا أعلنه إبراهيم «فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدِّقون». هذه حقيقة، طالما رفضوا كلمة الله ولم يصدقوها، فكيف لهم أن يصدقوا لعازر أنه سيذهب ويخبرهم أن أخاهم معذَّب؟! ثم: أ لم نقرأ في الكتاب عن لعازر آخر – وهو أخو مريم ومرثا – قد أقامه الرب يسوع بعد أن أنتن «**وكثيرين من اليهود نظروا ما فعل يسوع**» (**يو١١: ٤٥**)، **فهل آمنوا؟** كلا! بل تشاوروا ليقتلوا لعازر (يو١١: ٥٣)!

فإن كان هؤلاء الإخوة الخمسة سيهلكون، فسيهلكون لإهمالهم لكلمة الله. فالله أعدّ الخلاص وأعلنه لنا في الكتاب. أما قبوله أو تجاهله، فهو مسؤولية فردية.

أخي .. هناك أبدية قد تبدأ في أية لحظة، فهل أنت مستعد؟ إذا قبلت الرب يسوع مخلِّصًا لك تُقْبَل من الله وتسعد سعادة غامرة هنا وفي الأبدية.

وإذا رفضت سيمكث عليك غضب الله. فاختر لنفسك، ولعل صوت المعذَّب المسكين هذا يصل إلى إذنيك! «إني معذَّب في هذا اللهيب».

أسرع قبل أن تصبح هذه الصرخة صرختك واعلم أن الطريق الوحيد للخلاص من هذا المصير المرعب هو الإيمان الشخصي بشخص الرب يسوع المسيح.

تذكر أن النار أبدية والدود لا يموت والهوة عميقة ثابتة ولا نوم للنفس ولا فناء للأجساد ولا مَطْهر ولا فرصة ثانية ولا تراحيم ولا عمومية الخلاص ولا شفاعة.

فجهنم حقيقة والعذاب أبدي، فماذا أنت فاعل بنفسك؟! اقرأ الكتاب المقدس وصدّق أقواله وتنعم بما أعده الرب لك واهرب لخلاصك.

فإن كنت لا تنجو بنفسك هذه الليلة، فربما تهلك غدًا!!

مثل المرأة وقاضي الظلم

(لو ١٨:١-٨)

«[١]وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ، [٢]قَائِلاً: كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لاَ يَخَافُ اللهَ وَلاَ يَهَابُ إِنْسَانًا. [٣]وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي!. [٤]وَكَانَ لاَ يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلكِنْ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَخَافُ اللهَ وَلاَ أَهَابُ إِنْسَانًا، [٥]فَإِنِّي لأَجْلِ أَنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي، أُنْصِفُهَا، لِئَلاَّ تَأْتِيَ دَائِمًا فَتَقْمَعَنِي!». [٦]وَقَالَ الرَّبُّ: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. [٧]أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ [٨]أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا! وَلكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟» (لو١٨: ١- ٨).

إن أول ورود لكلمة «**ينبغي**» في العهد الجديد كانت من فم الرب يسوع حين كان في الثانية عشرة من عمره في لوقا ٢: ٤٩. ولهذا الجزء أهميته، لأنه الجزء الوحيد الذي يتكلَّم عن الرب في صباه وكيف كان نموه نموًا طبيعيًا يتفق مع الناسوت الحقيقي الذي اتخذه وكيف كان خاضعًا لوالديه (لو٢: ٥١)، وكيف كان كاملاً مع الشيوخ والمعلِّمين في الهيكل، فلا يعلِّمهم، بل يسمع ويسألهم (لو٢: ٤٦) وهو تصرف في منتهى اللياقة بالنظر إلى

سنه. لكن عندما أنَّبته المطوَّبة مريم حين كانت قلقة عليه: «وقالت له: يا بني، لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين!» (لو٢: ٤٨)، وكان جوابه يتفق مع علمه الكامل بهويته: «ابن مَن هو؟»، إذ قال: «لماذا كنتما تطلباني؟ أ لم تعلمَا أنه كان ينبغي أن أكون في ما لأبي؟» (لو٢: ٤٩). وكأنه يقول للمطوَّبة مريم: إن كان الجميع يعرفونني بابن النجار، فإنكِ أنت تعرفين أن يوسف ليس أبي. وهذا أول كلام له في إنجيل لوقا وأول «ينبغي» من فمه الكريم وأعلن فيها هويته وأعلن أنه جاء ليعمل مشيئة الآب ويتمّم الخدمة التي أخذها من الله. لكن في يوحنا ٣: ٧ في حديثه مع نيقوديموس أعلن عن ضرورة حتمية لنا جميعًا، فقال: «**ينبغي** أن تولدوا من فوق». لكن أيضًا في حديثه مع نيقوديموس أعلن ضرورة حتمية أخرى، فقال: «وكما رفع موسى الحيَّة في البرية هكذا **ينبغي** أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٥). فينبغي (يو٣: ٧) تخص الإنسان، وينبغي (يو٣: ١٥) تخص ابن الإنسان. الأولى تخص الخاطئ، والثانية تخص المخلِّص. لكن في نفس الأصحاح (يو٣) هناك «**ينبغي**» تخص الخادم، قالها المعمدان في يوحنا ٣: ٣٠ ويجب أن تكون شعارًا لكل خادم «**ينبغي** أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص».

وإذا عدنا إلى مَثلنا هنا نرى الرب يعلن «ينبغي» أخرى، معلنًا ضرورة أخرى «في أنه ينبغي أن يصلَّى كل حين ولا يُمل». وهنا أعلن الرب لنا أن الصلاة ليست فرضًا، لكنها امتياز، الصلاة ليس لها وقت محددًا، بل إن أنسب وقت للصلاة «كل حين»، في الليل والنهار. في الصباح والمساء. في البيت وفي العمل. في الضيق وفي الفرج. في الحزن وفي الفرح «في كل شيء» (في٤: ٦). «وفي كل وقت» (أف٦: ١٨). بل وعلينا أن نصلِّي «بلا انقطاع» (١تس٥: ١٧). والرب يسوع في مرقس١: ٣٥ نقرأ أنه «في الصبح باكرًا جدًا قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلِّي هناك». وفي لوقا ٦: ١٢ «قضى الليل كله في الصلاة لله». فإن كنا نبغي تقدمًا روحيًا «ينبغي أن نصلِّي كل حين» وإن كنا نريد خدمة مثمرة «ينبغي أن

نصلِّي كل حين». وإن كان عندنا مخاوف على بيوتنا وأولادنا «ينبغي أن نصلِّي كل حين». نعم ينبغي! كان «ينبغي أن يرفع ابن الإنسان ... لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٥، ١٦). وينبغي أن نولد من فوق، والآن علينا أن ندرك أنه «ينبغي أن يصلَّى كل حين ولا يُمَل»، أي لا نفشل عندما يتأنّى الرب علينا.

ثم قدّم الرب المثل قائلاً: «كان في مدينة قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب إنسانًا». فهنا الرب يصوّر لنا قاضيًا ظالمًا لا يخاف الله. ومزمور ١١١: ١٠ يقرر أن «رأس الحكمة مخافة الرب»، أي بداية الحكمة. وهذا مبدأ ثابت يتكرّر في الكتاب المقدس. وأيوب وهو أقدم مؤمني العهد القديم يؤكد أن: «هوذا مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم» (أي ٢٨: ٢٨). وسليمان الحكيم أعلن في بداية سفر الأمثال: «مخافة الرب رأس المعرفة» (أم ١: ٧)، ثم يكمل: «بدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس فهم» (أم ٩: ١٠). فحين تملك مخافة الرب في قلب الإنسان، تولّد فيه حكمة للحرص على وصايا الرب. وهذا الرجل كقاضٍ لو كان يخاف الله، لكان ينصف المسكين ويقضي للذليل. ففي مزمور ٨٢: ٢- ٤ يوجه آساف اتهامًا للقضاة الذين على شاكلة هذا القاضي الذي «لا يخاف الله ولا يهاب إنسانًا»، فيقول متسائلاً: «حتى متى تقضون جورًا وترفعون وجوه الأشرار؟ سلاه. اقضوا للذليل ولليتيم. انصفوا المسكين والبائس. نجوا المسكين والفقير. من يد الأشرار أنقذوا». فالقضاة من المفترض أنهم يمثلون الله العادل، هذا إذا كان عندهم مخافته، أما إن كانوا مثل هذا الذي القاضي الذي «لا يخاف الله ولا يهاب إنسانًا»، فآذانهم لا تسمع صوت المظلوم أو المسكين والبائس. فكم وكم إذا كان المسكين والبائس والمحتاج الإنصاف «أرملة»، مات رجلها ولها خصم استغل ضعفها واغتصب حقها؟!

«وكان في تلك الكورة أرملة[1]. وكانت تأتي إليه قائلة: أنصفني

---

[1] من مسميات إنجيل لوقا: **إنجيل الأرامل**. فقد ذكر أرملة صرفة صيدا (٤: ٢١). وحنَّة (٢: ٣٦).= =وأرملة نايين (٧: ١٢). وهنا المرأة وقاضي الظلم. وخُتم بالأرملة صاحبة الفلسين (٢١: ١).

خصمي!». لقد أكل هذا الطاغي حقوق الأرملة، فأتت إليه تطلب الإنصاف. لكن هذا القاضي لأنه لا يخاف الله، لا ينصف المسكين والبائس، فهو فاسد الضمير، وهذه الأرملة فقيرة لا تقدر أن تقدم ما يقدمه الأغنياء لتشتري ضمير هذا القاضي الذي لا يخاف الله،، فهو مرتشٍ «لا يهاب إنساناً»، «والرشوة تُعمي المبصرين وتُعوِّج كلام الصديقين» (تث١٦: ١٩). فكان يعرف احتياجها وبيده مساعدتها وإنصافها، لكنه «لا يشاء إلى زمان» المرأة مثابرة ثابتة مرارًا وتكرارًا بنفس الطلبة: «أنصفني من خصمي»، فليس لها أن تدبّر حالها. والقاضي لاذ بالصمت، لا يبالي باحتياجها، برغم إنها أرملة ولجأت إلى رجل، بل وقاضي المدينة الذي بيده أن يفك كربها.

«ولكن بعد ذلك قال في نفسه: وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً، فإني لأجل أن هذه الأرملة تزعجني، أنصفها، لئلا تأتي دائمًا فتقمعني!». إنه يعرف نفسه أنه لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً ويعرف كم قلبه قاسٍ وأنه لا يمد يده لمساعدة أحد، دون أن يأخذ مقابلاً.

لكن مثابرة هذه المرأة وتكرار الطلبة: «أنصفني من خصمي» جعله يحسم الأمر لصالحه ويرضخ لصراخها طلبًا لراحته من إزعاجها المستمر وملاحقتها له، فأنصفها وأعطاها سؤل قلبها ورد لها المسلوب من خصمها الذي ظلمها.

فهذا القاضي الظالم قدّم لها درسًا مفيدًا لنا كمؤمنين وهذا جعل الرب يلفت انتباهنا: «وقال الرب: اسمعوا ما يقول قاضي الظلم». ماذا قال قاضي الظلم؟ قال: «أنصفها، لئلا تأتي دائمًا»، فهي مضطرة لجأت عن اضطرار وليس عندها حل آخر، فهو القاضي وهي المُحتاجة والحل في يده. لذا أكمل الرب حديثه: «أ فلا ينصف الله مُختاريه، الصارخين إليه نهارًا وليلاً، وهو متمهِّل عليهم؟». نعم! إنه يلتفت إلى صلاة المُضطر «التفتَ إلى صلاة المُضطر، ولم يرذل دعاءهم» (مز١٠٢:١٧). فالرب يلتفت إلى الصلاة الحارة وينظر إلى اللجاجة ولا يوجد شيء آخر غير الصلاة نستطيع أن نفعله ولا يوجد شيء آخر أفضل من الصلاة لنفعله. وكما حقق هذا الأسلوب

نجاحًا مع هذه الأرملة سيحقق نجاحًا منقطع النظير معنا وسينصفنا الله ويسمع صراخنا. أ لم يستجب الرب يسوع لصراخ المضطرين حين كان هنا بالجسد؟ أ لم يفعلها بطرس «لما رأى الريح شديدة خاف. وإذ ابتدأ يغرق، صرخ قائلاً: يا رب، نجني!» (مت١٤: ٣٠)؟ وماذا حدث مع بطرس؟ «ففي الحال مد يسوع يده وأمسك به». أ لم يأته أب يصرخ لأجل ابنه «وإذا رجل من المجمع صرخ قائلاً: يا معلِّم أطلب إليك: انظر إلى ابني فإنه وحيد لي»، والتفتَ الرب إلى صلاة المضطر وشفَى الولد؟! وعندما اقترب الرب من أريحا وكان هناك أعمى جالسًا على الطريق يستعطي ولما أخبروه أن يسوع مجتاز «صرخ قائلاً: يا يسوع ابن داود ارحمني» (لو١٨: ٣٨). ونال ما رجاه. أ لم تصرخ المرأة الكنعانية لأجل ابنتها[٢] «وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني، يا سيِّد يا ابن داود! ابنتي مجنونة جدًا» (مت١٥: ٢٢)، وشفيت ابنتها؟

نعم إن الله المُحب الحنَّان الرحوم أبو الرأفة «ينصف مختاريه الصارخين إليه نهارًا وليلاً»، وهو الوحيد القادر أن يلبّي احتياجاتهم واحتياجهم وإن تمهل عليهم، فهو ليس عنده تباطؤ. فإن كان قاضٍ ظالم لا يخاف الله تحرّك من أجل لجاجة الأرملة، فكم الرب قاضي القضاة؟ نعم، فكثيرًا ما جاء عن الرب أنه قاض ومنصف «الله قاضٍ عادل» (مز٧: ١١) ويسرع لنجدتنا ويبرئ ساحتنا ولن يسلِّمنا ليد عدونا «فإن الرب قاضينا. الرب شارعنا. الرب مالكنا. هو يخلِّصنا». نعم! «أ فلا ينصف الله مُختاريه الصارخين إليه نهارًا وليلاً؟».

السؤال: **لماذا يتمهَّل عليهم؟** أولاً: يجب أن نثق أنه منذ أن صلينا وصرخنا للرب والطلبة قد سُمعت. لقد صلَّى زكريا وأليصابات والطلبة قد سُمعت، لكن الرب «مُتمهِّل عليهمَا»، وفجأة ظهر ملاك الرب حاملاً بشرى لم تخطر على بالهما وقال لزكريا: «لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سُمعت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنًا وتسميه يوحنا» (لو١: ١٣).

---

[2] إنها المرة الوحيدة التي كُتِب لنا أن الرب أخرج شيطانًا من على بُعد.

ويلاحظ أن الملاك كلَّمه عن يمين مذبح البخور المكان المخصص للصلاة. وربما زكريا لم يعد يطلب هذه الطلبة، لأنه لم تكن هناك أية احتمالات لهذه الاستجابة بعد شيخوختهما، إلا أن الدعوة والطلبة كانت أمام الرب. وجاء الميعاد وأتت الاستجابة، لكن في الوقت المعيَّن، فهذا سيكون سفيرًا للمسيح وهو مَن أتت عليه النبوات (إش٤٠: ٣)، فهل كان يمكن أن يأتي قبل هذا الميعاد وكيف كانت ستتم النبوات؟! انظر مثلاً قصة يوسف، ويقينًا يوسف صلَّى بعدما طلب من رئيس السقاة: «تذكرني لفرعون، وتُخرجني من هذا البيت» (تك٤٠: ١٤)، وماذا لو توسط رئيس السقاة وأخرج يوسف من السجان وعاد إلى يعقوب أبيه؟! لكن الله القدير جعل رئيس السقاة لا يذكر يوسف بل نسيه (تك٤٠: ٢٣) ولمدة سنتين «إلى وقت مجيء كلمته، قول الرب امتحنه، أرسل الملك فحلَّه ... أقامه سيدًا على بيته ... فجاء إسرائيل إلى مصر ويعقوب تغرَّب في أرض حام» (مز١٠٥: ١٩-٢٣). الله له وقته وينبغي علينا أن نصبر ونصلِّي ونقرع ونستمر قارعين إلى أن يفتح الباب وفي وقته يسرع به «فالرؤيا بعد إلى الميعاد» (حب٢: ٣). لأنه كيف ليعقوب أن ينزل مصر لو أن يوسف خرج من السجن وعاد إلى أبيه؟ كيف يتم قول الرب لإبراهيم: «أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم، ويُستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة» (تك١٥: ١٢)؟! إنها لا يمكن أن تتم إلا بهذا الأسلوب وفي هذا التوقيت.

إذًا علينا أن نصلِّي. «والدعوة قدامه ولنصبر له»، وهذا يقوي إيماننا ويزيد رجاءنا فيه وسرعان ما ينصف الله مُختاريه ويُسرع بالاستجابة «أقول لكم إنه ينصف سريعًا». ثم طالبَ الرب السامعين ونحن أن يكون لهم ولنا هذا الإيمان والصلاة بلجاجة لا سيما في الأيام الأخيرة قبل مجيئه، فقال: «ولكن متى جاء ابن الإنسان، أ لعله يجد الإيمان على الأرض؟»، هو يطلب أن يكون لنا إيمان من نفس نوع إيمان هذه المرأة، التي تصرخ نهارًا وليلاً ولم تمل أي لم تفشل. الحقيقة إن ما ختمَ به الرب المثل يقدم لنا تعليمًا ليس كتعاليم البشر التي انتشرت في الأيام الأخيرة. فالرب يعلِّمنا «متى جاء ابن

الإنسان أ لعله يجد الإيمان على الأرض؟»، أي إن الإيمان سيكون لقلة قليلة متمسكة به، وليس كما يدعي كثيرون أن المسيحية ستنتشر والعالم سيصير مسيحيًا!! كلا! بل البدع ستنتشر وبينما أهل العالم «يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» (رو١: ٢٥). بل «يتقدمون إلى أكثر فجور» (٢تي٢: ١٦). بل «سيتقدمون إلى أردأ مضلِين ومضلّين» (٢تي٣: ١٣). لذا علينا أن نكون بينهم كأنوار «تضيئون بينهم كأنوار في العالم. متمسكين بكلمة الحياة» (في٢: ١٥، ١٦).

لكن هناك معنى تدبيري يخص شعب الرب الأرضي في قول الرب: «أ فلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارًا وليلاً وهو متمهِّل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعًا»، فبعد الاختطاف سيبدأ الرب في التعامل مع الأرض واليهود الراجعين إلى أرضهم وسيتعرضون لضيق شديد من الخارج جماهير آتية عليهم ومن الداخل الوحش والنبي الكذَّاب، فسيصرخون إلى الرب وهذا ما أعلنه الرب في متى٢٤: ٢١، ٢٢ «لأنه يكون حينئذ ضيقٌ عظيمٌ لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون، ولو لم تقصَّر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصَّر تلك الأيام». فهذا الجزء من متى٢٤: ٢٢ يتكلّم عن الضيقة العظيمة التي يتصدرها الختم السابع بويلاته الرهيبة في (رؤ٨) ولأجل «المختارين الصارخين إليه» سيأتي «وينصفهم سريعًا»، ثم يصب غضبه على العالم.

مثل الفريسي والعشَّار

(لو ١٨: ٩-١٤)

«[٩]وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هذَا الْمَثَلَ: [١٠]إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ. [١١]أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. [١٢]أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. [١٣]وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اَللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ. [١٤]أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لو١٨: ٩- ١٤).

البعض يصنِّف هذا المثل أنه آخر الأمثال الواردة في إنجيل لوقا، والتي انفرد بها. لكنني أستريح أن أصنفه أحد الأمثال التي انفرد بها لوقا، لكنه ليس الأخير، فهناك مثل الأمْناء (لو١٩: ١٢- ١٧)، ومثل الابنين (لو٢١: ٢٨- ٣٠)، وانفرد بهما لوقا أيضًا ضمن ١٦ مثل انفرد بهم.

فهذا المثل انفرد به لوقا. وقد قاله الرب: «لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين». مُصنفات القوم هنا الذين وجَّه لهم المثل أولاً: «واثقين بأنفسهم» وهذا هو الكبرياء والغرور، ثانيًا: «يحتقرون الآخرين» باعتبار أنهم فئة والآخرون كلهم فئة أخرى أدنى منهم. ربما **القوم الواثقون**

بأنفسهم أنهم أبرار مخدوعين في أنفسهم لمركزهم الديني المظهري أو لعطائهم السخي في عمل الرب، فاعتبروا أنفسهم الأفضل، فهم يقدمون ما لا يقدر عليه الآخرون، أو لربما إلمامهم بالناموس، أو ترددهم الكثير على الهيكل جعلهم في أعين أنفسهم أبرارًا، مما دفعهم لاحتقار الآخرين. هذا الاحتقار نتاج قلب خالٍ من حياة التقوى الحقيقية والمحبة. كما إن احتقارهم للآخرين كان ليبرروا أنفسهم. فالفريسيون في لوقا ١٦: ١٤ سمعوا أجمل الأقوال من فم الرب نفسه الذي «لم يتكلَّم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان!»، لكنهم «استهزأوا به». لماذا؟ ليبرروا أنفسهم قدام الناس «وكان الفريسيون أيضًا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به. فقال لهم: أنت الذين تبررون أنفسكم قدام الناس. ولكن الله يعرف قلوبكم أن المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله». فالواثقون من أنفسهم لا يهمهم إلا الناس «فيبرِّرون أنفسهم قدام الناس»، فهم في نظر أنفسهم «أبرار» والآخرون لا يستحقون إلا الاحتقار.

يبدأ الرب المثل بالقول: «إنسانان صعدَا إلى الهيكل ليصليَا» وهنا الرب قسَّم الناس إلى نوعين، كما في لوقا ١٥: ١١، إنسان كان له «ابنان»، أو كما في متى ٢١: ٢٨ «كان لإنسان ابنان». لكن ماذا فعل هذان الإنسانان؟ «صعدَا إلى الهيكل»، والهيكل كان يذهب إليه الذين يعيشون بالقرب من أورشليم، أما البعيدون فكانوا يذهبون في الأعياد الرئيسية الثلاثة: **الفصح، الخمسين والمظال.** لكن كل القريبين من أورشليم كانوا يصعدون إلى الهيكل للصلاة «لأن بيتي بيت الصلاة يُدعَى» (إش٥٦: ٧).

فالإنسانان «صعدَا إلى الهيكل ليصليَا»، الغرض واحد لكل منهما وهو الصلاة. هذا من جهة المنظور السطحي أمام الناس، لكن حقيقة الأمر إن أحدهم صعد إلى الهيكل ليُظهِر للناس تقواه وحرصه على الذهاب للهيكل، لذا ذهب وهو مرفوع الوجه، لينظره الناس ويشهدون له بالتقوى. أما الآخر، فبالفعل صعد ليصلِّي، بل وربما كان يراوده خوف من عيون الناس أو ذمهم له أو قولهم كيف لرجل عشَّار مثل هذا أن يذهب إلى الهيكل؟! لكنه ذهب

غير مبالٍ باكتساب ثناء الناس أو لومهم، والرب – الذي به توزن الأعمال – لم يجد زغلاً أو باعثًا رديًا في مقاصد هذا الرجل، بل وكما سنرى أعلن مصادقته وأثنى عليه وسنرى أنه قدّم للرب صلاة توبة حقيقية من القلب.

لكن ماذا عن حالة الإنسانين الأدبية؟ «واحد فريسي والآخر عشَّار»، أي الاثنين خاطئين، لكن الفريسي خاطئ متشدِّد، يتبع أكبر طائفة يهودية في ذلك الحين. صحيح كان بينهم أتقياء، لكن صفتهم السائدة كانت ميلهم لاحتقار الآخرين، الذين لا يعرفون الطقوس الدينية كما ينبغي، وهم يشعرون بصلاحهم في عيني الرب ويعتقدون أنه سيقبلهم لأنه كيف يرفض أمثالهم بما لهم من صلاح؟! أما العشَّار فخطاياه مفضوحة جلبت عليه احتقار الناس له لتعامله مع الحكومة الرومانية، وغالبًا كان العشَّارون يُمنَعون من دخول الهيكل، إذا صادفهم فريسي متشدِّد وهم ذاهبون للهيكل. وقد أظهر الشعب كرهه للعشَّارين حين اتهموا الرب يسوع أنه «مُحب للعشارين والخطاة» ولام الفريسيون التلاميذ لأنهم في نظر أنفسهم أبر منهم.

«أما الفريسي فوقف يصلِّي في نفسه هكذا: اللهمَّ أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشَّار». لقد بدأ صلاته بالشكر وإن كان هذا رائعًا، لكنه لم يشكر الرب على شيء قدمه له الرب، بل كان يظن أنه شيء، وفي غلاطية ٦: ٣، يقول الروح القدس: «لأنه إن ظن أحد أنه شيءٌ وهو ليس شيئًا، فإنه يغش نفسه»، فهذا الشاكر يشكر لأن عنده شعور بالاكتفاء الذاتي ولديه من الصلاح ما يكفي لكي يقبله الله، فابتدأ يعدّد فضائله: «أني لست مثل باقي الناس ..». فالناس دائمًا يخطئون، أما أنا فمختلف عنهم في سلوكهم وقد صُنْتُ نفسي من أن أنحدر وأكون «مثل باقي الناس»، فالناس شرورهم واضحة فاضحة وأنا سلوكي ديِّن. «باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة»، ملومون لشرهم.

نعم! ربما تتحلَّى بأخلاق ومبادئ رائعة وتعرف أن الخطف والظلم لا يرفع، بل يخفض وتفهم ما جاء في مزمور ٦٢: ١٠ «لا تتكلوا على الظلم ولا تصيرُوا باطلاً في الخطف». كما إنك لا تحصل الغنى بغير حق لأنك

تخاف أن تنصف أيامك «حَجَلة تحضن ما لم تَبِضْ مُحصِّل الغنى بغير حق. في نصف أيامه يتركه. وفي آخرته يكون أحمق!» (إر١٧: ١١)، ثم إنك لا تهين جسدك وتزني وتصنع هذا الشر العظيم وتخطيء إلى الله (تك٣٩: ٩) وتعرف أن «الذي يزني، يخطئ إلى جسده» وبالفعل تفعل ما فعله يوسف وتهرب من الزنا (١كو٦: ١٨) وحفظت الوصية السابعة من الوصايا العشر، بل نفترض أنك حفظت كل الوصايا. لكن السؤال: **ما هو موقفك من الوصية الأخيرة من الوصايا العشر؟** «لا تشتهِ»، إنها الوصية التي تقنع الإنسان بفساده، عمومًا وليس بخطايا معيَّنة، خطية لا يراها الناس ولا يلومونك عليه، فإذا كنت قد حفظت نفسك من الأعمال الشريرة: «خطف، ظلم، زنا»، فما هو موقفك من الطبيعة الشريرة العاصية الساكنة فيك؟ ألا تعلم أن مَن حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرمًا في الكل (يع٢: ١٠)؟ أما إن قلت إنك لا تفعل شيئًا من هذا وإنك لم تعثر أبدًا، فأنت تضل نفسك «إن قلنا: إنه ليس لنا خطية نُضل أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو١: ٨).

ثم إنك تتهم كل الناس «باقي الناس» إنهم خاطفون، ظالمون، زناة، منغمسون في شرورهم ولم تقس نفسك بمقياس الله الكامل الذي موازينه تختلف عن موازين البشر «وُزنت بالموازين، فوُجدت ناقصًا» (دا ١٥: ٢٧)، فالرب يزن الأشخاص ويزن الأعمال (١صم ٢: ٣)، ويزن الروح «كل طرق الإنسان نقيَّة في عيني نفسه، والرب وازن الأرواح» (أم١٦: ٢). كما إن الرب يزن القلوب «كل طرق الإنسان مستقيمة في عينيه، والرب وازن القلوب» (أم٢١: ٢).

ثم إنك أظهرت مدى احتقارك الشديد للعشَّار، مقارنًا نفسك به «ولا مثل هذا العشَّار»، أ لم تقرأ أن «المُحتقر صاحبه ناقص الفهم» (أم١١: ١٢)؟

آه! إنها ليست صلاة، بل هي وقفة استعراض عضلات أمام الله، ثم إنه لم يشكر الله على أي شيء أعطاه له أو أي إحسان جاد به الرب عليه، بل في غرور وكبرياء سردَ أمام الرب أصوامه وصلواته «أصوم مرتين في

الأسبوع، وأعشّر كل ما أقتنيه» والسؤال هنا: **هل توجد وصية بالكتاب تدعو للصوم مرتين في الأسبوع؟** الحقيقة إن الناموس لم يفرض صومًا وإن كان يفهم من لاويين ٢٣: ٢٦- ٢٩ أن يوم الكفَّارة السنوية؛ أي اليوم العاشر من الشهر السابع، كان يوم تذلل «تذلِّلون نفوسكم وتقرِّبون وقودًا للرب». وعليه، فاليهودي عليه أن يصوم يومًا واحدًا في السنة، أما هم فرتَّبوا أصوامًا دورية لم تأتِ بها وصية. فهذا الفريسي ظن أنه يقدم أفضل بكثير مما يطلبه الله منه، أما عن العشور فهناك وصية بها، وكان على اليهودي أن يقدم العشور مما هو جيد لا سيما في الأبقار والمواشي، ولم يكونوا ملزمين بتعشير الأعشاب، لكنْ الفريسيون منهم كانوا يعشرون كل ما يقتنونه حتى النعنع والشبث والكمون، بحثًا عن الصيت الحسن. والرب في متى ٢٣: ٢٣ يخاطبهم: «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تعشِّرون النعنع والشبث والكمون، وتركتم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان. فكان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك». فليس العيب في إخراج عشور أقل المنتجات قيمة، ولكن في أنهم بهذه التدقيقات الشكلية هدفهم أن يقنعوا الناس بتمسكهم بالمكتوب، فينالون مديحهم وينخدعون هم في ذواتهم من مديح الناس لهم.

لكن يلاحظ أن هذا الناموس قدّم وصية الناس «أصوم مرتين في الأسبوع» عن وصية الرب بالعشور، أي قدّم التقليد على كلمة الله «أصوم» ثم «أعشِّر». فهذا الرجل الذي صعد ليصلِّي لم تكن صلاته إلا فرصة للافتخار والاستعراض وتقديرًا لوصايا الناس على وصية الله، أضف إلى هذا احتقاره للآخرين.

«أما العشَّار فوقف من بعيد»، شاعرًا بعدم استحقاقه وعدم أهليته أن يقترب إلى الله في هيكله وكأنه يسأل نفسه ما جاء في مزمور ١٥: ١ «يا رب مَن ينزل في مسكنك؟»؛ أي مَن يستطيع الاقتراب إليك إن لم تكن له شركة معك. ثم وكأنه يتذكر صفات مَن يريد أن يقترب للرب من نفس المزمور، فيجد نفسه بعيدًا جدًا عن هذه الصفات، فالذي ينزل في مسكنك هو

«السالك بالكمال والعامل الحق ... فضته لا يعطيها بالرِّبَـا»، فيقـول: مـا أبعدني عن هذه الصفات، لذا سأقف «من بعيد»، آخذًا مكان الأبرص الـذي يقف بعيدًا، ولكي أكون أيضًا بعيدًا عن أعين الناس.

ولمعرفته بقداسة الله «لا يشاء أن يرفع عينيه نحو الـسماء»، بـل فـي اتضاع وانكسار قلب «قرع على صدره»، وكأنه يشير إلى مصدر النجاسـة «لأنه من الداخل، من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة: زنـى، فـسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل» (مر٧: ٢١). لقد أدرك أن قلبه مصنع للنجاسة وكأنه تـذكر قـول الـرب لموسي: «أدخل يدك في عُبِّك. فأدخل يده في عُبِّه ثـم أخرجهـا، وإذا يـده برصاء مثل الثلج» (خر٤: ٦).

وهذا العشَّار لم يرَ نفسه خاطئًا بين خطاة كثيرين، بل خاطئًا، فخاطب الله، طالبًا الرحمة من مصدرها «اللهمَّ ارحمني»، لقد رأى نفسه كريهًا في عيني الله، فرمى نفسه بالكليَّة على رحمة الله مستنجدًا وكأنه يقول للـرب: «لـيس ساكن فيَّ، أي في جسدي، شيءٌ صالح»، «أنا الخاطئ».

لقد شعر أنه أردأ الناس ولا رجـاء لـه إلا فـي رحمـة الله، فطلبهـا: «ارحمني».

ثم أعلن الرب: «أقول لكم: إن هذا نزل مبـرَّرًا إلـى بيتـه دون ذاك». و«**هـذا**» اسم إشارة للقريب، فالذي وقف بعيدًا هو الأقرب لقلب الرب، أمـا الفريسي الذي ظن أن بأعماله أنه قريب من الرب، يقول عنه الكتاب: «**ذاك**» وهو اسم إشارة للبعيد. فمَن يقترب إلى الرب بروح الزهو «أنا أصوم .. أنا أعشِّر.. أنا لست مثل باقي الناس»، ذاك بعيد كل البعد عن أن ينال من الرب شيئًا. إنه يشبه المستغني في كنيسة لاودكية المطبوع بطابع الرضا والسرور بنفسه والمشغول بذاته «إني أنا غني وقد استغنيت، ولا حاجة لي إلى شيء» (رؤ٣: ١٦).

وهنا أعلن الرب أن نظرة العالم وأهله تختلف كل الاختلاف عن نظـرة الرب. فالعالم يمدح أمثال هؤلاء «القوم الواثقين بأنفسهم أنهم أبرار»، بـل

ويرفعونهم. أما الرب، فمَن يأتي إليه بروح الاتضاع يرفعه ويبـــرره «لأن كل مَن يرفع نفسه يتضع ومَن يضع نفسه يرتفع». «لأن كبرياء الإنـــسان تضعه، والوضيع الروح ينال مجدًا» (أم٢٩: ٢٣).

وطبيعي أن لا نفترض أن هذا المثل يعلِّمنا أن العشَّار «نزل إلـــى بيتـــه مبررًا»، أي حصل على التبرير بالإيمان، فليس لنا أن نذهب إلى أبعد مـــن عبارات الكتاب الصحيحة التي لم تشر ولا وبتلميح أن هذا العـــشَّار آمـــن، ولكن أدان نفسه وهذا لم يفعله الفريسي. فموضوع هذا المثل يتلخص فـــي العبارة الأخيرة: **إن الله يخفض الكبرياء، ويرفع المتضعين.**

مثل الأمْنَاء

(لو ١٩:١٢-٢٧)

«[١٢]فَقَالَ: إِنْسَانٌ شَرِيفُ الْجِنْسِ ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكًا وَيَرْجِعَ. [١٣]فَدَعَا عَشَرَةَ عَبِيدٍ لَهُ وَأَعْطَاهُمْ عَشَرَةَ أَمْنَاءَ، وَقَالَ لَهُمْ: تَاجِرُوا حَتَّى آتِيَ. [١٤]وَأَمَّا أَهْلُ مَدِينَتِهِ فَكَانُوا يُبْغِضُونَهُ، فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ سَفَارَةً قَائِلِينَ: لاَ نُرِيدُ أَنَّ هذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا. [١٥]وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَمَا أَخَذَ الْمُلْكَ، أَمَرَ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ أُولئِكَ الْعَبِيدُ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ الْفِضَّةَ، لِيَعْرِفَ بِمَا تَاجَرَ كُلُّ وَاحِدٍ. [١٦]فَجَاءَ الأَوَّلُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، مَنَاكَ رَبِحَ عَشَرَةَ أَمْنَاءَ. [١٧]فَقَالَ لَهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ! لأَنَّكَ كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ، فَلْيَكُنْ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى عَشْرِ مُدُنٍ. [١٨]ثُمَّ جَاءَ الثَّانِي قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، مَنَاكَ عَمِلَ خَمْسَةَ أَمْنَاءَ. [١٩]فَقَالَ لِهذَا أَيْضًا: وَكُنْ أَنْتَ عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ. [٢٠]ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، هُوَذَا مَنَاكَ الَّذِي كَانَ عِنْدِي مَوْضُوعًا فِي مِنْدِيلٍ، [٢١]لأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ، إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ، تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ. [٢٢]فَقَالَ لَهُ: مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ. عَرَفْتَ أَنِّي إِنْسَانٌ صَارِمٌ، آخُذُ مَا لَمْ أَضَعْ، وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزْرَعْ، [٢٣]فَلِمَاذَا لَمْ تَضَعْ فِضَّتِي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ، فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أَسْتَوْفِيهَا مَعَ رِبًا؟ [٢٤]ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ: خُذُوا مِنْهُ الْمَنَا وَأَعْطُوهُ لِلَّذِي عِنْدَهُ الْعَشَرَةُ الأَمْنَاءِ. [٢٥]فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، عِنْدَهُ عَشَرَةُ أَمْنَاءَ! [٢٦]لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. [٢٧]أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي» (لو١٩: ١٢- ٢٧).

يتشابه مثل العشر الأَمْنَاء مع مثل الوزنات المذكور في متى٢٥: ١٤-٣٠ وإن كان هناك بعض الاختلافات، كما سنرى.

«وإذا كانوا يسمعون هذا عاد فقال مثلاً» (ع١١). هنا أول فرق بين مثل الوزنات وهذا المثل. فمثل الوزنات جاء ضمن الأمثال الثلاثة التي قصد بها الرب أن يوضّح لنا حالة ملكوت السماوات في صفته السرية أثناء غياب الملك، وبمثل الوزنات أنهى الرب القسم الثاني من عظة جبل الزيتون والذي يتكلَّم عن المسيحية في مجملها وأنه لا بد للمتاجرة وربح النفوس أثناء غياب السيد. أما هنا في مثل الأَمْناء، فجاء بعد قصة خلاص زكا ليعلن أن غرض الرب أن يستخدم كل من حصل على الخلاص كأداة لتوصيل بشرَى الخلاص للآخرين أو أن هناك مسؤولية لمَن خلص أن يخدم الرب الذي خلَّصه.

أما عن توقيت الوزنات، فكان بعد انتهاء زيارة الرب الأخيرة إلى أورشليم. بينما مثل الأَمْناء هنا فكان قبل زيارته الأخيرة إلى أورشليم «لأنه كان قريبًا من أورشليم وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال». فهنا كان طريق الرب على الأرض يقترب من نهايته «وها هو قريب من أورشليم» التي نحوها كان الرب قد ثبّت وجهه. وكان العديد من أتباعه «يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال». وهنا سيقدّم الرب مثل الأَمْناء لتحريرهم من هذه الآمال وليعرفهم الواقع والخطة المرتبة مسبقًا «فقال: إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكًا ويرجع». هذا المثل يمثل الرب يسوع نفسه الذي رفض المُلك من رئيس هذا العالم (مت٤)، الذي أراد أن يعطي المُلك للمسيح بدون الصليب والفداء حين أخذه «إلى جبل عال جدًا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها». والروح القدس حين يصف الجبل أنه: «عالٍ جدًا» والتي لم ترد إلا في إنجيل متى الذي يظهِر الرب يسوع كالمَلك، وكان ليرينا ضخامة الرشوة المقدمة من رئيس العالم للمَلك الذي لا بد أن يملك، لكنه لا يأخذ سلطانه من إبليس، بل من الآب وليس قبل الصليب، بل بعده. لكنه لا بد أن يملك «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه» (١كو١٥: ٢٥).

«فدعا عشر عبيد له وأعطاهم عشرة أَمْنَاء»، وإذا قسمت العشرة أَمْنَاء على العشرة العبيد يكون لكل واحد نصيب متساوٍ، فالعطايا متساوية. وهنا فرق آخر بين مثل الوزنات ومثل الأَمْنَاء هنا. فالعطايا في مثل الوزنات ليست متساوية، فقد أعطى الرب واحدًا خمس وزنات وأعطى آخر وزنتين وآخر وزنة، لأن الرب في إنجيل متى ينظر إلى اختلاف طاقة الواحد عن الآخر «كل واحد على قدر طاقته»، والطاقات مختلفة، لذا الوزنات مختلفة. صحيح إن الكل معه، الاختلاف في عدد الوزنات من خمس إلى اثنتين إلى وزنة واحدة. أما هنا، فالعطايا التي أعطاها الرب متساوية، فقد أعطى كل واحد من العبيد العشرة منَا واحد لأنه يركز على مسؤولية الإنسان، والجميع متساوون في المسؤولية. أما في مثل الوزنات، فالتركيز على سيادة الرب وسلطانه ومعرفته لطاقة كل واحد والجميع ليسوا متساوين في الطاقات.

لكن هناك اختلاف آخر، ففي مثل الوزنات لم يترك وصية بالمتاجرة، أما هنا فأوصاهم: «وقال لهم تاجروا حتى آتي»، وهنا أول ورود للمتاجرة في العهد الجديد كوصية من الرب وهي تشديد الأيادي المسترخية وتثبيت الركب المُخلَّعة (عب١٢: ١٢). أو أظهِر محبتك لي عمليًا و«ارعَ خرافي .. ارعَ غنمي» (يو٢١: ١٦– ١٨). فهي وصية واضحة، لكن تنفيذها يتطلب قلبًا ملتهبًا بالطاعة والمحبة للسيِّد، وهو يتوق أن يرى فينا الأمانة والمحبة والشوق لخدمته، لكنه لا يطلب «تاجروا» دون أن يعطي، بل أعطى الجميع للمتاجرة حتى لا يكون لأحد عذر، بل عليهم أن يتاجروا بمجرد أن استلموا ما أعطاه لهم لاسيما أنه ذكرهم بعودته «حتى آتي» ولم يحدد ميعادًا لعودته.

«أما أهل مدينته فكانوا يبغضونه»، لماذا؟ بلا سبب فيه! لكن لأسباب كثيرة فيهم، وقد ملَّكوا على أنفسهم غيره «فأرسلوا وراءه سفارة قائلين: لا نريد أن هذا يملك علينا»، هذا ما فعله اليهود. ونحن نعلم أنهم قبلاً رفضوا سفير الملك بقتل يوحنا المعمدان بسيف هيرودس الماجن ووصلت رسالتهم للرب لرفض سفيره «فانصرف من هناك» (مت١٤: ١٣)، وفي أعمال ٢ و٣ عندما وقف بطرس وأعلن: «هذا أخذتموه مسلَّمًا بمشورة الله المحتومة

وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه، الذي أقامه الله» (أع ٢:٢٣)، ثم كلَّمهم عن رجوعه ومُلكه «أزمنة رد كل شيء»، فرفضوا هذه الشهادة (أع ٣: ٢١) ووضعوهمَا – بطرس ويوحنا – في حبس (أع ٤: ٣)، ثم رجموا استفانوس (أع٧). كل هذا وكأنهم أرسلوا وراءه يخبرونه برفضه أن يملك عليهم. والآن يظهرون رفضًا تامًا مُلكه عليهم. لقد جاء إلى خاصته وخاصته عرفته، لكنها رفضته ولم تقبله «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يو١: ١١). فالرب في مجيئه إلى العالم قدّم نفسه إلى اليهود بصفته المسيَّا، غير أنهم لم يقبلوه، بل وبعد أن أقام موتاهم وشفى مرضاهم وأشبع بطونهم، صرخ الشعب والرؤساء والكهنة إلى بيلاطس الأممي: «خذه! اصلبه!»، ثم قال لهم بيلاطس: «أ أصلب ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملك إلا قيصر!» (يو١٩: ١٥).

وحين أعلن بيلاطس أنه بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم. أجاب الشعب: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت٢٧: ٢٥) وحتى الآن يدفعون ثمن رفضهم ملكهم ويطلب دمه منهم وتم فيهم ما جاء في تثنية ٢٨: ٦٤ «ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها». وهذا ما تم سنة ٧٠م.

ولأنه وعدَ بمجيئه «حتى آتي»، فقد رجع «ولما رجع بعدما أخذ المُلك»، أراد أن يحاسب عبيده، لذا «أمر أن يدعى إليه أولئك العبيد الذين أعطاهم الفضة، ليعرف بما تاجر كل واحد». وبحسب ١كورنثوس ٣: ٨ «كل واحد سيأخذ أُجرته بحسب تعبه»، وبحسب أمانته وليس بحسب موهبته أو نوع العمل الذي قام به. «فجاء الأول قائلاً: يا سيِّد، منَاكَ ربح عشرة أَمْنَاء». والمَنَا كلمة يونانية تعادل أجر ثلاثة أشهر، أو ما يعادل مئة دراخما؛ والدراخما هو أجر العامل لليوم الواحد، والعشرة أَمْنَاء رمز للحد الأعلى في الأمانة، فالوصايا عشر وأصابع اليدين عشرة، إذًا فقد تاجر فعلاً وبكل طاقته في ما أوكل إليه سيِّده. «فقال له: نِعِمَّا أيها العبد الصالح! لأنك كنت أمينًا في القليل، فليكن لك سلطان على عشر مدن»، هذا العبد قد وضع يده على

المحراث (لو٩: ٦٤)، ولم يسعَ لسماع النعمَّا من الناس، فسمعها من السيِّد. والرب في لوقا ٦: ٢٦ قال: «ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً»، لأنها علامة أكيدة على أننا لسنا نعيش حسب المستوى الروحي السليم. فداود مثلاً مدحه أخيش: «إنك أنت مستقيمٌ، وخروجك ودخولك معي في الجيش صالحٌ في عينيَّ لأني لم أجد فيك شرًا» (١صم٢٩: ٦)، لماذا؟ لأن داود كان في هذا الوقت في حالة روحية سيئة، فنال مديح العالم. أما هذا العبد الصالح، فلم يكن يسعى لكسب رضا الناس، بل يعمل بالأمانة ليحصل على النعمَّا من سيِّده، وبالفعل نالها. لقد اعتبر نفسه أميناً على ما أوكله له سيِّده «مَنَاكَ ربح»، لقد وعَي جيدًا أن ما بين يده لا يخصه، لذا استخدمه وطوّعه لخدمة مصالح سيِّده، فنال المديح، ثم نال أيضًا المكافأة «فليكن لك سلطانٌ على عشر مدن». «ثم جاء الثاني قائلاً: يا سيِّد، مَنَاكَ عمل خمسة أَمْنَاء». لقد ربح أقل من العبد الأول، لكن السيِّد لم يوبّخه أو يغضب منه، بل قال له: «وكُنْ أنت على خمس مدن»، لأن المكافأة على قدر المسؤولية. «ثم جاء آخر قائلاً: يا سيِّد، هوذا مَنَاكَ الذي عندي موضوعًا في منديل». لماذا أغلق على المَنَا في منديل ولم يستخدمه؟ لعدم تقديره للسيد العاطي، ولعدم تقديره لعطية العاطي، ولعدم محبته لسيِّده. فهو لم يعمل شيئًا على الإطلاق بما أعطاه له السيِّد ولم تكن له رؤيا لما يجب أن يفعله. لكن لم يصمت أو يعتذر، لكنه أوجد مبررات لفعلته وأعذارًا واهية، بل وألقى اللوم على السيد، فقال: «لأني كنت أخاف منك، إذ أنت إنسان صارمٌ، تأخذ ما لم تضع، وتحصد ما لم تزرع»، وهنا يتجلَّى جهل هذا العبد وكُفره بلاهوت السيِّد وصفاته، فهو مُخيفٌ صارمٌ بلا حنو يتوقع أن يأخذ دون أن يعطي. ولهذا أظهر السيِّد عدالة مطلقة في تعامله مع هذا العبد وجعل كلماته هي التي تحكم عليه. «فقال له: من فمك أدينك أيها العبد الشرير»، فهو لم يدنه من أجل ما فعله، بل من أجل ما لم يفعله وكان يجب أن يفعله. فما دمت تراني في عينيك صارمًا، فلماذا لم تهابني وتستخدم ما أعطيتك بوسيلة ربح الكسلان الذي يخشى المتاجرة؟ وسأله ما دمت أنا أحصد ما لم أزرع «فلماذا لم تضع

فضتي على مائدة الصيارفة، فكنت متى جئت أستوفيها مع ربًا؟». إنك لست جديرًا بثقتي ولم تتحمل مسؤولية ائتمانك عليها. ثم لماذا لم تعطها لآخر من الصيارفة ليستخدمها؟ أ ليس هذا خيرًا من أن تضعها في منديل؟

وهنا أصدر السيد حكمه: «ثم قال للحاضرين: خذوا منه المَنَا» الذي لم يقدِّره. هذا هو تجريد المسيحيين بالاسم من مركزهم. أولاً بغلق الباب وتركهم على الأرض للوحش والنبي الكذَّاب، ثم بإرسال عمل الضلال إليهم ليصدقوا الكذب. ثم بعد تجريد العبد، أمر بإعطاء المَنَا لمَن معه ليزداد «خذوا منه المنا وأعطوه للعبد الذي عنده العشرة الأَمْناء». وهنا تساءل الحاضرون: «فقالوا له: يا سيِّد عنده عشرة أَمْنَاء!»، فأعلن لهم: «لأني أقول لكم: إن كل مَن له يعطَى، ومَن ليس له فالذي عنده يُؤخَذ منه». فالفرص المتاحة لنا والتي لا نستخدمها للرب ستسحب من بين أيدينا وتعطَى لمَن يقدِّر عطايا الرب وعلى قدر المسؤولية. والذي عنده مجرد اسم المسيح سيؤخذ منه.

ويلاحظ أن مثل الوزنات في متى٢٥ ارتبط بالدخول إلى فرح السيد «ادخل إلى فرح سيِّدك». أما هنا فله ارتباط بالمكافآت في الملكوت «فليكن لك سلطان على عشر مدن»، «وكُنْ أنت على خمس مدن».

وفي رؤيا ٢٠: ٤- ٦ «ورأيت عروشًا فجلسوا عليها وأُعطوا حكمًا ... مباركٌ ومقدسٌ مَن له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة». ويلاحظ أنه لا يوجد بالكتاب اسم القيامة الثانية؛ أي لا يوجد لها ترقيم. توجد قيامة أولى والموت الثاني. وتوجد قيامة بعد القيامة الأولى وهي قيامة الأشرار وهي قيامة ودينونة، لذا لا تسمى في الكتاب قيامة ثانية. لكن من رؤيا ٢٠: ٤- ٦ نرى المؤمنين الأَمْناء مع سيِّدهم ينتظرون وقت الآب (عب ١٠: ١٣)، أما هؤلاء الأَمْناء الذين تعلَّموا صبر المسيح والذين في زمن رفض المسيح يؤهلون للحكم بواسطة الحكم على أنفسهم أولاً، لهم المكافأة في النهاية كوعد الرب في لوقا ٢٢: ٢٨- ٣٠ «أنتم الذين ثبتوا معي في

تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا. لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، تجلسون على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر». فالرب أعطى الأمناء ضمانًا ووعدًا. فالأمر قد تقرّر والوعد غير قابل للإلغاء، كما قيل في مثلنا هنا: «ليكن لك سلطان على عشر مدن»، «وكُنْ أنت على خمس مدن». «ومَن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطانًا على الأُمم، فيرعاهم بقضيب من حديد» (رؤ٢: ٢٦). ثم أكمل السيِّد حديثه عن حتمية الهلاك لرافضي المسيح: «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي». والسؤال: **مَن هم الذين لم يريدوا أن يملك عليهم؟** إنهم «أهل مدينته الذين كانوا يبغضونه» (ع١٤) ورفضوا أن يملك عليهم. وفي مزمور٤٥- وهو المزمور الثامن من المزامير المسيَّاوية الـ ١٤ والمُعَنْون «ترنيمة محبة» ويتحدث عن عرس الملك وترنيمة العروس، كما إنه يتكلَّم عن ظهور المسيح بالمجد والقوة وإخضاعه لأعدائه وتأسيس ملكوته - فيقول: «تقلد سيفك على فخذك أيها الجبَّار، جلالك وبهاءك. وبجلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدِّعة والبر. فتُريك يمينك مخاوف. نَبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون».

فالذي رفضوه قائلين: «لا نريد أن هذا يملك علينا»، عندما يأتي ليملك «بجلاله وبهائه» ستظهر قوَّته بواسطة القضاء المُخيف الذي سيُجريه وستكون «نَبله المسنونة في قلب أعداء الملك»، هذه السهام لا تخطيء الهدف تجاه رافضيه وكل أعدائه والذين لم يريدوا أن يملك عليهم، سيسقطون «شعوب تحتك يسقطون»، وسيكثر قتلى الرب ولن يستطيع أحد أن يقف في وجه الله، عندما تمسك يده بقوس القوة. فالذي تجسّد ورفض من الناس ومات موته الكفَّاري، قد قام من الأموات وصعد وسيأتي حسب وعده وسيسحق أعداءه ورافضيه، والذي لم يعرفه في ثوب الحمل، سيراه كالأسد، والذي جاء ليخلِّص، سيأتي ثانية ليَدين، والذي صُلب وعُلق على خشبة سيأتي وسيفه على فخذه وقبلما يملك بالبر والعدل لا بد أن يدين، فتسقط

الشعوب تحته قدميه ويهلِك رافضيه.

أخيرًا .. لقد أعطى الرب وصية: «تاجروا حتى آتي»، وهذا ليس مجرد تكليف، بل أنه أيضًا امتياز. والخدمة هي نشاط محبة الله في قلوبنا، فيتولَّد شوق في نفوسنا لخلاص مَن حولنا، وليس هناك مصدر لتتميم وصية الرب: «تاجروا حتى آتي»، إلا محبتنا لسيدنا وللنفوس التي أحبها.

مثل العبيد البطالين

(لو ١٧:٧-١٠)

«[٧]وَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى، يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْحَقْلِ: تَقَدَّمْ سَرِيعًا وَاتَّكِئْ. [٨]بَلْ أَلاَ يَقُولُ لَهُ: أَعْدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ، وَتَمَنْطَقْ وَاخْدِمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ، وَبَعْدَ ذلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ؟ [٩]فَهَلْ لذلِكَ الْعَبْدِ فَضْلٌ لأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ؟ لاَ أَظُنُّ. [١٠]كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا» (لو١٧: ٧- ١٠).

هذا المثل قاله الرب يسوع لتلاميذه بعد أن كلَّمهم أن يتجنبوا العثرات وحذّرهم: «احترزوا لأنفسكم»، أي احترزوا من أن يستخدمكم الشيطان ليعثر بكم الآخرين. ثم كلَّمهم عن الغفران وحثّهم على الإيمان وأهميته في الغفران قائلاً: «لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذه الجميزة: انقلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم». وهنا شعر التلاميذ أن إيمانهم لم يرتقِ إلى هذا المستوى من الغفران الذي حثهم عليه، حين قال: «وإن أخطأ إليك أخوك فوبِّخه، وإن تاب فاغفر له. وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم، ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلاً: أنا تائب، فاغفر له». فشعروا بحاجتهم إلى مقدار أوفر من الإيمان، يغلب عدم الغفران لتكرار إساءة المسيء «فقال الرسل للرب: زد إيماننا». فأعلن لهم الرب أن ما نحتاجه ليس كمًا من الإيمان، بل إيمانًا حقيقيًا صادقًا لديه قدرة على النمو والخدمة. فقدّم لهم هذا المثل

ليحارب الكبرياء عندهم كتلاميذ لأفضل معلِّم. فهم معرَّضون أن ينتفخوا بما لديهم من تعليم أو مواهب، فالشعور بالأهمية الذاتية يجب أن يُقلع من جذوره حتى وإن استخدمنا الرب أمثل استخدام، فلسنا إلا عبيدًا وعلينا أن نقوم بالمهام التي أسندها إلينا السيِّد بإحساس صادق بعدم استحقاقنا، فوجّه الكلام للخدام قائلاً: «ومَن منكم له عبد يحرث أو يرعى، يقول له إذا دخل من الحقل: تقدم سريعًا واتكئ؟».

من الواضح إن تلاميذ الرب لم يكن لهم عبيد، فأغلبهم من الصيادين الكادحين، لكن الرب هنا يكلِّمهم بما هو سائد من حولهم، فلا يمكن أن يكون لواحد عبد يحرث في الحقل أو يرعى الغنم ويعود متعبًا، فيحضر له سيِّده مقعدًا ويجلسه ليستريح أو يحضر له وجبة عشاء!! وهذا لا يحدث مطلقًا! فالعبد ملك لسيِّده وعمله ليس فقط في الحقل، لكن أيضًا له عمل في البيت

بعد العودة من الحقل. فيوم العبد لا ينتهي بانتهاء عمله بالحرث أو الرعي، بل عند عودته يأمره سيِّده أن يعد له ما يتعشَّى به وهذا ما قاله الرب في المثل: «بل ألا يقول له: أعدد لي ما أتعشى به، وتمنطق واخدمني حتى آكل واشرب، وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت؟». هذا هو الواقع، فالعبد عليه أن يتزر ويتمنطق بمجرد دخوله من الحقل، ليعد لسيِّده ما يتعشّى به في طاعة كاملة «بعد ذلك يأكل ويشرب هو»، فالسيِّد أولاً، وطاعته ثم هو وراحته.

لكن لماذا لا يقول السيِّد لعبده الذي أنهى عمله في الحقل: تقدم سريعًا واتكئ؟ لماذا لا يريده أن يستريح؟ لأن هناك وقتًا للراحة، أما هذا الوقت، فهو وقت عمل.

صحيح إن الرب لم يحرم تلاميذه من الراحة، بل في مرقس ٦: ٣١ «قال لهم: تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً»، لكن لا ننسَ أنهم كانوا سيجلسون معه ليستريحوا، فهو لا يحرمنا هنا من الراحة، لكن معه. كما أنه لا يحرمنا من الاسترخاء والراحة، لكن «استريحوا قليلاً» لتجديد الطاقات لاستمرار الخدمة. هذا «لأنه وقت عمل للرب». وبعد

التعب وانتهاء الخدمة يأتي وقت الجلوس والراحة والشبع مع الرب يسوع المسيح دون عناء.

والحرث والرعي المُشار إليهما في المثل يكلِّماننا روحيًا عن خدمتين هامتين لكل عبد أمين لسيِّده في الوقت الحاضر وهما: خدمة الكرازة في الخارج في الحقل أي العالم للنفوس التي لا تعرف شمالها من يمينها، أما الخدمة الثانية فهي خدمة رعوية في الداخل وتشجيع المؤمنين وتقديم الطعام لهم لينموا في معرفة الرب.

ونحن نعلم أن لكل واحد منا خدمته الخاصة ليتممها. فليس الجميع مبشِّرين، كما أن ليس الجميع رُعاة ومعلِّمين لأن هذه المواهب الثمينة تُمنح من سيِّدنا ومعبودنا الكريم رأس الكنيسة. وكلا الخدمتين هامتان وثمينتان ومكملتان لبعضهما، سواء خدمة الحقل أو الخدمة الرعوية، لكن هناك عمل آخر هنا في هذا المثل، طلب السيِّد من عبده أن يقوم به بعدما عاد من خدمته، إذ قال له: «أعدد ما أتعشى به، وتمنطق واخدمني حتى آكل وأشرب». إنها خدمة السيِّد نفسه، الانشغال به، إنها تعني خدمة السجود التي تشبعه وترويه «تقدم واخدمني». نعم! إنها خدمة تستلزم المنطقة. فالسجود لا يعني مجرد تقديم عبارات منمقة أمام السيِّد، لكنها خدمة مشبعة له، إنها سكب القلب أمامه.

لقد كان إبراهيم غنيًا، لكنه عندما صعد إلى جبل المُريَّا لم يأخذ معه غنمًا أو بقرًا ولا أي شيء من غناه. لكنه ذهب ومعه الحطب والنار والسكين وقال لغلاميه: «اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد، ثم نرجع إليكمَا» (تك ٢٢: ٥). إنه صعد مع إسحاق ليسجدَا معًا. فالسجود يتضمن الخدمة والتكريس والطاعة. ففي السجود عطاء من أسمى أنواع العطاء وهذا مع يشبع السيِّد لأنه أسمى امتياز للمؤمن، كما أنه قمة ما يطلبه الآب، لقد قال الرب يسوع في يوحنا ٤: ٢٣ في حديثه مع المرأة السامريَّة: «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له». ولا نقرأ في أي مكان آخر في كل الكتاب أية طلبة للآب إلا هنا «طالب ساجدين».

والعبد في مَثَلَنا سمع قول السيِّد: «أعدد ما أتعشى به، وتمنطق واخدمني» وبكل طاعة ودون تذمر أو احتجاج، بل بفهم لأهمية خدمة السيِّد «حتى آكل وأشرب»، لأن السجود يشبع قلب السيِّد الرب . وفي السجود علينا أن نقدم للرب ما يشبعه أولاً، وأن نعطيه المجد والكرامة قبل أن نعرض عليه احتياجاتنا. فالسجود يأخذنا إلى جو الأبدية.

وفي يوحنا ١٢ في بيت عنيا تأتي الجملة الرائعة «فصنعوا له عشاء»؛ أي كل من مريم ومرثا ولعازر اشتركوا في إعداد العشاء لمَن هو غرض قلوبهم، وهذا أنعش قلب السيِّد وكان لكل منهم دور «مرثا كانت تخدم»، خدمة المحبة دون أي مشاحنة أو دمدمة أو مجادلة. «وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه» في شركة هادئة، أما مريم «فأخذت منًا من طيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت قدمي يسوع، ومسحت قدميه بشعرها»، وهذا هو السجود المقدس الذي نال المديح. فالرب قدر محبة مرثا وشركة لعازر، لكنه مدحَ سجود مريم. وفي ذكر الحادثة في متى ٢٦: ١٣ «الحق أقول لكم: حيثما يُكرَز بهذا الإنجيل في كل العالم، يُخبر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها».

فالجلوس عند قدمي السيِّد هو المحرك للخدمة والشركة. فإن لم يتمنطق هذا العبد ويخدم السيِّد حتى يأكل ويشرب لا يقدر أن يأكل ويشرب ليقوم بالخدمة في اليوم التالي. فشركتنا وجلوسنا عند قدميه تشبعه وتشبع قلوبنا لنقوم بالخدمة الموضوعة علينا.

ثم يكمل الرب المثل: «فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به؟ لا أظن». نعم! لأنه عبد وعليه طاعة سيِّده وبعدما يطيع، سيأتي الوقت و«يأكل ويشرب» ويستريح. فالمؤمن خادم يخدم سيِّده والمؤمن عبد عند سيِّده وعليه الطاعة، بل أول شعور يخرج تلقائيًا من الشخص الذي تقابل مع الرب هو: «يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟»، هذه أول كلمات تساؤل الطرسوسي عندما تعامل معه الروح القدس في الداخل لكي يخصصه لله ولطاعة يسوع المسيح.

فنحن مختارون من الآب، ومقدسون بالروح لتقديم الطاعة (١بط١: ٢)،

كمُختارين «بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة». والطاعة المطلوبة منا هي على نفس قياس طاعة الرب يسوع المسيح المبارَك الذي كان طعامه وشرابه أن يصنع مشيئة الآب «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت» (مز٤٠: ٨). هو الذي قال: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني» (يو٤: ٣٤).

فنحن عبيد لسيِّد رائع خدمنا خدمة شاقة مكلِّفة وعلينا أن نخدم بطاعة كاملة في الحقل وفي البيت طوال يومنا، ثم نقدم السجود الواجب للسيِّد الذي أعطانا شرفًا أن نكون خدامًا وعبيدًا له وعلينا كعبيد نستيقظ مبكرين قبل الجميع لنقضي وقتًا مع السيِّد، ثم نذهب حيثما يريدنا أن نذهب. وعلينا بعد أن نفعل كل هذا أن لا نمتلئ بالرضا عن الذات وننتظر ثناء من حولنا لمجهوداتنا، فكل هذا خطير على صحتنا الروحية ويدخل الزهو إلى نفوسنا، لذا قال الرب لتلاميذه: «كذلك أنتم أيضًا، متى فعلتم كل ما أُمرتم به، فقولوا: إننا عبيد بطالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا».

فإن أطعنا الرب، فليس هذا إلا الواجب علينا، فالطاعة ليست عملاً تطوعيًا أو تفضيلاً من بل إن الطاعة إلزامية علينا. كما يجب ألا يغيب عن بالنا أن الأجرة لا تُعطَى للخادم في اليوم الآتي بنسبة نجاح خدمته، بل بحسب تعبه «لكن كل واحد سيأخذ أُجرته بحسب تعبه» (١كو٣: ٨). لهذا ليتنا نجتهد أكثر في خدمته ونشبع قلبه ونطيع أوامره لأنه في واقع الأمر لا يستطيع أحدنا أن يقول إنه فعل كل ما أمرنا به السيِّد، لذا لا مجال للتفاخر أو الزهو، لأن هناك أمورًا كثيرة قد قصرنا في أداءها وكم من نفوس قابلتنا وقصّرنا في تقديم الدعوة لها أو كم من خدمات شاقة رفضنا الذهاب إليها، ولنسأل نفوسنا: هل نحن نتمِّم ما جاء في كولوسي١: ٢٨ «مُنذرين كل إنسان، ومُعلِّمين كل إنسان، بكل حكمة»، هل نفعل هذا؟ الحقيقة كلنا «عبيد بطَّالون»، ولا ندَّعي أننا نعمل كل ما كان ينبغي علينا، بل وما أحوجنا للطاعة والاجتهاد في الخدمة أو الجلوس معه وتقديم السجود.

وإن كنا صادقين مع أنفسنا وأدركنا أننا بالفعل «عبيد بطَّالون» ولم نحيَ

حياة الزهو أو الإعجاب بالإنجازات التي يستخدمنا فيها الرب أظهرنا أمانتنا في القليل الذي بين أيدينا، سنسمع منه قريبًا النِعمَّا: «نِعمَّا أيها العبد الصالح والأمين»، بل وأيضًا سيتمنطق – له كل المجد – ويُتكئنا وسيتقدم – له كل المجد – ويخدمنا.

مثل السراج تحت المكيال

(مت ٥:١٣-١٦؛ مر ٤:٢١ و٢٢؛ لو ٨:١٦)

«١٣أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ. ١٤أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، ١٥وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. ١٦فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت٥: ١٣- ١٦).

هذا المثل قاله الرب بعدما صعد إلى الجبل في بداية الأصحاح، ويرجّح أنه جبل تابور؛ أي جبل الارتفاع، وكأنه يلقي خطاب العرش كالملك في إنجيل الملك وبعد النصرة على الشيطان في الأصحاح الرابع وربطه له في البرية ليبدأ خدمته الجهارية، ليعرِّف تلاميذه بمبادئ ملكوت السماوات في أول عظة. علمًا بأن هذه العظة أو خطاب العرش لا يشرح طريق الخاطئ إلى السماء، لكنه يشرح طريق السماء إلى المؤمنين، أو كما تسمى بعظة الأخلاق المسيحية التي بدأها بالتطويبات التسع المتعاقبة ورد فعل المجتمع على مَن يتحولون بهذه السِّمات الرائعة في تطويبات «طوبى للمطرودين من أجل البر... طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين ..».

بعد هذه التطويبات التسع قدم تشبيهين ليوضح أثر أتباعه على من حولهم كملح للحفظ، وكنور للهداية. لكن في قوله: «أنتم ملح الأرض» في حصر اللفظ هنا لا يُقصد به المسيحيون في تدبير النعمة الحاضر فقط، بل الكلام لتلاميذه كالبقيَّة الإسرائيلية الذين كانوا لا يزالون تحت الناموس، لكن آه! فقد فسد الشعب الإسرائيلي في مهمته ولم يعد يصلح بعد وطُرح خارجًا وديس من الناس وهذا ما حدث معهم كشعب. لكن عند ربط الكلام هنا مع قول الرب لتلاميذه وما سيعانونه من آلام «من أجل البر» ومن «أجله» نرى دور المؤمن بالمسيح وسط هذا العالم، سواء كملح أو كمنارة.

«أنتم ملح الأرض» والملح لا يعالج ما فسد، لكنه يوقف زحف الفساد ويحفظ الجيد في حالة الجودة. والواقع ما أشد حاجة العالم اليوم لمَن يوقف زحف الفساد، فيا ليتنا كمؤمنين نعي دورنا.

كما إن الملح يولِّد عطشًا، فهل نحن بسلوكنا وسط هذا العالم نولِّد فيهم الشوق إلى الماء الحي؟ وهل نرشدهم أو نشوقهم إلى الينبوع؟ ولا ننس أن الملح أبيض ناعم، بل وسريع الذوبان وهذا ما يجب أن نكون عليه من نقاوة وطهارة وتواضع ووداعة، لكنه أيضًا رخيص ومن هذه الوجهة نرى عدم تقدير الناس لنا، لكننا لا نبالي بتقديرهم أو عدمه، لأن وجودنا هام بينهم لأن قليلاً من الملح يعالج مسوخة هذا العالم الذي لا طعم له بدوننا. وإن كان المؤمنون في العالم قلة، لكن الرب قادر أن يستخدمنا بقوة. خذ مثلاً بطرس في أعمال ٢: ٤١ ومدى تأثير أقواله عن يسوع الناصري الذي صنع قوات وعجائب وأسلم بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وصُلب وقُتل وقام ناقضًا أوجاع الموت. فهل كان لكلامه أثر على السامعين؟ نعم وقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو «ثلاثة آلاف نفس». فملح قليل، ربما شخص واحد كبطرس هنا، لكنه عظيم الأثر.

لكن لا ننسَ أن الملح لاذع، وهذا أيضًا ما يجب أن نكون عليه. ففي جامعة٨: ١١ كلام الحكماء «كالمناسيس» والحكماء هم المؤمنون الممتلئون بروح المسيح وليس مطلوب منهم مسايرة العالم بتعاليمه أو بدعه أو شروره،

بل حث الناس بالكلام من كلمة الله على السلوك بالاستقامة. فالمناسيس هي «المناخس» التي تستخدم لحث الثيران للسير المستقيم في الخطوط المرسومة لها. وهذا هو دورنا بقوة الروح القدس أن ننهض النفوس بالمكتوب، وأيضًا نرى هذا في أعمال ٢: ٣٧ «فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم».

لكن ماذا يحدث لو انفتح أتباع المسيح على العالم؟ لن يعد لهم تأثير. وهذا ما حذَّر منه الرب حين تكلَّم عن فساد الملح «أنتم ملح الأرض. ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح؟ لا يصلح بعد لشيء إلا ليُطرح خارجًا ويداس من الناس». وهذا وكما سبق القول ما حدث مع شعب إسرائيل وكُتب لإنذارنا «فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا» (١كو١٠: ١١). فقد اختلط شعب الرب بالعالم وفقدوا تأثيرهم وفسد الملح وطُرح وديس من الناس. والتحذير لنا من التصالح مع العالم ونعمل ما عمله لوط، حتى إنه عندما أراد أن يقوم بدوره كمنذر وخرج «ليكلِّم أصهاره الآخذين بناته وقال: اخرجوا من هذا المكان، لأن الرب مُهلكٌ المدينة» (تك١٩: ١٤)، ماذا كان تأثيره وهم كانوا قبلاً يرونه جالسًا في باب سدوم؟ بكل أسف! فقد ملوحته «فكان كمازح في أعين أصهاره» وهلكوا مع مَن هلك! لأن مُبشِّرهم ومُنذرهم لا يعيش حياة الاغتراب.

ففساد الملح يحدث عندما يختلط بالرمال. لكن فساد الملح لا يجب أن يُفهم أن في هذا إشارة إلى مؤمن فقد خلاصه، فالخلاص لا يُفقَد. لكن فساد الملح يشير إلى مؤمن فقدَ تأثيره وكلامه لا يصبح له قبول وهذا هو المقصود من «يداس من الناس».

«أنتم نور العالم»، لما كان الرب هنا في أيام تجسده، كان هو نور العالم «ما دمت في العالم فأنا نور العالم» (يو٩: ٥)، وها هو هنا يعد تلاميذه لكي يقوموا بنفس الدور بعد غيابه. فنحن مدعوون كمسيحيين عائشين «في وسط جيل معوَّج ومُلتوٍ، تضيئون بينهم كأنوار في العالم. متمسكين بكلمة الحياة» (في٢: ١٥)، فهذه هي المسؤولية الفردية باعتبار أن المؤمنين شعب في المنارة الذهبية الخارجة من جانبي الساق الرئيسية الوسطى فهم «نور في

الرب» (أف٥: ٨)، فالرب يسوع هو الذي أضاء بلمعان كامل وسط ظلمة هذا العالم ونحن نستمد منه النور وعصارة الحياة.

والنور للهداية، وكلما اشتد الظلام اشتد الاحتياج للنور. لذا الرب يعلن استحالة أن لا نشعر العالم بتأثيرنا، فيشبه الرب تلاميذه من هنا بتشبيهين: أولاً: بمدينة، وثانيًا بسراج. فيقول: «لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل». هذا هو تأثيرنا كمؤمنين على مَن هم من خارج. الجبل مرتفع. وإذا وجدت مدينة موضوعة عليه، فلا بد أن يراها الجميع من بُعد لا سيما في الليل عندما تُضاء هذه المدينة، فأنوارها المبهرة تتلألأ لكل مَن يراها وهو دورنا كشهود للرب.

والنور تأثيره صامت، لكنه قوي وأكيد، والنور يبدِّد الظلام ويشهد عليه وهذا هو دورنا في زمن غربتنا، أن يعرف الذين هم من خارج الرب يسوع بشهادتنا عنه بسلوكنا وأقوالنا، فنسلك كأولاد نور وعندما يرى العالم هذا الضياء ينسبونه للمصدر الحقيقي ويعود المجد للآب الذي في السماوات. هذه هي الناحية العلنية المتعلقة بشهادتنا بالعالم من حولنا. فالعالم من حولنا يرانا. فيا ليت بهاء الرب يسوع المسيح ينعكس علينا. فالرب لم يتركنا هنا على الأرض، إلا لنعكس نوره للعالم.

أما التشبيه الثاني فهو السراج، والرب يقول: «ولا يوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيُضيء لجميع الذين في البيت»، وهنا نرى تأثير المؤمن على مَن في البيت، فالمؤمن المُمتلئ من الروح القدس يكون بمثابة جمرة متوهجة لها تأثيرها القوي في البيت لتشديد وتشجيع وإلهاب قلوب إخوته. إما إذا رأى من في البيت أخًا متراخيًا أو منغمسًا في العالم ولو بأمور مشروعة، فسيكون له تأثير سلبي على الجماعة. فالمؤمن الشاهد بحياته وسلوكه هو مصباح أضاءه الرب لأجل فائدة الآخرين ووضع السراج تحت المكيال يشير لمؤمن انشغل بمشغوليات الحياة أو التجارة، فأخفق نوره. فمكان السراج على المنارة في أبرز مكان حتى يضيء لجميع الذين في البيت، فيكون بأفعالهم.

ويكمل الرب: «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجِّدوا أباكم الذي في السماوات». وهنا يعلن الرب ما هو هدف المؤمن الحقيقي «يمجِّدوا أباكم الذي في السماوات»، فليس هدف المؤمن حتى بخدمته أو تبشيره أن يرى الناس أعماله الحسنة، فيمدحوه، بل أن يأخذ الرب مجده ومكانته.

فعلينا كمؤمنين ألا نفشل حتى وإن صدر منا تقصير وكثيرًا ما وضعنا السراج تحت المكيال، فما زال أمامنا فرصة. فلنرفع المكيال ولنوقد السراج ليعود إلى مكانه على المنارة، فليضيء لجميع من في البيت، سواء بيوتنا الحرفية وأُسرنا وأنسبائنا وأولادنا وأحفادنا، أو أيضًا كنائسنا ونكون بركة لجميع الذين في البيت، بل وأيضًا قدام الناس بالشهادة والسلوك الذي يوافق الأقوال، فيعود المجد للرب قبل أن تُخطف الكنيسة وينتهي دورنا في العالم الذي سينغمس في ظلمة حالكة وسيعثرون.

مثل الثوب الجديد والخمر الجديدة

(مت ٩:١٦ و١٧؛ مر ٢:٢١ و٢٢؛ لو ٥:٣٦-٣٩)

«[٣٦]وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلاً: لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، وَإِلاَّ فَالْجَدِيدُ يَشُقُّهُ، وَالْعَتِيقُ لاَ تُوَافِقُهُ الرُّقْعَةُ الَّتِي مِنَ الْجَدِيدِ. [٣٧]وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. [٣٨]بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ، فَتُحْفَظُ جَمِيعًا. [٣٩]وَلَيْسَ أَحَدٌ إِذَا شَرِبَ الْعَتِيقَ يُرِيدُ لِلْوَقْتِ الْجَدِيدَ، لأَنَّهُ يَقُولُ: الْعَتِيقُ أَطْيَبُ» (لو٥: ٣٦- ٣٩).

خلفية هذا المثل تبدأ عندما «أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين: لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيرًا، وأما تلاميذك فلا يصومون؟» (مت٩: ١٤). والرب كان قد عيَّن لشعبه في العهد القديم صومًا يومًا واحدًا في السنة وهو يوم الكفارة «فتذلِّلون نفوسكم ... من المساء إلى المساء» (لا٢٣: ٣٢)، وفي هذا فقد قَرنَ الصوم بالتوبة والتذلل.

وبرغم أن الفريسيين رفضوا معمودية يوحنا ونداءه، إلا إن تلاميذه الذين كانوا قبلاً متتلمذين على يد الفريسيين، لكنهم وبعدما «اعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم» (مت٣: ٦)، كانوا ما زالوا متمسكين بالصوم كالفريسيين، لذلك «أتى تلاميذ يوحنا»، مع الفريسيين، متعجبين من عدم

صوم تلاميذ الرب يسوع مثلهم ومثل الفريسيين. وهنا وجّه الرب الإجابة لهم في صورة سؤال: «هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم؟»، ذلك لأن الصوم قرين بالتوبة والصلاة، لذا فهو قرين بالنوح أيضًا. وفي يوئيل٢: ١٢ يقول الرب: «ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح»، وطالما العريس – وهو المسيح – بين تلاميذه، فهذا وقت الفرح لا النوح، لذا لا يوافقهم الصوم الذي يقترن بالنوح. ثم أكمل الرب حديثه: «لكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون» (مت٩: ١٥). وحدث بالفعل، فبعدما رُفع العريس عن التلاميذ، نراهم في أعمال١٣: ٢، ٣ «بينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلَّوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما».

لكنّ الفريسيين – وحبًا في الظهور بمظهر التقوى – فرضوا على الشعب صوم يومين في الأسبوع، ولا توجد وصية في الكتاب بالمرة تشير لهذا الصوم الأسبوعي الرتيب. فالصوم ليس فرضًا بشريًا دوريًا، والرب أعلن ذلك في متى٦: ١٧ «أما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائمًا، بل لأبيك الذي الخفاء. فأبوك الذي في الخفاء يجازيك علانية». وعليه، فالصوم مسألة شخصية تدعو إليه الحاجة أو جماعي لوجود ظرف جماعي مشترك كما حدث في صوم أستير وشعبها (أس٤: ١٥– ١٧)، أو كما رأينا في أعمال١٣: ٢، ٣ لأجل عمل الرب وإرسال خدامه للخدمة. أما الصوم كفرض كما نرى في مثلنا هنا، فالفريسيون فرضوا أصوامًا كثيرة «لماذا نصوم نحن – تلاميذ يوحنا – والفريسيون كثيرًا؟». والسؤال: مَن طلب هذا منكم؟ إنها «وصية الناس معلَّمة» (إش٢٩: ١٣). وفي لوقا ١٨ في مثل الفريسي والعشَّار نرى الفريسي عندما وقف ليصلِّي بدأ صلاته بالشكر: «اللَّهمَ أنا أشكرك»، لكن لم يشكر الله على أي شيء أعطاه له، بل سَردَ في كبرياء ما يقوم به وميّزه عن الآخرين، ثم يقدّم وصية الناس عن وصية الله، مقدمًا الصوم عن تقديم العشور «أصوم

مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه»، أي قدّم التقليد على كلمة الله، قدّم تعاليم الفريسيين على أقوال الكتاب!!

ثم بدأ الرب بالمثل الذي سنرى فيه خلطًا غير مُطوَّب للعتيق بالجديد، «وقال لهم مثلاً: ليس أحد يضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق، وإلا فالجديد يشقه، والعتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد». إننا كلما فحصنا كلمة الله، كلما تحققنا أن الرب لا يريد أن يحسن الخراب، بل يخلق شيئًا جديدًا بالتمام، فالرب هو الخالق والخالق لا يصلِح العتيق، بل يخلق شيئًا جديدًا بالمرة شيئًا جديدًا كليًا شيئًا، لم يكن موجودًا قبلاً.

فالسؤال الذي جاء به تلاميذ المعمدان عن الصوم دفع الرب يسوع ليعلن أن حضوره وسطهم كالعريس كان ليبدأ تدبيرًا جديدًا. ويلاحظ دقة الوحي اللفظي، فهو لم يتكلَّم عن رقعة جديدة، بل **ثوب جديد**، والثوب الجديد لا يجب أن يُشق ليُؤخذ منه رقعة. فهنا الرب يتكلَّم عن نظام جديد أو عهد جديد، لذا لا يوافق أن يؤخذ منه شيء لإصلاح أو ترقيع الثوب القديم. فالمطلوب خلع الثوب العتيق بكل ما فيه ولبس الجديد برونقه البهي. فعهد الناموس كان موسى وسيطه وكان العهد «مرتبًا بملائكة في يد وسيط. وأما الوسيط فلا يكون لواحد – أي لا بد أن يكون له طرفان» (غل٣: ٢٠). أما عهد النعمة، فليس عهدًا بين طرفين: الله والإنسان، بل هو عهد قائم على طرف واحد «عهدًا جديدًا» على أساس سفك دم الرب يسوع المسيح، كما قال: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت٢٦: ٢٨).

فالعهد القديم مبدأه الناموس، مبدأ العهد الجديد هو النعمة. فكيف تُؤخذ قطعة من الثوب الجديد وتوضع كرقعة على الثوب العتيق «العتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد»؟! العهد القديم عهد الناموس كان «وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مرارًا كثيرة تلك الذبائح عينها، التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية. وأما هذا – الرب يسوع المسيح وسيط العهد الجديد – فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله» (عب ١٠: ١١).

فذبيحة الرب يسوع أنهَت ذبائح الكهنة اليومية.

لا يمكن خلط مبادئ عهد الناموس وتدبيره بتدبير النعمة، ومحاولة خلط الناموس بالنعمة تشبه أخذ «رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق»، ماذا سيحدث؟ «الجديد يشقه»، فالعتيق ترهَّل ولا يحتمل الجديد، بل «العتيق لا توافقه التي من الجديد»، لأنها ستظهر مدى ترهله، وإذا أُخذ الجديد من العتيق وخلط الناموس بالنعمة «يصير الخرق أردأ!» (مر٢: ٢١).

فالرب يسوع هنا يحذّر من خلط العتيق بالجديد، فما عتق وشاخ لا تصلح معه رقعة جديدة «فإذ قال: **جديدًا**، عتَّق الأول. وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال» (عب٨: ١٣).

إن الناموس والنعمة ليسا عدوين ولا يتعارضان. لقد أتى بنا الناموس إلى المسيح «إذًا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح، لكي نتبرَّر بالإيمان» (غل ٣: ٢٤). وقد أدى الناموس وظيفته، وجاءت النعمة لتعمل ما لم يستطع الناموس فعله، فأعطتنا خلاصًا من الخطية وأعتقتنا من سلطتها. فالناموس كطبيب الأشعة الذي كشف حالنا وعجزنا، لكنه لم يعطنا علاجًا، بل حوّلنا إلى الطبيب المعالج، أي تدبير النعمة لكي نتبرر بالإيمان، فالناموس لم يعد قاعدة السلوك المسيحي «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه، في ما كان ضعيفًا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد» (رو٨: ٣). فالناموس لم يمت، ولكنه حي، يسود على الإنسان الحي في الجسد ولا يتحرّر الإنسان منه إلا بالموت، وهذا ما تم فينا بموتنا مع المسيح. فعدم فهم حقيقة موتنا مع المسيح للخطية والناموس هي التي جعلت الكثيرين يتمسكون بالثوب العتيق مع وضع رقعة من العتيق على الثوب الجديد، فشوّهه وهذا هو تهويد المسيحية بتقليد من اليهودية في مذبح أرضي يختلف كل الاختلاف حتى عن المذبح اليهودي، وذبيحة تختلف كل الاختلاف وهيكل لا علاقة له بالهيكل القديم، فضاع جمال الثوب الجديد. ويبرِّرون مبادئهم وتعاليمهم ومزيجهم العجيب بأن العهد الجديد جاء به ذكر

لوجود مذبح وقربان وكاهن وهيكل كما في متى٥: ٢٤، لكن فاتهم أن النظام القديم بجملته كان لا يزال قائمًا. والبعض يستشهدون بقول الرب يسوع: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمِّل» (مت٥: ١٧). والحقيقة إن الرب كان يتكلَّم عن موته على الصليب الذي به أكمل أحكام الناموس في احتمال الموت عنا وأكمل رموز الناموس التي كانت ترمز إليه في موته، لذلك قال إنه بموته «تكمل الكتب» (مت٢٦: ٥٤).

لقد سمع الغلاطيون الإنجيل بواسطة الرسول بولس ورجعوا إلى الله وقبلوا الروح القدس. لقد ابتدأوا بالروح، لكن سرعان ما انحرفوا عندما أرادوا وضع «رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق»، حتى وصفهم بولس بالغباء: «أيها الغلاطيون الأغبياء» (غل٣: ١). لقد أرادوا أن يختتنوا ويُرجِعوا أنفسهم تحت الناموس.

«وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه، حتى نعبد بجدَّة الروح لا بعتق الحرف» (رو٧: ٦). وهذا ما تم فينا بموت الرب يسوع المسيح. فحقيقة موتنا مع المسيح للخطية والناموس والعالم هي التي أعتقتنا من الناموس وفرائضه، والثوب الجديد الذي لبسناه لا يقبل رقعة من العتيق الذي ترهل، «والثوب العتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد».

«وليس أحد يجعل خمرًا جديدة في زقاق عتيقة، لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق، فهي تُهرق والزقاق تتلف». الرب هنا يعلن صراحة أنه لا يليق خلط العتيق بالجديد بتشبيه آخر. فعملية التخمير تحتاج إلى زقاق شديدة تحتمل التمدد، فإن كانت الزقاق عتيقة، فإن أليافه لا تحتمل عملية التخمير، فتنتفخ الزقاق وتشق.

إن الخمر الجديدة هي أفراح بشارة النعمة والخلاص المجاني بالإيمان، والتبرير بكفاية عمل الرب يسوع، فإذا ما وُضِعت هذه في زقاق الناموس العتيقة تشقه، فهو لا يعرفها ولا يحتملها وحين «يشق الزقاق فهي تهرق». فإذا خلط أحد الناموس بالنعمة ضاع جمال النعمة وفُقدت البهجة والفرحة الناتجة من الخمر الجديدة ولم يصبح لا للناموس أو للنعمة أي معنى، بل ساد

خليط يشوبه التشويش، فليس هو ناموسًا وليست هي نعمة وهذا ما نراه في المسيحية الآن! فقد فقَدت النعمة جمالها كنعمة واختلطت بالناموس وأعماله، فلم يستمتع أحد بالنعمة ولم يقدر أحد أن يعمل أعمال الناموس. فالرب يعلن أنه جاء بخمر جديدة وزقاق جديدة وهذا ما جعل الناموسيين من حوله يزدادون غيظًا، لأن الإنسان الطبيعي أكثر ما يبغضه هو عدم التقدير لتديُّنِه، فأعلن الرب: «وليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد، لأنه يقول: العتيق أطيب!». فالرب هنا كشف رفض الفريسيين التدبير الجديد وقناعتهم التامة بالعتيق وتدبيره، لأن فيه اجتهادًا وأعمال جسد وممارسات قد أَلِفوها، فالإنسان يفضّل ما هو عتيق لأنه يفترض في نفسه القوة ليعمل ولا يريد أن يقنع بكفاية عمل ابن الله.

فمن المستحيل الربط بين ثوب المسيحية الجديد وثوب اليهودية الذي تهرأ وتمزَّق كتدبير أثبت فشل الإنسان تحت المسؤولية. كما أن روح الله في تدبير النعمة لا يمكن أن يُحَد في نطاق فرائض الناموس وعليه، فقد نحّى الرب النظام القديم الذي لا يستوعب التدبير الجديد والثوب الجديد. فالمسيحية ثوب جديد، لذا لا يجب أن تُمزَج بطقوس ليست إلا من الزقاق العتيقة، فإذا خُلط التدبيران، تدبير الناموس مع تدبير النعمة، يَنتج أمرٌ عجيبٌ مشوشٌ لا يتفق مع المسيحية ولا يتفق مع روح الناموس!!

مثل الزراع

إن الأمثال التي قدمها الرب يسوع كلها من واقع الحياة. وفي مرقس٤: ١٣ أعلن الرب يسوع أن هذا المثل يعد مثلاً مفتاحيًا، حين قال لتلاميذه عندما سألوه عن المثل: «أمَا تعلمون هذا المثل؟ فكيف تعرفون جميع الأمثال؟». لذا سندرسه بالتفصيل، لنعرف منه جميع الأمثال، لا سيما أن الرب يسوع فسّر بنفسه هذا المثل.

> «في ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس عند البحر. فاجتمع إليه جموع كثيرة حتى إنه دخل السفينة وجلس. والجمع كله وقف على الشاطئ» (مت١٣: ١، ٢).

في خروج الرب من البيت وجلوسه عند البحر إشارة إلى القطع التعليمي وبداية علاقة روحية مع الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها. فالبحر رمز لشعوب وأُمم، وهنا الرب يعلن تحوله إلى الأُمم وخروجه من البيت.

ويجب أن نعرف أن متى ١٣ هو أكبر تجمع للأمثال التي قالها الرب يسوع في مناسبة واحدة. حيث أن الرب نطق فيه بسبعة أمثال، أربعة منهم عند البحر، وثلاثة في البيت. لكن السبعة الأمثال تنطبق تمام الانطباق مع تاريخ الكنيسة على الأرض، كما ورد في سفر الرؤيا (الأصحاح الثاني والثالث). وأول هذه السباعية هي هذا المثل «مثل الزراع» الذي يتفق مع كنيسة أفسس (رؤ٢: ٢: ١- ٧).

> «فكلَّمهم كثيرًا بأمثال قائلاً: هوذا الزارع قد خرج ليزرع»

(مت١٣: ٣).

الزارع هو المتكلِّم نفسه، الرب يسوع الذي «خرج» وخروجه له معنيان: المعنى الأول: هو أنه ابن داود الملك ووارث العرش، لكنه عالم بكل ما يأتي عليه وأنهم سيرفضونه ويُخرجونه خارجًا ويرفضونه، لذا «خرج الزارع» واتجه للأُمم.

لكن الزارع الذي خرج ليزرع يكلِّمنا عن الرب يسوع «الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢: ٦- ٨).

فهو بحسب زكريا ١٣: ٥ «أنا إنسان فالح الأرض». فآدم جلب اللعنة «ملعونة الأرض بسببك. شوكًا وحسكًا تُنبت لك» (تك٣: ١٨). فالشوك والحسك في الأرض يذكراننا دائمًا بالخطية والسقوط واللعنة. لكن لما جاء ملء الزمان «خرج الزارع ليزرع»، ولذا في نبوة زكريا يكمل «لأن إنسانًا اقتناني من صباي». فلقد خرج الزارع لأجل الإنسان وتنازل الرب يسوع وأخذ مركز العبد ليوفّي مطاليب عدل الله. وفي مزمور١٢٦: ٦ نراه حاملاً مِبْذَر الزرع هذا في مجيئه الأول كالزارع، لكن سيأتي ثانيًا بالترنم حاملاً حزمه.

سنرى أن التركيز في هذا المثل ليس على الزارع، ولا على نوع الزرع، لكن على نوع الأرض التي تُلقَى فيها بذار الزارع. فهناك أربعة أنواع من القلوب في كل مكان تُلقَى فيه البذار، من حيث التجاوب مع الكلمة. فسنرى أماكن ديست بالأقدام أو السيارات والمركبات، فملَست وأصبحت غير صالحة للزراعة، فبقيت البذار على سطح الأرض «فجاءت الطيور وأكلت البذار». وهناك أماكن تبدو صالحة للزراعة، فتدخل الحبوب وتنبت حالاً، لكن لأن بالتربة في الداخل أحجار «أرض مُحجرة» ولا توجد بها تربة كثيرة، بل مجرد قشرة بسيطة وليس لها عمق، لذا فهي عُرضة للاحتراق بأشعة الشمس التي تجفف الحبوب، فجفت. أما نوع الأرض الثالث فهي مملوءة بالأشواك،

فحين تُلقى البذار وتبدأ في النمو، تكبر معها الأشواك وتخنقها ولا تعطيها مجالاً للثمر. أما الأرض الرابعة فهي الأرض الجيدة التي تقبل الكلمة وتأتي بثمر.

وكما قلنا إن التلاميذ في مرقس٤: ١٠ سألوه عن المثل وكان رد الرب إن هذا المثل أولي وأساسي ومفتاح لفهم باقي الأمثال. لأنه يعلن أن المسيحية ليست امتدادًا لليهودية، بل هي عمل جديد مبني على خروج الزارع ليزرع. ويلاحظ أنه أول أمثال ملكوت السماوات، لكن الرب لم يقل في بداية المثل: «يشبه ملكوت السماوات»، العبارة التي قالها في باقي الأمثال في نفس الأصحاح في متى١٣: ٣١ عن حبة الخردل، وفي متى١٣: ٣٣ «يشبه ملكوت السماوات خميرة ...».

«يشبه ملكوت السماوات كنزًا مُخفىً في حقل» (مت١٣: ٤٤). وهكذا إلى آخر أمثال ملكوت السماوات السبعة. **فلماذا لم يَذكر الرب هنا في هذا المثل عبارة «يشبه ملكوت السماوات» مع أنه أولهم؟** الإجابة لأن الزارع كان موجودًا معهم وهو الذي يكلِّمهم. أما مثلاً، المثل الثاني فيتكلَّم عن فترة غياب السيِّد «وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانًا وسط الحنطة»، وهكذا في المثل الثالث المرأة التي خبأت الخمير لإفساد التعاليم التي علَّمها الزارع، حين خرج ليزرع وبعد صعوده وكيف دخلت تعاليم غريبة ومتنوعة في المسيحية، وهكذا إلى آخر الأمثال.

١- نأتي إلى نوع الأرض الأول:

«سقط بعضٌ على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته» (مت١٣: ٤).

فهذا قلب سمع كلمة الله، لكنه لم يبالِ ولم يعطِ لنفسه مجالاً ليفهم. فهذا ما قاله الرب بنفسه في العدد١٩ «كل مَن يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرع في قلبه».

والسؤال: لماذا لا يفهم؟ إن عدم الفهم يأتي من التمسك بما سمعه قبلاً من تعاليم موروثة، لذا عندما تُقال الكلمة، فهو ليس عنده استعداد أن يقبلها إذا

تعارضت مع تعاليمه القديمة. فهو يريد أن يطوع ما يسمعه على ما تعلَّمه من البشر وبالتالي يترك البذار على السطح ولأنه «لا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع». والشرير هو الشيطان الذي يحوم حول النفس التي تسمع الكلمة.

ويلاحظ أن الرب في العدد٤ قال إن الطيور هي التي خطفت ما قد زُرع. وفي العدد ١٩ قال إن الشرير خطف ما قد زُرع، ذلك لأن طيور السماء في كلمة الله رمز لأجناد الشر الروحية، وسنتقابل مع طيور السماء في مثل حبَّة الخردل وسنرى كيف أن الطيور تتآوى في الشجرة، وهذا ليس أمرًا جديدًا، بل تعاليم شيطانية دخلت في المسيحية، عندما كبرت الشجرة ونمت وأصبحت في بعض الدول هي الدين الرسمي للدولة، وهنا أصبحت المسيحية سوقًا للبدع وكثرت الطيور التي تآوت بها حتى إنه من الصعب إخراجها، لدرجة إننا في رؤيا٢: ١٣ نرى الشيطان بطيوره وتعاليمه ليس فقط يتآوى في الأغصان، بل يضع كرسيًا ويسكن هناك، فنقرأ: «حيث الشيطان يسكن».

وفي سفر البداءات، في تكوين٤٠: ١٩، نرى رئيس الخبازين يروي حلمه بعدما «رأى» أن يوسف عبَّر جيدًا لرئيس السقاة وهو في هذا صورة لمَن يسلك بالعيان لا بالإيمان، هذا الذي غطى نفسه وسله الأعلى بصنعة الخباز أي أعمال يديه، إذا بمصير أعمال يديه ومصيره يؤول لطيور السماء «تأكل الطيور لحمك عنك». إذًا، فالطيور في الكتاب ترمز لأجناد الشر الروحية.

ففي التربة الأولى نرى الشيطان يأتي بنفسه ليخطف ما قد زُرع ووصل إلى القلب لسببين:

أولاً: عدم الفهم، كما ذكر الرب في متى١٣: ١٩ «كل مَن يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرع في قلبه»، لكن من لوقا ٨: ١٢ نفهم أنه لعدم الإيمان «يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا».

ويلاحظ أن الكلمة في هذه التربة وصلت إلى القلب ولكن عدم الفهم وعدم الإيمان جعل إبليس يأتي ويسرق ما قد زُرع.

قد يقول قائل: إن الرب في متى٦: ٢٦ قال: «انظروا إلى طيور السماء ..»، فكيف تكون طيور السماء رمز للشيطان؟ هل الرب يدعونا للنظر للشيطان؟! بالطبع كلا! لأن موضوع متى٦: ٢٥- ٣٤ دروس من الخليقة، سواء طيور السماء أو زنابق الحقل، فيقدّم درسًا من عالم الطيور التي مجالها الجو والسماء ودرس آخر من عالم النباتات التي مجالها الحقل والأرض وكل من الطيور والزنابق ضعيفة لا أحد يهتم بها، لكن الرب بنفسه يهتم بها. إذًا الرب يحرضنا على الاتكال عليه وعدم الاهتمام بما نأكل أو نلبس وأن نطرد القلق خارجًا.

فالتربة الأولى والذي سقط «على الطريق» هي أصعب الأنواع لتدينه. فهو قد يسمع، لكن لا يريد أن يفهم «ولا يقبل ما لروح الله لأن عنده جهالة» (١كو٢: ١٤).

ويلاحظ في هذا النوع أن الكلمة وصلت إلى القلب «فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرع في القلب»، لكن عدم الفهم وعدم الإيمان جعل الشيطان يأتي في صورة قريب متديِّن أو صديق متمسِّك بتعاليم ووصايا الناس أو معلِّم متمسِّك بتعاليم الشيوخ وتقليدهم الذي تسلَّموه ويريدون أن يسلموه (راجع مر٧: ١- ١٣)، ولأن السامع لا يفهم «يُسبى بالفلسفة وبغرور باطل، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح» (كو٢: ٨). «فيخطف ما قد زُرع في قلبه. هذا هو المزروع على الطريق» (ع١٩).

٢- أما التربة الثانية، فسنرى أنها «نبتت حالاً» (ع٥).

> «وسقط آخر على الأماكن المُحجرة، حيث لم تكن له تربة مثيرة، فنبت حالاً إذ لم يكن له عمق أرض. ولكن لما أشرقت الشمس احترق، وإذ لم يكن له أصل جف».

وصاحب هذه التربة المُحجرة «هو الذي يسمع الكلمة وحالاً يفرح بها» (ع٢٠). لكنها لم تصل إلى قلبه، بل مجرد تأثير عاطفي بالكلمة النقية المفرحة. لكن هذا التأثير وهذه الفرحة دون توبة قلبية حقيقية، لذا لا يدوم حتى وإن أتت بثمر سريع، فحتى الثمر لا يدوم وسيسقط سريعًا. لماذا؟ لأن

«ليس له أصل في ذاته، بل هو إلى حين». فهو عنده استعداد أن يفرح بالكلمة، لكنه لا يقبل أن يضحي براحته من أجل الكلمة، وعندما يحسبها ويجد أن اتباع الرب يسوع سيكلفه «ضيقًا أو اضطهادًا من أجل الكلمة»، أو قد يكلِّفه تضحية بأمور محببة إلى قلبه «فحالاً يعثر» (ع٢١).

فالعدو في هذه التربة ليس الشيطان، كما «في المزروع على الطريق»، العدو هنا هو **الجسد أو الشيطان** مستخدمًا الجسد. وهذا الشخص في حساباته يختلف كل الاختلاف عن بولس الذي في رومية٨: ١٨ حَسبَ «أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا». أو يحسب حساب ٢كورنثوس ٤: ١٧ أن «خفَّة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًا»، فهو يريد أن يسمع ويريد أن يقبل الكلمة بفرح، لكنه يخشى الاضطهاد.

إذًا التربة الأولى لم تنبت، والتربة الثانية نبتت ولم تثبت.

٣- ماذا عن التربة الثالثة؟

«وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوك وخنقه» (ع ٧).

إنها نبتت وثبتت، لكنها اختنقت. لماذا؟ لأن الحبوب مزروعة «بين الشوك». والشوك يخنق، لأن له جذور متأصلة تجعل الكلمة بلا ثمر. فالعدو هنا استخدم «العالم وغرور الغنى» (ع٢١) وبحسب مرقس٤: ١٦ «شهوات سائر الأشياء»، كل هذا خنق الكلمة، فصارت بلا ثمر.

وهكذا نرى أن العدو استخدم ثلاثة أسلحة: الشيطان أولاً، ثم الجسد، وثالثًا العالم بغروره وشهواته.

٤- المزروع على الأرض الجيدة:

«وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرًا، بعضٌ مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين» (ع٨).

لذا «فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين». نعم من يفهم، يثمر «ومَن لا يفهم يأتي الشرير ويخطف ما قد زرع».

وبولس في ٢تيموثاوس٢: ٧ قال لتيموثاوس مركِّزًا على أهمية الفهم: «افهم ما أقول. فليعطك الرب فهمًا في كل شيء». صحيح إنه كان يكلمه أن يقبل أن يُعال كخادم من الإنجيل، إلا إنها قاعدة عامة تعلن أن الفهم عطية وأيضًا مسؤولية، «افهم»، «فليعطك الرب فهمًا في كل شيء». فعلينا أن نتوقع أنه إذا أردنا أن نفهم، فالرب سيعطينا فهمًا في كل شيء.

والرب في متى٢٣: ١٧- ١٩ قد وبّخ الفريسيين الذين لا يُسرون بالفهم ووصفهم مرتين بالجهَّال والعميان «فالجاهل لا يُسر بالفهم» (أم١٨: ٢). وفي أمثال١٩: ٨ يُشبَّه الفهم بشيء ثمين يجب أن يُحفَظ لخير صاحبه «الحافظ الفهم يجد خيرًا». نعم، فالفهم يمنح الإنسان سلامًا حقيقيًا ويدر عليه نفعًا «فيأتي بثمر، ويصنع بعضٌ مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين»، هذا بحسب إنجيل متى الذي يكلِّمنا عن الإنسان تحت المسؤولية، لذا نرى العد التنازلي، بينما في لوقا ٨: ٨، ولأن لوقا يكلِّمنا عن النعمة التي لنا في المسيح يسوع، نجد أن الثمر هناك «مئة ضعف»، لكن في كل الحالات الذي يسمع ويفهم، يأتي بثمر.

ثم يختم الرب أقواله في مثل الزارع بالمسؤولية الفردية لكل من يسمع بأذنيه الاثنتين: «مَن له أذنان للسمع، فليسمع». فإن كان الفهم مسؤولية، فأيضًا السمع بإصغاء مسؤولية لها بركاتها الكثيرة. وفي أعمال١٦: ١٤ «فكانت تسمع امرأة اسمها ليديَّة بيَّاعة أُرجوان من مدينة ثياتيرا متعبِّدة لله». **ماذا حدث معها؟ هل فتح الرب أذنيها فقط؟** كلا! بل «ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس». إنها تشير للمزروع على الأرض الجيدة، سمعت وفهمت وأتت بثمر. فالرب يتطلع لمن له الأذنان للسمع ليزيده ويعطيه فهمًا. لكن هناك أيضًا خطورة على مَن لا يسمع أو مَن يسمع ويطمس أذنيه لكي لا يفهم.

وكما ذكرنا أن مثل الزارع يتطابق مع الرسالة إلى كنيسة أفسس (رؤ٢: ١- ٧). وفي الرسالة الموجهة لهذه الكنيسة وتركها «المحبَّة الأولى»، تاريخيًا نراه في آخر أيام الرسل. فبولس يقول في رسالة تيموثاوس عبارتين

تؤيدان الفكرة، فيقول: «جميع الذين في أسيَّا ارتَّدُوا عني» (٢تـــي١: ١٥)، وفي ٢تيموثاوس ٤: ١٦ يقول: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معـــي، بل الجميع تركوني». فالانحدار قد بدأ والمحبة الأولى تُرِكت والرب يوجّـــه كلمته وتوبيخه وتوجيهه: «فاذكر من أين سقطت وتُب، واعمـــل الأعمـــال الأولى» الصادرة من المحبة الأولى. فعلينا أن نُعطي الرب المكانة الأولى.

والرب خَتَمَ مثلنا بالقول: «مَن له أذنان للسمع، فليسمع» (مـــت١٣: ٩)، لأن الرب يتطلع لأولئك الذين لهم الآذان المفتوحة والقلوب الواعية.

مثل حبة الخردل

(مت ١٣: ٣١ و٣٢)

«[٣١]قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ قَائِلاً: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، [٣٢]وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا» (مت١٣: ٣١ و٣٢).

هذا هو المثل الثالث من أمثال ملكوت السماوات السبعة والتي كما فهمنا، تتطابق مع تاريخ الكنيسة على الأرض والوارد في رؤيا ٢ و٣ في الرسائل السبع الموجهة إلى السبع الكنائس.

فهنا مثل حبَّة الخردل يتفق مع الرسالة إلى كنيسة برغامس (رؤ٢: ١٢-١٧) ومعنى برغامس "زواج بالإكراه" أو "اقتران" أو "انغماس". وهذا في صميم الموافقة! لأنه عندما دُمِّرت بابل على يد مادي وفارس، هرب كهنة الأسرار البابلية بأواني الكهنوت الكلداني إلى برغامس وهناك أقاموا نظامهم، لذا قدّم الرب نفسه لهذه الكنيسة كالديَّان «الذي له السيف الماضي ذو الحدين» وأعلن:«أنا عارف أين تسكن حيث كرسي الشيطان»، لأن هناك اُستشهد أنتيباس أول شهيد مسيحي يذكره الكتاب بلفظ «شهيد»، أعدمته الدولة الرومانية. وكرسي الشيطان تعبير مجازٍ يعلن عن سيادة الشيطان وسطوته. فهناك وبعد اعتناق قسطنطين المسيحية جعلها الدين الرسمي للدولة وبكل أسف، اتخذ إشارة الصليب شعارًا له في حروبه، وأصبح الصليب علمًا

للقتال!!

وكما قال أحد المؤرخين: "إن قسطنطين وجد الكنيسة لابسة ثيابًا باليـــة، فألبسها أرجوانًا وذهبًا". فقد أخذ قسطنطين رئاسة الكنيسة وفي نفس الوقت احتفظ بمركزه كرئيس الكهنة للديانة الوثنية وجلب إلى المسيحية طقوسًا كان يمارسها في الوثنية، ومن يومها لم تخرج، وهذا هو كرسي الـــشيطان فـــي وسطها أو «حيث الشيطان يسكن» (رؤ٢: ١٣)، وظهرت البدع والهرطقات وسكنت ولا يستطيع أحد أن يحركها.

وحبَّة الخردل تُشير إلى المسيحية، حين بدأت جماعـــة صـــغيرة غيـــر معروفة من العالم وغريبة عليه وفيه وليست منه.

«يشبه ملكوت السماوات حبَّة خردل»، وبذرة حبة الخردل صغيرة، لكـــن حين تكبر يبلغ ارتفاع النبتة ما بين ١٢٠ سم إلى ٤٦٠ سم. لكـــن حقيقـــة الأمر إن نبتة الخردل عليقة متسلقة، مهما إن كبرت لا تصير شجرة، إلا إذا تسلقت حول نفسها وجدلت خراعيبها وهذا نمو غير طبيعي أو اعتيادي لها، لكن بالفعل يحدث وتتسلق وترتفع وتصير شجرة.

فالمسيحية حين بدأت كانت جماعة صغيرة غير معروفـــة مـــن العـــالم وغريبة عليه، فهي فيه، لكنها ليست منه، والرب في يوحنا ١٧: ١٤ أعلـــن: «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم». فنحن في العالم كملـــح لـــه ونور «أنتم ملح الأرض ... أنتم نور العالم» (مت ٥: ١٣)، ونحن نعرف أن قليلاً من الملح يعالج مسيخ العالم ويمنع زحف الفساد وكذا النـــور، مجـــرد سراج «يضيء لجميع الذين في البيت» (مت٥: ١٥).

كما أن حبة الخردل برغم صغرها، إلا إن لها رائحتها ومذاقها قوي، فهي من نكهات الطعام القوية التي يُلاحظ طعمها ورائحتها عند وضعها به وهكذا يجب أن يكون دور كل مؤمن في الدائرة المحيطة به، سواء في العائلـــة أو العمل أو الكنيسة أو أي مكان يسمح الرب لنا بالوجود فيه.

ومن خواص حبة الخردل سهولة زرعها، حتى في أجواء مختلفة وهنـــا «أخذها إنسان وزرعها في حقله»، والإنسان الـــزارع هـــو الـــرب يـــسوع

«والحقل هو العالم» (مت١٣: ٣٨). لكن هنا يقول إن الإنسان الزارع لم يزرع الحبة في حقل، بل «في حقله». فلماذا؟ لأنه اشتراه. ففي نفس الأصحاح (مت١٣: ٤٤، ٤٥)، نرى مثل الكنز المُخفَى في حقل، لكن وجد مَن اشترى الحقل لأجل الكنز، فالرب اشترى العالم كله لأجل المؤمنين. فهنا حبة الخردل زرعها الزارع «في حقله» الذي اشتراه بحق دمه. كل الحقل له «حقله» بما فيه من مؤمنين وغير مؤمنين. فالمؤمنون اشتراهم وبحسب ١كورنثوس ٦: ٢٠ "«لأنكم اشتُريتم بثمن فمجِّدوا الله في أرواحكم وأجسادكم التي هي لله»، بل وحتى الخطاة اشتراهم وإن كانوا ينكرون حقه عليهم، ففي ٢بطرس ٢: ١ يتكلَّم عن «الذين يدسون بدع هلاك» ويعلن أن حتى هؤلاء اشتراهم، لكنهم ينكرونه «ينكرون الرب الذي اشتراهم». لكن هناك فرق بين الشراء والفداء، فالشراء للعالم كله، أما الفداء، فللمؤمنين في العالم. والفداء يتبعه غفران الخطايا «الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا» (كو١: ١٤).

وبرغم صغر حبَّة الخردل، إلا إنها «نمت»، لكن نموها كان في ظروف قاسية. وهذا ما حدث حين كانت النبتة صغيرة والمؤمنون أفراد قليلون، إلا إن الاضطهاد كان شديدًا منذ أيام الرب يسوع الذي صُلب في فترة حكم طيباريوس (١٤م – ٣٧م) على يد بيلاطس البنطي الروماني، وبعد طيباريوس جاء كاليجولا (٣٧م– ٤١م)، ثم كلوديوس (٤١م – ٥٤م)، ثم نيرون الطاغي (٥٤م – ٦٨م) الذي تعرضت النبتة الصغيرة «حبَّة الخردل» في أيامه إلى عذابات مريرة وفي أيامه سجن بولس وفي تلك الفترة كانت أخبار إنجيل قد وصلت إلى كل العالم المعروف وقتئذ.

ثم جاء فسباسيان (٦٩م – ٧٩م) بحصاره الشديد وإرساله تيطس ابنه الذي في نفس الوقت هو قائد جيشه والذي ملك بعد أبيه لمدة ثلاث سنين (٧٩م – ٨١م)، ثم دومتيان الابن الآخر لفسباسيان (٨١م – ٩٦م) الذي في أيامه نُفي الرسول يوحنا إلى جزيرة بطمس (عام ٩٥م) وكان قد أصبح شيخًا.

ولو تأملنا في تاريخ الكنيسة حين كان كانت نبتة صغيرة، نجد أن هناك

فترتين متميزتين من الاضطهاد. الفترة الأولى كانت تحت حكم الأباطرة الرومان الوثنيين، والفترة الثانية هي فترة الاضطهاد التي تعرّض لها الأُمناء المتمسكون بالحق الكتابي من باباوات روما في العصور التي سميت بالعصور المظلمة، حتى إن أجساد الأمناء في المسيحية كانت تُدهن بالزيت ويُشعل فيها النار وكانوا يُطرحون في السجون، ويُلقون أمام السباع. ورغم كل هذا «نمت حبَّة الخردل»، وما تعرضت له من ظروف غير اعتيادية جعلها تقوَى، إلا إن كل هذا لم يجعل منها «شجرة». حتى جاء قسطنطين الكبير وأحدث انقلابًا في تاريخ الإمبراطورية الرومانية وفي تاريخ المسيحية أيضًا، وصارت المسيحية الدين الرسمي للدولة وهنا صارت «حبَّة الخردل شجرة». والشجرة في الكتاب تشير إلى الكبرياء والعظمة الأرضية، مثلما قيل عن أشور حين شبهه الرب بشجرة أرز عظيمة ذات أغصان ممتدة «هوذا أعلى الأرز في لبنان جميل الأغصان وأغبى الظل، وقامته طويلة، وكان فروعه بين الغيوم. قد عظَّمته المياه، ورفعه الغمر. أنهاره جرت من حول مغرسة، وأرسلت جداولها إلى كل أشجار الحقل. فلذلك ارتفعت قامته على جميع أشجار الحقل، وكثرت أغصانه، وطالت فروعه لكثرة المياه إذ نبت. وعششت في أغصانه كل طيور السماء، وتحت فروعه ولد كل حيوان البر، وسكن تحت ظله كل الأُمم العظيمة» (حز٣١: ٣- ٦). هذا كان كلام الرب لفرعون الذي كان يريد أن يرتفع وكأن الرب يدعوه أن يأخذ عِبرة مما حدث لأشور. وهنا الرب يسوع يستعمل نفس التشبيه، فحين عظمت الكنيسة بانضمام العظماء إليها، نمت النبتة نموًا غير اعتيادي «حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها» وطيور السماء التي وجدت مكانًا لها في الشجرة هي الشرير الذي يخطف ما قد زُرع في مثل الزارع (مت١٣: ٤، ١٩).

والحقيقة إنه ما أكثر الطيور التي تآوت تحت مظلة العالم المسيحي! فمثلاً "شهود يهوه" تلك البدعة التي ابتدعها تشارلز راسل (١٨٥٦م – ١٩١٦م) في أمريكا، والذين ينكرون لاهوت الابن وينكرون الثالوث الأقدس وينكرون الروح القدس ويقولون إنه مجرد قوة! وينكرون قيامة الرب يسوع

المسيح الحرفية بالجسد ويقولون إنه قام روحًا، لا جسدًا ويدعون أن المسيح هو الملاك ميخائيل! فهل هؤلاء مسيحيون؟! إنهم فقط من الطيور التي تآوت في الشجرة.

وماذا عن "السبتيين الأدفنتست" أتباع مسز ألن هوايت (١٨٢٧م – ١٩١٥م) والذين يسمون أنفسهم "المجيئين"؟! هذه الحركة التي ظهرت أيضًا في أمريكا أم البدع والذين يعلّمون بملاشاة الأشرار ويحفظون يوم السبت، مع أنه اليوم الوحيد الذي قضاه الرب في القبر بليله ونهاره! هؤلاء المدعون أنهم مسيحيون يعلِّمون أن الرب يسوع المسيح لبس طبيعة خاطئة مثل آدم! كما ينكرون كفَّارة المسيح التي تمت على الصليب، بل يعلِّمون أيضًا أن الشيطان في النهاية سيصبح ذبيحة كفَّارية وسيحمل كل الخطايا ويتفقون مع "شهود يهوه" أن المسيح هو الملاك ميخائيل! وإن كانوا يعترفون بلاهوت الابن، إلا إنهم لا يعترفون بكمال الناسوت.

ناهيك عن "المُرمون" أتباع جوزيف سميث (١٨٠٥م– ١٨٤٤م) الذين ينكرون ولادة المسيح من عذراء، ويقولون إن ولادته تمت بزواج الله مع المطوبة مريم!!

ويقولون إن كفَّارة الرب يسوع تتعامل فقط مع خطية آدم الموروثة والخلاص بحسب "المُرمون" يحصل عليه الإنسان بالأعمال الصالحة والمعمودية!!

ثم هناك "جماعة العلم المسيحي" ومؤسستها ماري آن بيكر (١٨٢١م – ١٩١٠م). و"النقد الأعلى" و"العصريون" و"أصحاب المذهب الروحاني" و"الصوفيون" أتباع هيلينا بترو فابلافانسكي التي بدأت تنشر بدعتها في أمريكا ١٨٧٥م والآن امتدت حتى للعالم الناطق بالعربية وأصبح كثير من الترنيمات عبارة عن ابتهالات صوفية وكثير من الخدَّام اتبعوا التصوف في العبادة والابتهال والهيمان في الله القدير العظيم الوهَّاب المنَّان ... إلخ!!

ناهيك عن "الكنيسة الاتحادية المونية" و"المذهب الوحدوي" الذي يرفض التثليث!! ثم ماذا عن "الروح العصرية" و"الإنجيل الاجتماعي" وغيرهم

كثيرة، فما أكثر أشكال وألوان «طيور السماء» التي وجدت لها مكانا في الشجرة، فأتت وتآوت في أغصانها!

كل هذا تحت مظلة المسيحية ومبادئ المسيحية منها بريئة، فكيف لمَن ينكرون لاهوت الرب يسوع أن يُدعوا مسيحيين؟ وكيف لمَن يدعون أن الرب يسوع به خطية أن يُدعوا مسيحيين؟!

فسّر البعض مثل حبة الخردل تفسيرًا خاطئًا وتصوروا أن الشجرة التي كبرت هي صورة لنجاح المسيحية وانتشارها، بل الأكثر من ذلك، فسّر البعض هذا المثل أن المسيحية ستنتشر وتعم العالم وسيصير العالم مسيحيًا!! متجاهلين رسائل الأيام الأخيرة (٢تس؛ ٢تي؛ ٢بط؛ ٢يو٢؛ يه) التي تعلن أن الأيام الأخيرة أزمنة صعبة، تنتشر فيها البدع وتُنكَر قوة التقوَى وتبقى صورتها، بل سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح.

إذًا، فالشجرة الكبيرة هي النجاح العالمي الظاهر للمسيحية وطيور السماء هي البدع التي أدخلها الشيطان بتعاليمه وأصبحت الشجرة مأوى يحمي طيور السماء وأعوان الشر. فعلينا أن لا ننخدع ولا نفرح لمجرد اتساع دائرة المسيحية وأتباعها، بل «أيها الأحباء، لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله؟» (١يو٤: ١). بل أيضًا «كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فليس من الله» (١يو٤: ٣).

مثل الكَرْم والكرَّامين

(مت ٢١:٣٣-٤٦؛ مر ١٢:١-١٢؛ لو ٢٠:٩-١٩)

«[٣٣]اسْمَعُوا مَثَلاً آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْت غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. [٣٤]وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. [٣٥]فَأَخَذَ الكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا. [٣٦]ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ. [٣٧]فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! [٣٨]وَأَمَّا الكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوُا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ! [٣٩]فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. [٤٠]فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولئِكَ الكَرَّامِينَ؟» [٤١]قَالُوا لَهُ: «أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». [٤٢]قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! [٤٣]لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. [٤٤]وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!». [٤٥]وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. [٤٦]وَإِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، خَافُوا مِنَ الْجُمُوعِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ» (مت٢١: ٣٣- ٤٦).

يبدأ الرب كلامه هنا بعبارة: «اسمعوا مثلاً آخر»، وبهذا يربط الرب هذا المثل بالمثل الذي قبله وهو مثل الابنين، حين كلَّم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب الذين جاءوا لمجادلته: «بأي سلطان تفعل هذا؟ ومَن أعطاك هذا السلطان؟». وكيف أعلن لهم أنهم مثل الابن الثاني الذي قال: «ها أنا يا سيد. ولم يمضِ»، موضحًا لهم أنهم يَدعون أنهم يعملون إرادة الله ويظهرون طاعة له ويعلِّمون بالناموس وهم لا يعملون ولا يطيعون أقوال الله. فهنا وكأنه يكمل الحديث معهم، مقدمًا مثلاً آخر «اسمعوا مثلاً آخر». ففي مثل الابنين خطية عدم الطاعة **موجهة ضد الآب**، أما هنا في هذا المثل، فالخطية **موجهة ضد الابن**، المُرسَل من الآب.

وهذا المثل عبارة عن تاريخ ونبوة تمت حرفيًا، ولذا ففيه رؤية شاملة لتاريخ العالم وفيه يعرض الرب يسوع تاريخ إسرائيل من منظور إلهي، أي كما يراه الله، ثم يكشف لهم ما سيحدث لهم بعد رفضهم الأنبياء والرسل، بل وقتلهم للابن الوارث خارج الكرم وأنه سيأخذ منهم الكرم ويعطيه لآخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. فهو مثل يوضح الحالة الرديَّة للشعب وقادته الدينيين وشرهم.

«كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ».

ليس صعبًا على اليهودي فهم مضمون هذا المثل، وبالفعل هم فهموا الكلام وعرفوا مضمونه بكل وضوح، فالله هو صاحب الكرم وهو الذي غرس الكَرْمَة، ففي مزمور ٨٠: ٨ «كرمة من مصر نَقلتُ. طردتُ أممًا وغرستُها». لقد كانت هذه الكَرْمَة في مصر تحت ذُل فرعون واحتقاره «وتغرَّبوا في أرض حام» (مز١٠٥: ٢٣). لكن الرب أظهر عجائبه وأخرجهم بفضة وذهب، وفرحت مصر بخروجهم (مز١٠٥: ٣٧، ٣٨).

وبعد أن أخرج الرب كرمته من مصر، طرد الرب من أمامهم سبع أمم ليفسح مكانًا لكرمته، ثم غرسها في الموضع المعيّن لها من «رب البيت».

لكن ماذا فعل رب البيت بالكرم الذي نقله وغرسه؟ «أحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجًا».

والسياج هو الناموس، فقد قدّم لهم الناموس ليفصلهم عن الشعوب، فهم لهم شرائع تفصلهم كشعب مميز للرب، هذا عن السياج، **لكن ماذا عن البرج؟ لماذا البرج؟** للمراقبة وللحماية وللدفاع عنه.

ولماذا المعصرة؟ لأنه غرسه كرم سورق (إش٥: ٢)، أفخر أنواع الكروم، لذا فهو ينتظر الثمر ليأخذ منه عنبًا ويعصره في المعصرة لينتج مسطارًا يفرّح قلب الله والناس (قض٩: ١٣).

«وسلَّمه إلى كرَّامين وسافر». والكرَّامون هم قادة الأُمَّة. «ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرَّامين ليأخذ أثماره». إن الكَرْمَة دون عن باقي النباتات، غرضها الوحيد هو الثمار وليس لها أي نفع من جهة أي شيء آخر. فليس بها خشب يصلح لشيء أو حتى يُستخدم كوقود. فالكَرْمَة تنحصر فائدتها في الأثمار، حتى إن حزقيال يسأل: «هل يؤخذ منه عود لاصطناع عمل ما أو يأخذون منه وتدًا ليعلق عليه شيء ما؟» (حز١٥: ٤). نعم فقد خلق الله الكَرْمَة لغرض واحد وهو أن تأتي بثمر، وهذا ما كان مطلوبًا من هذا الشعب الذي أحاطه بسياج الناموس وكان منتظرًا من هذه الأمة أن تثمر. إذًا فالكَرْمَة هي شعبه والكرَّامون هم قادة الأُمَّة والعبيد الذين أرسلهم الكرام إلى الكرَّامين هم الأنبياء الذين أرسلهم صاحب الكرم، ليقوموا عوضًا عن الكرَّامين بالتحريض لكي تأتي الأمة بالثمر المطلوب منها، وإرميا قال لهم: «وقد أرسل الرب إليكم كل عبيده مبكرًا ومرسلاً فلم تسمعوا ولم تميلوا آذانكم للسمع» (إر٢٥: ٥). وفي زكريا ١: ٤ «ناداهم الأنبياء الأولون قائلين: هكذا قال رب الجنود: ارجعوا عن طرقكم الشريرة وعن أعمالكم الشريرة. فلم يسمعوا ولم يصغوا».

فالرب «أرسل عبيده إلى الكرَّامين ليأخذ أثماره»، المنتظرة منهم، فهو لم يطلب ثمارًا، لكن «أثماره» التي تليق بالتوبة، إنه يريد كرمه مثمرًا بأثماره.

والرب يتساءل: «لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنبًا صنع عنبًا رديئًا»

(إش٥: ٤). فيا ليتهم لم يثمروا، لكنهم أثمروا عنبًا رديئًا «لأنه من جفنة سدوم جفنتهم، ومن كروم عمورة. عنبهم عنب سم، ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حُمَة الثعابين وَسَمُّ الأصلال القاتل» (تث٣٢: ٣٢). نعم هذا ما أثمروه! فهذه أثمارهم وليست **أثماره** التي أرسل عبيده ليأخذوها.

لكن ماذا فعل الكرَّامون بالعبيد؟ «فأخذ الكرَّامون عبيده وجلدوا بعضًا وقتلوا بعضًا ورجموا بعضًا». لقد عُومل عبيد صاحب الكرم معاملة سيئة جدًا من الكرَّامين وهذا ما حدث بالفعل رغبة منهم في تسيير الأمور على أهوائهم، ليهيمنوا على الشعب ويسودوا عليهم، فهزأوا بالأمناء عبيد صاحب الكرم «وآخرون عذبوا... وآخرون تجربوا في هزء وجلد، ثم في قيود أيضًا وحبس. رُجموا نُشروا، جُرِّبوا، ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا في جلود غنم وجلود معزى، معتازين، مكروبين، مذلَّين» وآخرون «تائهين في براري وجبال. ومغاير وشقوق الأرض» (عب١١: ٣٥- ٣٨). ويقول التقليد إن إشعياء ممَن نُشروا وزكريا بن برخيا نعلم أنه قُتل بين المذبح والهيكل، ودواغ الأدومي بأمر من شاول قتل خمسة وثمانين رجلاً لابسي أُفود كتان (١صم٢٢: ١٨)، ثم ماذا حدث مع المعمدان سفير الملك في أيام وجود الرب يسوع على الأرض وكيف قُتل بسيف هيرودس الماجن؟! آه! لقد أظهروا بغضتهم لصاحب الكرم بما عملوه بعبيده. لكن ماذا فعل صاحب الكرم معهم تجاه كل هذا التمرد والرفض؟ أطال أناته عليهم «ثم أرسل أيضًا عبيد آخرين أكثر من الأولين. فقتلوا منهم كذلك». فيا له من إله طويل الأناة! وفي الأصحاح الأخير من سفر أخبار الأيام الثاني يروي لنا كيف أشفق على شعبه، برغم إن «جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة. حسب كل رجاسات الأُمم، ونجَّسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم»، لكنه «شفق على شعبه وعلى مسكنه، فكانوا يهزأون برسل الله، ورذلوا كلامه وتهانوا بأنبيائه» (٢أخ٣٦: ١٤- ١٦).

ثم ماذا فعل بعد ذلك؟ «فأخيرًا أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني». فصاحب الكرم هو الآب الذي عنده «ابن وحيد له»، بحسب رواية مرقس

لنفس المثل (مر١٢: ٦). ومن المفترض أن «يهابوا ابني» ويصغوا لصوته ويحترموا حقوقه، لا سيما أن الابن يختلف كل الاختلاف عن باقي العبيد الذين أُرسلوا قبله. لكن وا أسفاه على قلب الإنسان ويا لقسوة هذه الأمة! ماذا فعلوا بهذا الابن المحبوب من الآب والذي قدم لهم ما لم يقدمه غيره وضمد جراحهم وشفى مرضاهم وأقام موتاهم وأشبع بطونهم وطهَّر برصاهم، ماذا عملوا به؟ هل هابوه وأعطاهم كل التقدير أم ماذا فعلوا؟ هل عرفوا أنه الابن الوارث؟

«وأما الكرَّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلم نقتله ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه».

إذًا فقد عرفوه، نعم خاصته عرفته، لكنها لم تقبله. نعم! عرف الكرَّامون الابن بمجرد أن رأوه وعرفوا حقه في الميراث «وقالوا فيما بينهم هذا هو الوارث»، وعليه فخطيتهم لم تكن القتل سهوًا، بل قتل عمد ولهدف أجمعوا عليه «نقتله ونأخذ ميراثه». هذه هي عناقيد المرارة. وفي إشعياء ٥ نرى ستة أنواع من الخطايا يمثلها العنب ألردي الذي أنتجته الكَرْمَة، ممثلاً في ستة ويلات تشمل: الطمع والاغتصاب والانغماس في الملذات والاستهزاء بالدينونة والاستعباد للخطية وتعظيم الذات والرشوة والفساد. كل هذه الويلات الستة أنتجتها الكَرْمَة، لكن الويل السابع هنا عندما أكملوا مكيال شرهم بقتل ابن الله «هذا هو الوارث هلم نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه»، وارتكبوا أبشع جريمة في تاريخ البشرية!

ثم سألهم الرب سؤالاً: «فمتى جاء صاحب الكرم، ماذا يفعل بأولئك الكرَّامين؟» وكأنه يعيد عليهم سؤال إشعياء ٥: ٣ «والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا، احكموا بيني وبين كرمي». لقد بسط القضية ويطلب من الخصم أن يكون الحَكَم، لكي يصدروا بأنفسهم على أنفسهم الحُكم الذي يستحقونه. فحكموا على أنفسهم: «قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكًا رديًا ويسلِّم الكرم إلى كرَّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها». لقد حكموا على أنفسهم أنهم أردياء مستوجبون الهلاك الأبدي. وهنا استشهدَ

الرب بالكلمات التي جاءت في مزمور ١١٨: ٢٣ «قال لهم يسوع: أمَا قرأتم قط في الكتب؟ الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؟ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا».

فالرب يبرهن لهم من كتبهم أن الحجر المرفوض منهم، لا بد أن يرتفع ويصير رأس الزاوية.

ويُلاحظ أن الرب غيّر التشبيه من كرَّامين إلى بنَّائين، ليظهر حماقة المتخصصين، فهم الكرَّامون الأردياء وهم البناؤون الأغبياء الذين رفضوا أهم وأفضل حجر في البناء، لأنه الحجر القوي جدًا والكبير جدًا والذي يربط الحوائط معًا ويكمّل البناء، لكنهم وهم المتخصصون رفضوه قائلين: «أ من الناصرة يمكن أن يخرج شيء صالح؟» وكانوا يتساءلون: «أ ليس هذا ابن النجار؟ أ ليست أُمه تُدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟ فكانوا يعثرون به» (مت١٣: ٥٥- ٥٧).

أ لم يفضّلوا باراباس عليه؟ أ لم يقولوا: «لا نريد أن هذا يملك علينا، ليس لنا ملك إلا قيصر»؟

«لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمَّة تعمل أثماره»، هذا هو نفس حُكمهم على أنفسهم، حين حكموا أن «يسلَّم الكرم إلى كرَّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها». نعم! لقد رفضوا مسيَّاهم، فاتجّه الرب بالنعمة إلى الأمم، لكي تعمل أثماره.

ثم عاد الرب وتكلَّم لهم محذرًا من الحجر الذي رفضوه، إذا استمروا في رفضهم وقال: «ومَن سقط على هذا الحجر يترضَّض. ومَن سقط هو عليه يسحقه». وإذا عُدنا إلى إشعياء ٢٨: ١٦ يقول: «لذلك هكذا يقول السيِّد الرب: هأنذا أؤسس في صهيون حجرًا، حجر امتحان حجر، زاوية كريمًا، أساسًا مؤسَّسًا: مَن آمن - به - لا يهرب». فلما جاء الرب يسوع إلى الأرض احتقروه ورفضوه لاتضاعه، فسبب اصطدامهم به هو أنهم لم يجدوه حجرًا مرتفعًا عاليًا، إذ كانوا يتوقعون أن يأتيهم جبارًا يحرّرهم من نير الرومان، وجدوه حجرًا صغيرًا متواضعًا، فاصطدموا به، فكان لهم حجر

صدمة وصخرة عثرة. وفي ١بطرس٢: ٦ يقول: «لذلك يُتضمن أيضًا في الكتاب: هأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختارًا كريمًا، والذي يؤمن به لن يُخزَى». وفي رومية ٩: ٣٣ «كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة، وكل مَن يؤمن به لا يُخزَى»، وفي أفسس٢: ٢٠ «ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية»، وهنا نقرأ عنه باعتباره رأس الزاوية.

هذا هو الملجأ الصحيح، الأساس المؤسَّس، الثابت المضمون. الرب يسوع المسيح حجر كريم والذي يؤمن به لا يهرب، أي يكون ثابتًا مطمئنًا لا يخاف ولا يخزى ولا يتزعزع.

فالرب يسوع هو الأساس وحجر الزاوية المرافق للبناء وهو رأس الزاوية الذي يبدو شامخًا في قمة البناء. فهو الأصل والقمة، الألف والياء، الأول والآخر والذي عليه يتوقف سلامة البناء كله.

أما عن إسرائيل، فقد صار حجر الأساس لهم حجر صدمة ولم يصدقوا أنه المسيَّا، فاصطدموا به وسقطوا وأصابتهم الرضوض، لكن مَن ترضض، قد يُشفَى من رضوضه، مثل شاول الذي ترضّض بالحجر «وسقط على الأرض» (أع ٩: ٤)، لكنه «نهض عن الأرض» (أع ٩: ٨) وصار «إناء مختار ليحمل اسم الرب أمام أُمم وملوك وبني إسرائيل» (أع ٩: ١٥). وكذا في أعمال ١٨: ٨ نرى «كريسبس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته» وكثيرون سقطوا وترضضوا وشُفوا. أما «مَن سقط هو عليه يسحقه». فهذا الحجر الذي قد تعظَّم وارتفع والآن قائم رأس الزاوية في السماء، سيسقط بعد قليل على كل الذين رفضوه ولم يقبلوه وسيسحقهم سحقًا لا شفاء منه!!

مثل شجرة التين
وخروج أوراقها

(مت ٢٤: ٣٢-٣٥)

«[٣٢]فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. [٣٣]هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. [٣٤]اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ. [٣٥]اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ» (مت٢٤: ٣٢- ٣٥).

إن شجرة التين مشهورة جدًا. فهي شجرة جزعها سميك وترتفع عن الأرض بمقدار قد يصل إلى عشرة أقدام أو أكثر وهي متفرقة وثمرها طيب، فما أن ينضج إلا ويتساقط من مجرد هز الشجرة. ولها خواصها المميزة منها: ظهور الثمر مع الورق أو ربما قبله، فإذا ظهرت الأوراق ولم يظهر ثمر، فهذه شجرة عقيمة لا أمل فيها.

والبلاد التي يكثر فيها التين يعرف سكانها أن الصيف قَرُبَ، عندما يرون أوراق التين قد ظهرت.

فالرب هنا قدم لهم مثلاً يعرفونه ويردده الكثيرون. فما أن يروا شجر التين قد ورق، يبشرون أنفسهم أن «الشتاء قد مضى، والمطر مرَّ وزال» (نش٢: ١١).

وهناك ثلاث أشجار في الكتاب لها علاقة بإسرائيل وهي: الكَرْمَة والزيتونة والتينة، وهذا واضح من مثل يوثام (قض٩)، ففي الكَرْمَة نجد الامتيازات الروحية، والزيتونة الانتساب للبركة الإلهية، أما التينة فترمز للامتيازات القومية والدينية. وإن كان في قضاة ٩ لم يشر إلى ذلك، بل إلى دور المؤمن كغريب هنا، ليس له هدف، إلا أن يشبع قلب الرب ويلذِّذ إخوته بالمكتوب.

لكن مزمور ٨٠: ٨ يعلن أن إسرائيل بأسباطه الاثني عشر يُرمز له بالكَرْمَة «كَرْمَة من مصر نَقلتَ. طردتَ أُممًا وغرستها. هيأت قدامها فأصَّلت أُصولها فملأت الأرض»، وهذا ما حدث مع هذا الشعب بأسباطه وكما سمّاه الرب: «إسرائيل ابني البكر» (خر٤: ٢٢). ودعاه من مصر «لما كان إسرائيل غلامًا أحببته، ومن مصر دعوت ابني» (هو١١: ١).

وعليه، فإسرائيل كأُمَّة بكل أسباطها ممثلة في الكَرْمَة التي جعلها الرب مثمرة ومفرخة من كثرة المياه (حز١٩: ١٠)، لكن بسبب تمردهم وعدم أمانتهم، سمح الرب للأُمم المحيطة بتلك الكَرْمَة أن تقصف أغصانها، كما نقرأ في مرثاة حزقيال١٩، وذهب ملوكها للسبي.

لكن بعد الرجوع من السبي، أصبحت التينة ترمز بصفة خاصة إلى السبطين اللذين رجعا إلى الأرض. ولهذا وكما رأينا في لوقا ١٣: ٦ يعلن الرب أنه عندما أتى هنا بالجسد وجد «شجرة تين مغروسة في كرمه»، فالسبطان اللذان رجعَا من السبي هما المرموز لهما بشجرة التين التي شغلت إسرائيل كله في أرضه. لكنها – وبكل أسف – لم يرجعوا بقلوبهم وهذا بالرمز رأيناه في معجزة القضاء واللعنة الوحيدة الواردة في متى ٢١: ١٨–٢٢؛ مرقس ١١: ١٢– ١٤ في الأسبوع الأخير من حياة الرب هنا وبالتحديد في اليوم التالي لدخوله أورشليم. وهناك نظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها، فلم يجد فيها شيئًا «إلا ورقًا فقط». وكما ذكرنا أن خواص التين أنه يخرج الورق ليكسي الثمر. فكون الورق كثيفًا، فمن المتوقع أن يكون بالتينة ثمر. وورق التين من أول ذكر له يحدثنا عن التدين أو محاولات الإنسان

الفاشلة لتغطية عُريه أو كما كان هذا الشعب المرموز له بشجرة التين التي في الكرم، لها صورة التدين والتمسك بالناموس، لكن لا ثمر فيه. والرب يريد أولاً الثمر قبل الورق «شجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل» (مز١). والورق أيضًا من رموزه الشهادة. إن هذه الشجرة لها حياة، أما أن يكون ورق دون ثمر، فهذه هي المعرفة العقلية أو التدين أو حتى الخدمة والشهادة للرب، دون تغير في القلب وهذا ما يبغضه الرب.

لكن الرب هنا يعلن لتلاميذه من فوق جبل الزيتون وهو يحدثهم عن مجيئه الثاني، أن لشجرة التين دور المُنذر في الأيام الأخيرة «فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصًا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب».

هذا ما حدث في أيامنا، فقد عاد اليهود ممثلين في السبطين: يهوذا وبنيامين إلى أرضهم وأصبح لليهود الآن كيان سياسي ودولة تسمَّى باسمها القديم الذي أعطاه الرب ليعقوب أبي الأسباط «لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل» (تك٣٢: ٢٨).

وأصبحت دولة إسرائيل معترَفًا بها من هيئة الأُمم، ولها وزراء وسفراء وتسعى بكل جهودها لجعل القدس عاصمة لها، تحقيقًا لوعد الرب لهم أن تكون أورشليم مدينة الملك العظيم وهم الآن لهم موضع مميز في المحيط الدولي، لا يمكن تجاهله وهذا هو غصنها الرخص وولدت دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨م. وهذه هي بداية النهاية لهذه العظام اليابسة، كما جاء عنها في حزقيال ٣٧، لكن النبوة من الناحية الروحية لن تتم إلا بعد اختطاف الكنيسة.

لكن الرب هنا يقول: «متى صار غصنها رخصًا وأخرجت أوراقها»، فلماذا لم يقل: وأخرجت أثمارها لا سيما أن الثمر في هذه الشجرة يخرج غالبًا قبل الورق؟ هذا لأنه يشير هنا إلى رجوعهم السياسي لا الديني، فهم عادوا، لكن في عدم إيمان بالرب يسوع كالمُخلِّص، وهم من الآن يبنون

الهيكل، لكن هدفهم ممارسة طقوسهم الناموسية دون معرفة حقيقية بالرب يسوع، لكن بعد اختطاف الكنيسة ستجتاز هذه الأُمَّة الضيقة العظيمة وسينضج الثمر من شدة حرارة الضيق وعندها سيدعو الرب عروسه الأرضية لتخرج من مكان اختبائها (رؤ١٢: ٦- ١٤) وستسمع النداء: «قومي يا حبيبتي، يا جميلتي وتعالي. لأن الشتاء قد مضى، والمطر مر وزال» (نش٢: ١٠، ١١)، «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك» (إش٦٠: ١) وستُخرج التينة فجها (نش٢: ١٣)، وهذا الشعب الأرضي الذي تدور حوله نبوات العهد القديم والذي بسبب شروره ورفضه لمسيحه، تشتَّت في كل ممالك الأرض سيجمعه الرب بعد أن يجتاز في «ضيقة يعقوب» وبعد هذا يجمع الرب باقي الأسباط «ويجمع الرب منفيي إسرائيل، ويضم مشتَّتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض» (إش١١: ١٢).

والتينة التي أخرجت الآن أوراقها فقط ستُخرج ثمرها وسيجمع الرب شعبه وتبرز الكَرْمَة إلى الوجود من جديد وتعود من الشتات وستنتج ثمرها الذي يفرح قلب الله والناس وسينقضي الشتاء.

فإن كان قول الرب في نبوته الصريحة: «فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصًا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب»، فها نحن نرى التينة وقد صارت أوراقها يافعة بعد يبوسة تسعة عشر قرناً، لذا نؤكد أنها علامة قاطعة ومؤكدة تعلن أن «الصيف قريب» وهذا خبر يسعد قلب كل مؤمن حقيقي، لكنه في نفس الوقت خبر مزعج لكل نفس لم تحسم أمرها الأبدي وتؤجل التوبة. والتحذير لكل نفس تقرأ هذا الكلام أن تسرع قبل فوات الأوان وقبل أن يأتي شتاء قارص لا ينتهي «حينئذ يصرخ الجبَّار مرًا» (صف١: ١٤).

لكن يراودني سؤال لهذه الأُمَّة «الغير مستحية» (صف١: ١٥) والتي لم تخجل من فعلتها، بل ولم تسأل نفسها: لماذا هذا الشتات لما يقرب من ألفي عام وهي قبلاً قد ميّزها الرب بامتيازات لم تمنح لغيرها، وهي الوحيدة التي دعاها باسمها ووضع اسمه في اسمها «إسرائيل»؟!

لماذا لم تسأل نفسها بعدما تمت أقوال النبوات فيها وتستنتج أن كل هذا لأنهم رفضوا مسيَّاهم وقتلوا رب الحياة الذي كانوا ينتظرونه وبجهالة فعلوا ما فعلوا وسيجلبون على أنفسهم شتاء قاسيًا؟!

لكن وإن كان ظهور الورق في تلك التينة التي يبست دليلاً على أن «الصيف قريب»، فالصوت لنا إنه «قريب على الأبواب» والعلامات من حولنا تشير بكل وضوح إلى قرب مجيء الرب. والرب وبَّخ الفريسيين والصدوقيين لأنهم لم يميزوا علامات مجيئه، لذا نحن مدعوون أن ندرس ونفهم ونميز العلامات التي تعلن قرب نهاية الدهر الحاضر.

ثم أكمل الرب حديثه: «الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله» والجيل يعني فترة زمنية محدودة، كما جاء في نفس إنجيل متى والأصحاح الأول «جميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً». ومن متى ٢٣: ٣٦ وبعدما أنبأهم بخراب أورشليم، أردف قائلاً: «الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتي على هذا الجيل» وتمّ بالحرف الواحد بعد أربعين سنة في الجيل الذي رفض مسيَّاه، وفي ٧٠م وبعد موت نيرون وعودة فسباسيان إلى روما بعدما صار صاحب العرش، أرسل ابنه تيطس على رأس جيش إلى أورشليم وحاصرها ودخل الرومان المدينة ودمروها وتمت النبوة التي جاءت في متى٢٣: ٣٦ بحذافيرها على هذا الجيل وتشتَّت اليهود ولم يبقَ لهم وطن ولا هيكل ولا رئيس، إلى أن جاء آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا وتكلَّم بخصوص الوطن القومي لليهود.

وعليه، فالجيل فترة زمنية محددة والمقصود في قول الرب هنا: «الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله». فالإشارة إلى الجيل الذي شاهد شجرة التين وقد أخرجت أوراقها سنة (١٩٤٨م)، وأنه هو نفسه الجيل الذي سيشاهد أحداث النهاية. وهذا هو الجيل الذي نحياه الآن وقد شاهدناه أو شاهد البعض منا مولد دولة إسرائيل، وهذا من أقوى

وأوضح العلامات أننا في اللحظات الأخيرة و«بعد قليل جدًا سيأتي الآتي ولا يُبطئ» (عب١٠: ٣٧). و«الآتي» هو المسيَّا في مفهوم اليهود، والذي عرفناه من سؤال المعمدان حين أرسل يسأل: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (مت١١: ٣).

ومجيء الرب الآتي يعني مجيئه في المجد أي ظهوره وليس مجيئه لاختطاف الكنيسة. فإن كان مجيئه كالآتي (بالظهور) «بعد قليل جدًا»، فبالأولى كثيرًا مجيئه بالاختطاف، صار قريبًا جدًا، جدا جدًا؟!!

بعد قليل سيجيء الرب يسوع الأمين
فلنفتدِ الوقت إذًا ما دمنا هنا سائرين
وكذا حسب وعده نكون دومًا ساهرين

مثل الخميرة

(مت ١٣:٣٣؛ لو ١٣:٢٠ و٢١)

«٣٣قَالَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ» (مت١٣: ٣٣).

هذا المثل يتطابق مع الرسالة إلا ملاك كنيسة التي ثياتيرا، وإن كان هذا المثل من الأمثال القصيرة في أمثال ملكوت السماوات، إلا أن الرسالة إلى ثياتيرا أطول الرسائل السبع.

ونحن نعلم أن الرسائل الموجهة إلى السبع الكنائس تنقسم إلى قسمين أي مجموعتين: المجموعة الأولى وتشمل الثلاث الكنائس الأولى: أفسس وسميرنا وبرغامس، وهذه المجموعة لم يُذكر مجيء الرب فيها، أما المجموعة الثانية والتي تشمل الكنائس الأربع الأخيرة وهي: ثياتيرا وساردس وفيلادلفيا ولاودكية، فيُذكر فيها مجيء الرب. والرسالة إلى ثياتيرا تتصدر المجموعة الثانية في تاريخ الكنيسة وستستمر كنظام ديني إلى مجيء الرب، وبما أن ثياتيرا هي الكنيسة الرابعة من حيث ترتيبها، فهي تقع في وسط السبع الكنائس وفيها تتجمع كل مظاهر التحول والانحراف التي ذُكرت في أفسس وبرغامس وهذا هو الخمير الذي سنراه في هذا المثل.

«يشبه ملكوت السماوات خميرة أخذتها امرأة». إن الخمير في الكتاب يشير إلى الشَّر، وبولس في ١كورنثوس ٥: ٦- ٨ يقول للمؤمنين: «أ لستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟ إذًا نقُّوا منكم الخميرة العتيقة،

لكي تكونوا عجيناً جديدًا كما أنتم فطير. لأن فصحنا أيضًا المسيح قد ذُبح لأجلنا. إذًا لنعيِّد، ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشَّر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق». وفي غلاطية ٥: ٩ نفس الكلام عن الخميرة والتحذير منه «خميرة صغيرة تخمر العجين كله»، وإن كان يقولها في ١كورنثوس ٥ عن خمير الشر الأدبي، وفي غلاطية ٥ عن خمير التعليم وخلط الناموس بالنعمة، إلا أن الدعوة «إذًا نقُّوا منكم الخمير».

ونحن نعلم أن أول ورود للكلمة في الكتاب هو مفتاح لفهمها، وأول ورود للخمير في خروج ١٢: ١٥ «تعزلون الخمير من بيوتكم». كما أن هنا في هذا المثل أول ورود للخمير بالعهد الجديد. وسنرى ما فعلته المرأة هو أمر خبيث جدًا، لأنه معلوم من كلمة الله أن الخمير يُكنَى به عن الشر، ولن تجد موضعًا سواء في العهد القديم أو العهد الجديد يشير الخمير فيه إلى شيء صالح أو نقي. فمن أول ذكر له لا يتفق الخمير مع الخروف المشوي، بل الذي يتفق مع الخروف المشوي هو الفطير الخالص من الخمير، وهذا ما أشار به إليه بولس في ١كورنثوس٥. والإسرائيلي لم يكن ينقِّي الخمير ليخلص، لكنه لأنه خَلص واحتمى في الدم وتغذَّى بالفصح لذا يُنقي الخمير، أي يعيش حياة القداسة العملية.

فالقداسة العملية، وإن لم تكن أساس خلاصنا، إلا أن مَن خلص ينقِّي الخمير، سواء في السلوك أو في التعليم.

وفي لاويين ٢: ١١ يأتي التحذير القاطع: «كل التقدمات التي تقدمها للرب لا تصطنع خميرًا»، ونحن نعلم أن الكلام في لاويين ٢ عن تقدمة الدقيق التي تشير إلى الإنسان يسوع المسيح، لذا لا يوضع خمير، إشارة إلى الرب يسوع المسيح القدوس. ولأن تقدمة الدقيق ليست رمزًا للمسيح كحامل للخطية، بل تشير إليه كإنسان كامل قدوس لا يعرف خطية ولا وُجد فيه عيب، لذا لا يوجد بالتقدمة خمير. أما نحن الذين دعينا على اسم المسيح، فلنحترس من الخمير! لأنه موجود في طبيعتنا البشرية التي تميل للانتفاخ والتعالي، لذا في غاية المناسبة أن يذكر لنا الكتاب في لاويين ٢٣: ١٧ أن رغيفي الدقيق

اللذين كانَا يقدمَان في يوم الخمسين كان بهما خمير «رغيفين عُشرين يكونان من دقيق ويخبزان خميرًا»، فما السبب؟ لأن يوم الخمسين له مدلوله والرغيفان أيضًا لهما مدلولهما. ففي يوم الخمسين حلّ الروح القدس وتكونت الكنيسة. ويلاحظ أن يوم الخمسين أيضًا هو العيد الرابع من الأعياد السبعة، فالأول **عيد الفصح** الذي يشير إلى موت الرب يسوع لأجلنا على الصليب «لأن فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا» (١كو٥: ٧)، ويرتبط بعيد الفصح **عيد الفطير** الذي يبدأ معه مباشرة ويستمر سبعة أيام وفيه كان اليهود يأكلون فطيرًا بدون خمير «سبعة أيام تأكلون فطيرًا» (لا٢٣: ٦) والخمير – وكما فهمنا – يشير للشَّر، فهنا دعوة لعيشة القداسة والنقاوة، والعيد الثالث هو **عيد الباكورة**، حيث يأتون في هذا العيد بأول حزمة الحصاد في غد السبت التالي للفصح، أي في يوم الأحد. ثم يأتي بعد ذلك العيد الرابع، إذ كان الشعب يحسبون من غد السبت الذي يقدمون فيه حزمة الترديد سبعة أسابيع وبعد ذلك في غد السبت السابع، أي أيضًا يوم الأحد كانت تقدم جديدة «خبز ترديد رغيفين عُشرين ويكونان من دقيق، ويخبزان خميرًا باكورة للرب» (لا٢٣: ١٧)، ونحن نعلم أن يوم **الخمسين** تكونت الكنيسة من يهود وأُمم معًا وهما الرغيفان. أما فلماذا «يخبزان خميرًا»، فلأن عمل الروح القدس في المؤمنين لا ينزع الخطية الساكنة فيهم، لكنهم يعطي المؤمن قوة على اكتشاف الشر والحكم عليه. إذًا الرغيفان اللذان بهما خمير يشيران إلى الكنيسة كجماعة ومهما كانت قوة الروح، فلا ينكر أن الخطية ساكنة فينا. صحيح إننا يمكننا قمعها، إلا إن حقيقة وجودها لا تُنكر. فالجسد جسد والطبيعة الجديدة التي حصلنا عليها لم تلغِ الطبيعة العتيقة التي فينا وإن كانت في حُكم الموت. لكن يلاحظ أن الرغيفين «يُخبزان» أي يوضعان في النار، فيفقد الخمير تأثيره، كما أن النار تشير إلى الخطية التي قد دِينت في صليب المسيح، ولذا فوجود الخمير في الخبز يقابله تقديم ذبيحة خطية مع هذه التقدمة بل وأيضًا محرق وذبيحة سلامة «وتقربون مع الخبز سبعة خراف حولية، وثورًا واحدًا ابن بقر، وكبشين محرق للرب مع تقدمتها وسكيبها وقود

رائحة سرور للرب. وتعملون تيسًا واحدًا من الماعز ذبيحة خطية، وخروفين حوليين ذبيحة سلامة» (لا٢٣: ١٨، ١٩).

وهذا هو الجواب على أساس شركة المؤمنين مع وجود خمير في الرغيفين.

هذا عن الخمير لكن المثل يقول: «يشبه ملكوت السماوات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق»، فإلى أي تشير المرأة في الكتاب؟ والتي نراها هنا تدس الخمير في أكيال الدقيق الثلاثة!! إن المرأة في الكتاب المقدس تشير إلى نظام معين.

وفي زكريا ٥: ٧، ٨ نرى رؤيا الإيفة ونساءها الثلاث والتي ترينا حالة شر وفساد مصورة بامرأة جالسة في إيفة (مكيال)، ثم امرأتين تحملان المرأة إلى أرض شنعار حيث بابل أُم الوثنية، وهناك تبنيان للإيفة بيتًا.

وفي رؤيا ١٧ يرى يوحنا الرائي امرأة في برية، لكنها «جالسة على وحش قرمزي مملوء أسماء تجديف ... متسربلة بأرجوان وقرمز، ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ، ومعها كأس من ذهب في يدها مملوءة رجاسات ونجاسات زناها». والبرية تعني الجدوبة، لكن هذه المرأة في وسط الجدوبة تبحث عن المجد العالمي وتسلك في الفساد الأدبي. فامرأة رؤيا ١٧ جالسة على مياه كثيرة والكتاب يفسر أن «المياه هي شعوب وجموع وأُمم وألسنة» (رؤ١٧: ١٥)، وهو نفس الوصف لبابل القديمة «أيتها الساكنة على مياه كثيرة الوافرة الخزائن» (إر٥١: ١٣). **إذًا المرأة مرة أخرى تشير إلى نظام ديني فاسد يضاد المسيح وتعاليمها واضحة**، لذا يقول: «وعلى جبهتها اسم مكتوب: سرٌ. بابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الأرض» (رؤ١٧:٥) وفي العدد ١٨ يختم رؤيا ١٧ ويوضح الرب مَن هي المرأة بما لا يدعو للشك، فيقول: «والمرأة التي رأيت هي المدينة العظيمة التي لها مُلك على ملوك الأرض». فالمرأة إذًا هي بابل الزانية بتعاليمها كنظام ديني.

وهنا في مثل الخميرة الذي قلنا إنه يتفق مع كنيسة ثياتيرا (رؤ٢: ١٨-

٢٩). ومعنى ثياتيرا "رائحة البلية" أو "ثياتروا وتمثيلية" أو "الذبيحة المتكررة"، وهي صورة للكنيسة خلال العصور الوسطى المظلمة وقد بدأت سنة ٦٠٠م وستستمر إلى مجيء الرب.

والعجيب إننا نقرأ عن امرأة في كنيسة ثياتيرا وهي المرأة الوحيدة التي ذُكر فيها اسم امرأة في رسائل الكنائس السبع. وهذه المرأة تدّعي أنها «نبيَّة حتى تعلِّم»؛ أي تغتصب سلطة الرب يسوع المعلِّم وتُعلِّم، بل «وتغوي عبيدي أن يزنوا معها ويأكلوا ما ذبح للأوثان»، أي أكملت ما بدأه قسطنطين في كنيسة برغامس وزادت عليه، حتى إن الرب في هذه الكنيسة يُعرَف بابن مريم العذراء، لذا قدّم الرب نفسه لهذه الكنيسة بابن الله. «هذا يقوله ابن الله» (ع١٨) وهي المرة الوحيدة التي ذُكر فيها المسيح أنه ابن الله في رسائل السبع الكنائس لأن هذه الكنيسة صوَّرته للأذهان بطفل محمول على ذراعي المطوبة مريم وعُرفت المطوبة مريم بلقب أم الله ووالدة الإله وكل هذا خلط وعدم فهم لدقة المكتوب.

إذًا الخمير يرمز إلى شر سلوك وشر تعليم، والمرأة ترمز لنظام ديني. فالمرأة هنا عملت عملاً محرَّمًا في تقدمة الدقيق التي لا يوجد بها خمير (لا٢: ١١). فهنا نرى نشاط المرأة في إفساد تعاليم الرب يسوع المرموز له بأكيال الدقيق الثلاثة، وهي في الخفاء تدس بدعًا وخمير تعليم وإفسادًا للتعاليم النقية بإدخال تعاليم متنوعة وغريبة.

والحقيقة إن المرأة كانت جادة في خلط الخمير وسط أكيال الدقيق الثلاثة، فأدخلت في المسيحية تعاليم ليست لها علاقة بالحق الكتابي. ونحن نعلم أن الخمير بعدما يُوضع وسط العجين ويُمزج به لا يمكن إخراجه منه وهذا ما نراه، وما أعلنه الرب لنا في مثل الحنطة والزوان «دعوهما ينميان كلاهما معًا إلى الحصاد»، لكن علينا أن ننزع الخمير من حياتنا ومن بيوتنا.

فسَّر البعض هذا المثل خطأ بأن الخمير هو النعمة، والمرأة الكنيسة التي أخذت النعمة وخبأتها في المسيحية، وأن المسيحية ستنتشر في العالم كله وسيصير العالم مسيحيًا، وسيؤمن العالم بالإنجيل!! فهل هذا مقبول للذهن

الروحي؟ وهل تأخذ النعمة لتخبأها؟ وهل صفات الأيام الأخيرة ارتداد أم انتشار للمسيحية؟ أين هم من يهوذا «اذكروا الأقوال التي قالها سابقًا رسل ربنا يسوع المسيح. فإنهم قالوا لكم: إنه في الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات فجورهم» (ع ١٧)؟!

فالرب أعلن أن الخمير «رياء» و«شر» و«تعاليم خبيثة»، وحذَّر منه، وصفات الأيام الأخيرة التي نعرفها من رسائل الأيام الأخيرة، هي التي نراها هنا «اختمر الجميع»، وأصبح للتعاليم الغير كتابية سطوة وتابعون ورافضون للتعليم الصحيح. لكن ما يعزِّي قلوبنا أن مجيء الرب قد اقترب، وكلما اشتد الظلام، أدركنا أن الليل لن يطول وسيأتينا سريعًا الرب يسوع، ككوكب الصبح المنير الذي له كل المجد.

مثل الخروف الضال

(لو ١٥:١-٧؛ مت ١٨:١٢-١٤)

«[١]وَكَانَ جَمِيعُ العشَّارين وَالْخُطَاة يَدْنُونَ منْهُ ليَسْمَعُوهُ. [٢]فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائلينَ: «هذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ!». [٣]فَكَلَّمَهُمْ بهذَا الْمَثَل قائلاً: [٤]«أَيُّ إِنْسَان منْكُمْ لَهُ مئَةُ خَرُوف، وَأَضَاعَ وَاحدًا منْهَا، أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعينَ في الْبَرِّيَّة، وَيَذْهَبَ لأَجْل الضَّالِّ حَتَّى يَجدَهُ؟ [٥]وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكبَيْه فَرحًا، [٦]وَيَأْتي إِلَى بَيْته وَيَدْعُو الأَصْدقَاءَ وَالْجيرَانَ قَائلاً لَهُمْ: افْرَحُوا مَعي، لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفي الضَّالَّ!. [٧]أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ في السَّمَاء بخَاطئ وَاحد يَتُوبُ أَكْثَرَ منْ تسْعَة وَتسْعينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَة» (لو١٥: ١- ٧).

يبدأ هذا الأصحاح بفريقين. لكن أحد الفريقين: خطاة مفضوحون، والفريق الآخر خطاة مستورون أو متسترون برداء الدين. «وكان جميع العشَّارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه» هذا هو الفريق الأول. «فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين: هذا يقبل خطاة ويأكل معهم» وهذا هو الفريق الثاني، فريق المتذمرين الرافضين للنعمة التي جذبت الخطاة للرب يسوع.

والفريسيون هنا لم يوجّهوا الكلام كعادتهم للتلاميذ، كما في متى ٩: ١٠، بل وضحَ من تذمرهم أن تذمرهم صاحبه دمدمة بالكلام في صورة اعتراض. وإن كان الرب في متى٩ عندما سمع قال لهم: «لا يحتاج الأصحاء إلى

طبيب، بل المرضى فاذهبوا وتعلَّموا ما هو: إني أريد رحمة لا ذبيحة لأنـــي لم آتِ لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة». إلا إنه هنا سيضرب لهم مثلاً من واقع حياتهم اليومية. فالرب يسوع هو الله الظاهر في الجسد، ومع أنه فـــي ذاته بلاهوته وناسوته طاهر وقدوس ومنفصل عن الخطاة بطبيعته، إلا إنـــه كان يدنو منهم لاحتياجهم للشفاء، لكن في نفس الوقت لا يصادق على البـــر الذاتي الذي ظهر في تذمر الفريسيين والكتبة «فكلَّمهم بهذا المثل قـــائلاً: أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحدًا منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده؟».

هذا المثل بل هذا الأصحاح بأمثاله الثلاثة التي تعتبر مثلاً واحدًا له ثلاثة أوجه، نعرفه جميعًا بأوجهه الثلاثة وفيه نرى الأقانيم الثلاثة في وحدة هدف من أجل خلاص الخطاة، وسنرى الترتيب الرائع الذي يروي لنـــا كيـــف أن الرب يسوع لا بد أن يتجسد وينزل إلى أقسام الأرض الـــسفلى، ثـــم يقـــوم ويُرسِل الروح القدس ليُنير البيت ويعلن أمجاد النعمة لأشر الخطاة، ثم الآب ينتظر عودة الخطاة إليه.

والحقيقة إننا في مثل الخروف الضال هذا سنرى الرب يـــسوع الكامـــل ومحبته وتجسده وموته وقبره وقيامته وقيامتنا معه ورفقته لنا في البرية، إلى أن يأخذنا إلى بيتنا الأبدي، بل وأيضًا سيكشف لنا بيت الآب وأفـــراح بيـــت الآب.

فهنا الرب يقدم مثلاً لراعٍ لديه مئة خروف، وفي نهاية يوم كان – كعادته – يعد الخراف، وإذ به يجدهم تسعة وتسعين وليس مئة. هل يعود بالتـــسعة والتسعين ويترك الخروف الذي ضل أم يذهب ليبحث عن الضال؟ إن الراعي الأمين يهتم بكل خروف على حدة، لذا لا يمكن أن يترك الـــضال. فإجابـــة السؤال الذي وجّهه الرب لهم واضحة: «إنه يذهب لأجل الضال حتى يجده»، لأنه يحبه. وقد يذهب الخروف بعيدًا وقد يصعد جبـــالاً أو ينـــزل وديانًـــا والراعي وراءه. فعزم الراعي لا ينثني، حتى يسترد خروفه الضال.

وهنا نرى ما عمله الرب يسوع لأجلي ولأجلك. الراعي الصالح الـــذي

بذل نفسه عن الخطاة، ابن الله الذي جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك «الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (في٢: ٦- ٨). لأنه يُحب خرافه، وهو يعلم هول ما ينتظر الخروف الضال، إذا استمر في ضلاله وبُعْده، فسيقع بين أنياب الذئاب وسيُفترس ويهلك، لذا لن يتركه وسيبحث عنه وسيتحمل أهوالاً من أجله، ليظهر له محبته ويسترده.

فما يلمع في هذا المثل هو المحبة الباذلة، إن «المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية. لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تُطفئ المحبة، والسيول لا تغمرها» (نش٨: ٦، ٧).

نعم هذه هي محبة الرب يسوع المسيح التي جعلته يُخلي نفسه لأجلنا ويحتمل العار حتى الصلب والموت والقبر لأجلنا. فإنه «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣). وهذا ما عمله ابن الله وشُوِي بنار العدل الإلهي لكي يفتدينا من الهلاك. لقد تجرع كأس المرار وانتصرت المحبة.

لقد أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا، لقد أحب كل واحد منا وبذل نفسه لأجل كل واحد منا، حتى إن كل من استرده يقول: «ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠).

لقد أتى إلى حيث ما أوصلتنا خطايانا، فأجرة الخطية موت ومات البار نيابة عنا نحن الفجار، لكنه قام وأقامنا معه وهذا ما نراه هنا في هذا المثل، لقد وصل إلى الحفرة التي سقط فيها الخروف ونزل إليه، وخرج من الحفرة حاملاً خروفه على كتفيه «يذهب لأجل الضال حتى يجده». لقد سعد في إثر الخاطئ الهالك «حتى يجده». لكن ماذا سيفعل الراعي بالخروف بعدما يجده؟ هل سيؤدبه ويتركه وحيدًا؟ هل تعبيرات وجهه ستظهِر له بغضة نظرًا للكلفة التي تكلفها الراعي في البحث عنه؟ كلا! بل بكل سرور سيحمله على منكبيه «فإذا وجده يضعه على منكبيه فرحًا». وكتفَا الراعي مكان أمين لهذا

الخروف الذي جرّب التشرد بعيدًا وها هو أخيرًا استقر هادئًا هانئًا على كتفي الراعي وسيكون فمه قريبًا من أذني الراعي، وستكون رجلاه في يد الراعي ويداه في اليد الأخرى، فهو موضوع عناية الراعي والخروف الآن في أمان.

قد يضغط الراعي قليلاً على الخروف، إذا حاول أن يتململ على كتفي الراعي، لكن هذه الضغطة لصالحه، حتى لا يقع ويُصاب بأذى.

لكن الرحلة طويلة، فهل سيترك الراعي خروفه في وسطها؟ أو هل سيعيده إلى مكانه مع التسعة والتسعين الذين في البرية؟ كلا! لن يفترق الخروف عن راعيه في ما بعد. فقوة الراعي لحساب الخروف ولحفظه سالمًا. فالخروف لن ينزل من على كتفي الراعي إلا في البيت «ويأتي به إلى بيته» وخروفه على كتفيه كل الرحلة.

والسؤال: **ألا توجد برية للمؤمن؟ ألا توجد محاربات وضيقات وتجارب؟** بكل تأكيد توجد! ولكن لا ننسَ أن فم الخروف قريب من أذن الراعي، لأنه على المنكبين، لذا سيهمس في أذني الراعي بكل احتياج له أو كل ضيق يمر به. فالمؤمن لن يسير بريته وحده، لكن يسير فيها محمولاً على منكبي الراعي والراعي وحده هو الذي يتحمل عناء السفر. لذا فمن المستحيلات أن يهلك هذا الخروف والرب أعلن في يوحنا١٠: ٢٧ «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد». نعم هذا حق كتابي ومصدر طمأنينة لكل مؤمن «فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس» (عب١٠: ٣٩). نعم قد نؤدَّب هنا على الأرض، بل وقد يهلك الجسد تحت التأديب ولكن من المستحيل أن تهلك نفس مؤمن في جهنم! فالرب أعلن في يوحنا ٥: ٢٤ «الحق الحق أقول لكم: إن مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة».

إذا كان صبي مثل داود كان يرعى غنم أبيه، فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع، لم يترك الشاة، بل خرج وراء الأسد وقتل الأسد والدب وأنقذ الشاة (١صم١٧: ٣٤)، فهل رب داود يقدر أحد أن يأخذ من يده واحدًا من

خرافه؟! هذا مستحيل! فالذي «ذهب لأجل الضال حتى وجده»، هو الراعي الذي بذل نفسه عن الخراف. «ابن الإنسان الذي قد جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك». لقد أظهر نعمته ومحبته، بل وعنايته وفرحه بعدما وجد خروفه الضال، ومن فرحه سيوجه دعوة للأصدقاء والجيران لمشاركة أفراحه: «ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً: افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال». صحيح إن الخروف عندما كان شاردًا بعيدًا، كان في خوف ولا سلام. وصحيح إنه عندما رأى الراعي وصل إلى حيثما أوصله شروده، فرح جدًا فرحًا لا يُنطق به ومجيد، إلا إن الرب هنا يشير إلى فرحه وسرور قلبه هو. فليس الخروف الذي قال: «افرحوا معي»، بل الراعي، الرب نفسه يقول: «افرحوا معي، لأني وجدت خروفي الضال!». نعم ففرحة الرب بتوبتنا وعودتنا من ضلالنا لحضنه، وسروره وهو يضعنا على منكبيه كل الطريق إلى أن نصل إلى بيت الآب سالمين، لا يضاهيها فرحة. لكن الخروف أيضًا سعيد، لذا سمعنا صوته ولأول مرة، بل المرة الوحيدة في كل الكتاب التي نسمع فيها صوت الخروف يعلن فيها فرحته وسكينته واطمئنانه، ففي مزمور ٢٣ يقول: «الرب راعيَّ، فلا يعوزني شيء». فالخروف هنا يتأمل في راعيه الحنون الذي بحث عنه في الخلاء الخرب المستوحش، وبعدما أدرك الحقيقة وهو أنه يعرف أن يشرد، لكنه عاجز عن العودة إلى الراعي، ولم يخطر بباله أن الراعي سيهتم بالبحث عنه واسترداده، لكن إذ به يرى الراعي وقد ذهب «لأجل الضال حتى وجده»، لذا نسمع الخروف يقول بلغة اختبارية: «الرب راعيَّ». نعم! الرب بنفسه يهتم بي وكأنه يقول ما قاله داود في مزمور ٤٠: ١٧ «أما أنا فمسكين وبائس. الرب يهتم بي». إنه الراعي الحنان وفي حنانه يفي كل احتياجي، سواء أزهر التين أو لم يزهر، سواء كان هناك حمل في الكروم أو لم يكن أو حتى حين يكذب عمل الزيتونة والحقول لم تصنع طعامًا، سواء إن كانت البركات المادية موجودة أو كانت غير موجودة، فقوتي في الرب السيد، الذي يحملني على كتفيه ويمشيني على مرتفعاتي، لذا لا يعوزني شيء.

لكن، **مَن هم «التسعة والتسعون بارًا الذين لا يحتاجون إلى توبة»؟**

إنهم أصحاب البر الذاتي الواثقون من أنفسهم ويحتقرون الآخرين، إنهم المُكتسون بأوراق التين ولا يشعرون بحاجتهم إلى التوبة. الذين يعتقدون أنهم أغنياء مستغنون ولا حاجة لهم إلى شيء «أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء» (رؤ٣: ١٧). فهم كاللاودكيين الذين تركوا الرب خارج الباب يقرع، لأنهم مكتفون بأعمالهم ولا حاجة لهم إلى بر الله ولا إلى سكنى الروح القدس «ولا يحتاجون إلى توبة»، لأنهم في نظر أنفسهم أغنياء.

لكن ألا تلاحظ معي قيمة كل فرد منا في عيني الرب؟

لقد وَضعَ الخروف الضال بعدما وجده على كتفيه فرحًا «يضعه على منكبيه فرحًا»، فالرب – له كل المجد – في إشعياء ٩: ٦ مكتوب عنه: «تكون الرياسة على كتفه»؛ أي كتف واحدة للرب توضع عليه الرياسة والسيادة، أما الخروف الواحد فيحمله – بكل محبة وحنو – على الكتفين لغلاوته على قلبه!! فيا لغبطتنا براعينا المُحب!

أنا واثق في رعايتك ليَّ أنا واثق في عنايتك بيَّ
مش ممكن أبدًا تنساني دا عينك سهرانة عليَّ
أنت أمين في رعايتك ليَّ مش حاتسيبني في البرية
بتنادي وتقول: يا بني ما تخافشي وامسك بإيديَّ